

تأليف

الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي

٧٦٧ - ٨٠٥ هـ

تقديم وتعليق

رجب عبد المنصف

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة زهران

١٥ ش الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر ت: ٥١٠٩٨٨٧

[يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم]
« قرآن كريم »

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثانى والأربعون : فى الرفرف الأعلى

اعلم أن الرفرف الأعلى : عبارة عن المكانة الإلهية من الموجودات ، ومن الأمور الذاتية التى اقتضتها الألوهية بنفسها ، ثم هى ليست بنوع واحد ، بل أنواع كثيرة ، لكن كل نوع منها يسمى رفرفا أعلى ، وكل رفرف فهو عبارة عن المكانة الإلهية ، ولو اختلف مقتضاها ، فإنها من حيث شأنها الذاتى ، عين المكانة ، ولا تفضيل فى بعضها على بعض ، لأن التفضيل لا يقع إلا فى مقتضيات الصفات والأسماء ، وهذه أمور هى ذاتيات الحق ، فلا تفاضل بينهما كالكبرياء مثلا والعزة ، لأن الرفرف عبارة عن كل منهما ، فلا يصح أن يقال : إن العزة أفضل من الكبرياء ، ولا يقال : إن الكبرياء أفضل من العزة ، وكذلك العظمة الذاتية ، فإن كلا من أمثال ذلك عبارة عن مقتضى الذات لنفسها ، للمكانة العليا الإلهية ، وفى قولى للمكانة الإلهية تقييد للاقتضاء الذاتى ، لأن الذات لها فى نفسها اقتضاءان : اقتضاء مطلق ، واقتضاء مقيد ؛ فالاقتضاء المطلق : هو ما استحقه لنفسه من غير اعتبار الألوهية لا الرحمانية ولا الربوبية ولا أمثال ذلك ، بل هذه اقتضاءات مطلقة مجردة من أن تقتضيها الذات لنوع من أنواع الكمالات فهى كالوجود مثلا والسذاجة والصرافة والأحدية ، وأمثال ذلك مما اقتضته الذات لنفسها ؛ والاقتضاء المقيد : هو ما اقتضته الذات لنفسها ، لكن بنوع من أنواع الكمالات كالإلهية والرحمانية والربوبية ، وكالعزة والكبرياء والعظمة مثلا للمكانة الإلهية ، وكالعلم والسريان الوجودى ، والاحاطة

للمكانة الرحمانية إلى غير ذلك مما يستحقه لذاته لاعتبار إلهى أو رحمانى أو ربانى أو غير ذلك من أسمائه وأوصافه فافهم .

واعلم أن الاقتضاءات المقيدة راجعة أيضاً إلى الإطلاق ، لأنه سبحانه وتعالى اقتضى جميع ذلك لذاته ، فالألوهية مقتضى لذاته ، والرحمانية مقتضى لذاته ، وكذلك ما عداهما من المراتب ، وكل ما اقتضته مرتبة من المراتب كان مقتضى للذات من غير تقييد ، لأن المرتبة مقتضيات الذات ، فما اقتضته كان من مقتضيات الذات ، لأنه سبحانه وتعالى يستحق هذه الأشياء لا لكمال ولا لنقص ، بل لذاته ، وكمالاته أمور ذاتية ، فكل المقتضيات مقتضيات ذاتية مطلقة ، لكن لما كان ثم أمور تقتضيها الذات مطلقا ، وثم أمور تقتضيها الذات ويصح فيها اعتبارها لمرتبة أومكانة ، قلنا : إن المقتضيات الذاتية نوعان : مطلق ، ومقيد ، فافهم .

الباب الثالث والأربعون : فى السرير والتاج

أن السرير لرتبة السلطان	هو عرشه بمكانة الرحمن
لجلوسه فوق السرير ظهوره	فى مجده وعلوه السلطانى
فهو المعبر عنه بالعرش المجيد	وبالعظيم بمحكم القرآن
والعرش مطلقه بمخلوقاته	والاستواء تمكن ربانى

اعلم وفقنا الله وإياك ، أن الحديث النبوى الذى يذكر فيه أنه رأى ربه فى صورة شاب أمرد على سرير من كذا وكذا ، وفى رجله كذا وكذا ، الحديث بكماله أعطانا الكشف فيه أنه واقع صورة ومعنى . أما صورة : فهو تجلى الحق سبحانه وتعالى فى الصورة المذكورة المعينة المحدودة على سرير المعين فى النعلين المذكورين من الذهب والتاج المخصوص ، لأنه سبحانه وتعالى يتجلى بما شاء كيف شاء ، فهو متجل فى كل منقول ومعقول ومفهوم وموهوم ومسموع

ومشهود ، فقد يتجلى فى الصورة المحسوسة(١) ، وهو عينها وباطنها ، وقد يتجلى كيف يشاء ، فهو متجل فى كل منها ، وهو عينها وظاهرها ، ويتجلى فى الصورة الخالية وهو عينها وظاهرها ، ولا يكون فى الخالية إلا هذا الظهور بأنه نفسها وعينها المشهود ، لكنه سبحانه وتعالى له من وراء ذلك ما لا يتناهى . وهذا التجلى الخيالى نوعان : نوع على صورة المعتقد ، ونوع على صورة المحسوسات فافهم . لكن مطلق التجلى الصورى منشؤه ومحتده العالم المثالى ، وهو إذا اشتد ظهوره شـوهد بالعين الشحمية محسوسا ، لكنه على الحقيقة عين البصيرة هى المشاهدة ، إلا أنه صار كله عينا ، كان بصره محل بصيرته فى هـذا المشهد .
وأما المعنوى : أعنى مما أعطانا الكشف فى الحديث أنه واقع معنى ، فكل من الأشياء المذكورة فى الحديث(٢) عبارة عن معنى إلهى كما عبرنا فى الرفرف بأنه المكانة الإلهية ، وفى السرير بأنه المرتبة الرحمانية التى هى المكانة الإلهية .
وأما التاج فهو عبارة عن عدم التناهى ، وهو المعبر عنه بصورة شاب ، لأن الصورة يلزمها التناهى ، وهو لا نهاية له ، فذكر التاج الذى هو فوق الرأس إشارة إلى ماهية الذات التى لا نهاية لها ، فهو سبحانه إذا تجلى شوهد بما تجلى به وكل مشهود متناه . لكنه يظهر فى تجليه المتناهى بلا نهاية ، فهو من حيث تناهيه بلا نهاية ، وهو من حيث واحديته شىء واحد ، والواحد لا كثرة فيه ، فلا يقال : إنه لا نهاية له ، لأن عدم التناهى من شروط الكثرة ، وهو منزه عن الكثرة ، وهو من حيث ذاته المتعالية عن الحد والحصر والإدراك لا نهاية له ، لجمع الضدين فى عين وحدته التى لا تثنية فيها ، فانظر إلى هذا الأمر

---

(١) هذا ومابعده من قبيل الشطح ووحدة الوجود .

(٢) إشارة إلى الحديث الموضوع رأيت ربى فى صورة شاب أمرد « انظر ذلك فى كشف الخفا للعجلونى ١ / ٢٧ » .

العجيب العجاب ، وتأمل فى هذا الخبر المستطاب ، لعلك تهدى إلى الصواب ، وإليه المرجع والمآب .

الباب الرابع والأربعون : فى القدمين والنعلين

اعلم هدانا الله وإياك ، وآتاك من الحكمة ما آتانا أن القدمين عبارة عن حكمين ذاتيين متضادين ، وهما من جملة الذات بل هما عين الذات ، وهذان الحكمان ، وهما ما ترتبت الذات عليهما كالحدوث والقدم والحقية والخلقية والوجود والعدم والتناهى وعدم التناهى والتشبيه والتنزيه وأمثال ذلك ، مما هو للذات من حيث عينها ومن حيث حكمها الذى هو لها ، ولذلك عبر عن هذا الأمر ، لأن القدمين من جملة الصورة . وأما النعلان فالوصفان المتضادان كالرحمة والنقمة والغضب والرضا وأمثال ذلك ، والفرق بين القدمين والنعلين أن القدمين عبارة عن المتضادات المخصوصة بالذات ، والنعلان عبارة عن المتضادات المتعدية إلى المخلوقات ، يعنى أنها تطلب الأثر فى المخلوقات ، فهى نعلان تحت القدمين ، لأن الصفات العقلية تحت الصفات الذاتية ، وكون النعلين من ذهب ، هو نفس طلبها للأثر ، فهى ذاهبة : أى سارية الحكم فى الموجودات ، فلها الحكم فى كل موجود وجد ، بأى نوع كان من الموجودات . وإذا علمت معنى النعلين وعلمت المراد بالقدمين ، ظهر لك سر الحديث النبوى وهو أن الجبار يضع قدمه فى النار فتقول : قط قط ، وأنها تفنى حينئذ ، فينبت موضعها شجر الجرجير(١) ، أو كما قال . وسنومئ إلى ذلك فى آخر الكتاب فى الباب الذى نذكر فيه جهنم ، حسبما أمكن من التصريح أو الكناية ، فافهم هذا المعنى .

واعلم أن الرب له فى كل موجود وجه كامل ، وذلك الوجه على صورة

---

(١) القول بفناء النار من الأقوال الباطلة على ما أشرنا إليه فى التمهيد .

روح ذلك الموجود ، وروح ذلك الموجود على صورة محسوسة وجسد ، وهذا الأمر للرب أمر ذاتى ، استوجبه لذاته ، لا ينتفى عنه باعتبار ، لأنه ما ثبت له باعتبار ، لأن كل ما نسب إلى الحق باعتبار تنتفى تلك النسبة عنه بضد ذلك الاعتبار ، وكل ما نسب إليه لا باعتبار ، فإنه لا تنتفى نسبته عنه بشىء من الاعتبارات ، فافهم ذلك(١) وإذا كان الأمر فإن كان كذلك ، كانت الصورة للرب أمراً ذاتياً ، وإلى ذلك الإشارة فى قوله ﴿ خلق آدم على صورة الرحمن ﴾ وقوله ﴿ خلق آدم على صورته ﴾(٢) . وهذان الحديثان وإن كانا يقتضيان معانى قد تحدثنا عليهما فى كتابنا المسمى بـ [الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم] فإن الكشف أعطانا أنهما على ظاهر اللفظ . كما أشرنا إليه أولا . ولكن بشرط التنزيه الإلهى . تعالى عن التجسيم والتمثيل . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الباب الخامس والأربعون : فى العرش

اعلم أن العرش على التحقيق مظهر العظمة ومكانة التجلى وخصوصية الذات . ويسمى جسم الحضرة ومكانها . لكنه المكان المنزه عن الجهات الست وهو المنظر الأعلى والمحل الأزهى . والشامل لجميع أنواع الموجودات . فهو فى الوجود المطلق كالجسم للوجود الإنسانى . باعتبار أن العالم الجسمانى شامل للعالم الروحانى والخيالى والعقلى إلى غير ذلك . ولهذا عبر بعض الصوفية عنه بأنه الجسم الكلى وفيه نظر ، لأن الجسم الكلى وإن كان شاملا لعالم الأرواح .

---

(١) هذا من الروايات الضعيفة وقد أفاض ابن الجوزى فى بطلان هذه الرواية والنعى على مثبتيها « انظر دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » .

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه « خلق الله آدم على صورته » ، وقد أفاض الرازى فى بيان معناه فى كتابه أساس التقديس .

فالروح فوقه والنفس الكلى فوقه ، ولا نعلم أن فى الوجود شيئاً فوق العرش ، إلا الرحمن ، وقد عبروا عن النفس الكلى بأنها اللوح ، فهذا حكم بأن اللوح فوق العرش ، وهو خلاف الإجماع على أن من قال من أصحابنا الصوفية : إن العرش هو الجسم الكلى ، لا يخالفنا أنه فوق اللوح ، وقد عبر عنه بالنفس الكلى ، ولا شك أن مرتبة النفس أعلى مرتبة الجسم ، والذى أعطانا الكشف فى العرش مطلقاً ، إذ أنزلناه فى حكم العبارة ، قلنا بأنه ذلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية سطح ذلك الفلك هى المكانة الرحمانية ، ونفس هوية ذلك الفلك هو مطلق الوجود عينيا كان أوحكميا ، ولهذا الفلك ظاهر وباطن ، فباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق سبحانه وتعالى وصفاته ، وعالم القدس وجلاه هو المعبر عنه بالكثيب الذى يخرجون إليه أهل الجنة يوم سوقهم لمشاهدة الحق، وظاهره عالم الإنس ، وهو محل التشبيه والتجسيم والتصوير ، ولهذا كان سقف الجنة ، فكل تشبيه وتجسيم وتصوير من كل جسم أو روح أو لفظ أو معنى أو حكم أو عين ، فإنه ظاهر هذا الفلك ، فمتى قيل لك العرش مطلقا ، فاعلم أن المراد به هذا الفلك المذكور ، ومتى قيد بشىء من الصفات ، فاعلم أن المراد به ذلك الوجه من هذا الفلك ، كقوله : العرش المجيد ، فإن المراد به من عالم القدس المرتبة الرحمانية التى هى منشأ المجد ، وكذلك العرش العظيم ، فإن المراد به الحقائق الذاتية والمتقضيات النفسانية التى مكانتها العظمة ، وذلك من عالم القدس ، وعالم القدس عبارة عن المعانى الإلهية المقدسة عن الأحكام الخلقية والنقائص الكونية .

واعلم أن الجسم فى الهيكل الإنسانى جامع لجميع ما تضمنه وجود الإنسان من الروح والعقل والقلب وأمثال ذلك ، فهو الإنسان نظير العرش فى العالم ، فالعرش هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته ، وبهذا الاعتبار قال أصحابنا : إنه الجسم الكلى ، ولا اختلاف بيننا لاتحاد المعنى فى العبارتين ، والله أعلم .

الباب السادس والأربعون : فى الكرسى

اعلم أن الكرسى عبارة عن تجلى جملة الصفات الفعلية ، فهو مظهر الاقتدار الإلهى ، ومحل نفوذ الأمر والنهى ، وأول توجه الرقائق الحقية فى إبراز الحقائق الخلقية فى الكرسى وقدما الحق متدليتان عليه ، وذلك لأنه محل الإيجاد والإعدام ، ومنشأ التفصيل والإبهام ، ومركز الضر والنفع والفرق والجمع ، فيه ظهور آثار الصفات المتضادة على التفصيل ، منه يبرز الأمر الإلهى فى الوجود ، فهو محل فصل القضاء ، والقلم محل التقدير ، واللوح المحفوظ محل للتدوين والتسطير ، وسيأتى بيانهما فى مكانهما إن شاء الله تعالى ، قال الله تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ .

اعلم أن هذا الوسع وسعان : وسع حكمى ، ووسع وجودى عينى ، فالوسع الحكمى هو لأن السموات والأرض أثر صفة من صفاته الفعلية ، والكرسى هو محل مظهر جميع الصفات الفعلية ، فحصل الوسع المعنوى فى كل وجه من وجوه الكرسى ، إذ كل وجه منه صفة من الصفات الفعلية . وأما الوسع الوجودى العينى ، فهو لأن الوجود بأسره ، أعنى الوجود المقيد الخلق محيط بالسموات والأرض وغيرهما ، وهو المعبر عنه بالكرسى ، أعنى الوجود المقيد لأننا قد بينا أنه محل نفوذ الأمر والنهى ، ومحل الصفات الفعلية ، ومظهر الاقتدارات الإلهية ، وليس المراد بجميع ذلك إلا الوجود المقيد ، إذ هو المأمور أعنى المنفوذ فيه الأمر ، وهو المجلى والمظهر ، فهو الكرسى الذى دلى الحق عليه قدماه وأوجد فيه وأعدم وأهلك فيه وأسلم ، وأعطى ومنع ورفع ووضع ، وأعز وأزل ، سبحانه عز وجل .

الباب السابع والأربعون : فى القلم الأعلى

اعلم أن القلم الاعلى : عبارة عن أول تعينات الحق فى المظاهر الخلقية على التمييز ، وقولى على التمييز هو لأن الخلق له تعين إبهامى أولا فى العلم الإلهى ، وقد تقدم بيانه ، ثم له وجود هو مجمل حكمى فى العرش لانا قد بينا أن العرش أحد وجوهه ، هو الموجودات الخلقية ، ثم له ظهور تفصيلى فى الكرسى كما قد ذكرنا فى الباب المتقدم ، ثم له ظهور على التمييز فى القلم الاعلى ، لأن ظهوره فى تلك المجالى الاول جميعها غيب ، ووجوده فى القلم وجود عينى مميز عن الحق ، وهو أعنى القلم الاعلى أنموذج ينتقش مايقتضيه فى اللوح المحفوظ ، كالعقل فإنه أنموذج ينتقش ما يقتضيه فى النفس ، فالعقل بمكانة القلم ، والنفس بمكانة اللوح ، والقضايا الفكرية التى وجدت فى النفس بالقانون العقلى ، هى بمثابة الصور الوجودية المكتوبة فى اللوح المحفوظ ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام(١) : « أول ماخلق الله تعالى العقل » ، وقال : « أول ما خلق الله القلم »(٢) والقلم هو العقل الأول ، وهما وجهان للروح المحمدى ، قال عليه الصلاة والسلام : « أول ما خلق الله روح نبيك ياجابر »(٣) فصار القلم الأعلى والعقل الاول ، والروح المحمدى عبارة عن جوهر فرد ، وهو بنسبته إلى الخلق يسمى القلم الأعلى ، وبنسبته إلى مطلق الخلق يسمى العقل الاول ، وبإضافته إلى الإنسان الكامل يسمى روحا محمديا ﷺ ، وسيأتى تفصيل الروح والعقل من هذا الكتاب فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الباب الثامن والأربعون : فى اللوح المحفوظ

نفس حوت بالذات علم عالم ‏ ‏ ‏ ‏ هى لوحنا المحفوظ يا ابن الآدمى

(١ ، ٢ ، ٣) أحاديث فى ثبوتها نظر ، انظر كشف الخفا جـ١ ص ٢٧٥ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

صور الوجود جميعها منقوشة   في قابليتها بغـير تكاتم
فإذا زكت بإلهها وصفت به   من ظلمة الغيم الغيوم القاتم
ظهرت لها الأشياء فيها عندها   وبدت لها مستخفيات العالم

اعلم هداك الله أن اللوح المحفوظ : عبارة عن نور إلهى حق متجل فى مشهد خلق ، انطبعت الموجودات فيه انطباعا أصليا ؛ فهو أم الهيولى ، لأن الهيولى لا تقتضى صورة إلا وهى منطبعة فى اللوح المحفوظ ، فإذا اقتضت الهيولى صورة ما وجد العالم على حسب ما اقتضته الهيولى من الفور والمهلة ، لأن القلم الأعلى جرى فى اللوح المحفوظ بإيجادها ، واقتضتها الهيولى ، فلا بد من إيجادها على حسب المقتضى ، ولهذا قالت الحكماء الإلهيون : إذا اقتضت الهيولى صورة، ، كان حقاً على واهب الصور أن يبرز تلك الصورة فى العالم ، وقولهم حقاً على واهب الصور من باب التوسع ، جاريا مجرى قوله عليه الصلاة والسلام « إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » لا من أنه يجب عليه شىء ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وسيأتى بيان الهيولى فى موضعه .

ثم اعلم أن النور الإلهى المنطبع فيه الموجودات ، هو المعبر عنه بالنفس الكلى ، ثم الإدراك لما كتبه القلم الأعلى فى ذلك النور المعبر عنه باللوح المحفوظ لا يكون إلا بوجه من وجوه ذلك النور ، وذلك الوجه هو المعبر عنه عندنا بالعقل الكلى ، كما أن الانطباع فى النور ، هو المعبر عنه بالقضاء ، وهو التفصيل الأصلى الذى هو يقتضى الوصف الإلهى ، وقد عبرنا عن مجلاه بالكرسى ، ثم التقدير فى اللوح ، هو الحكم بإبراز الخلق على الصورة المعينة بالحالة المخصوصة فى الوقت المفروض ، وهذا هو المعبر عن مجلاه بالقلم الأعلى ، وهو فى إصطلاحنا العقل الأول وسيأتى ذكره فى محله ، مثاله : قضى الحق تعالى بإيجاد زيد على الهيئة الفلانية فى الزمن الفلانى ، فالأمر الذى اقتضى هـذا التقدير فى اللوح هو القلم الأعلى وهو المسمى بالعقل الأول ، والمحل الذى وجد فيه بيان هذا الاقتضاء

هو اللوح المحفوظ ، وهو المعبر عنه بالنفس الكلى ، ثم الامر الذى اقتضى إيجاد هذا الحكم فى الوجود ، هو مقتضى الصفات الإلهية . وهو المعبر عنه بالقضاء ، ومجلاه هو الكرسى ، فاعرف ما المراد بالقلم ، وما المراد باللوح ، وما المراد بالقضاء ، وما المراد بالقدر .

ثم اعلم أن اللوح المحفوظ نبذة من علم الله تعالى ، أجراه الله على قانون الحكمة الإلهية ، حسب ما اقتضته حقائق الموجودات الخلقية ، ولله علم وراء ذلك هو بحسب ما تقتضيه الحقائق الحقية ، برز على نمط إختراع القدرة فى الوجود لا تكون مثبتة فى اللوح المحفوظ ، بل قد تظهر فيه عند ظهورها فى العالم العينى ، وقد لاتظهر فيه بعد ظهورها أيضا ، وجميع مافى اللوح المحفوظ هو علم مبتدأ الوجود الحسى إلى يوم القيامة وما فيه من علم أهل الجنة والنار شىء على التفصيل ، لأن ذلك من إختراع القدرة ، وأمر القدرة مبهم لا معين ، نعم يوجد فيه علمها على الإجمال مطلقا ، كالعلم بالنعيم مطلقا لمن جرى له القلم بالسعادة الأبدية ، ثم لو فصل ذلك النعيم لكان تفصيل ذلك الجنس ، وهو أيضا جملة ، كما تقول بأنه من أهل جنة المأوى ، أو من أهل جنة الخلد ، أو جنة النعيم ، أو جنة الفردوس ، على الإجمال لا سبيل إلى غير ذلك ، وكذلك حال أهل النار .

ثم اعلم أن المقتضى به المقدر فى اللوح على نوعين : مقدر لا يمكن التغيير فيه ولا التبديل ، ومقدر يمكن التغير فيه والتبديل ، فالذى لا يمكن فيه التغيير والتبديل هى الأمور التى اقتضتها الصفات الإلهية فى العالم ، فلا سبيل إلى عدم وجودها . وأما الأمور التى يمكن فيها التغيير ، فهى الأشياء التى اقتضتها قوابل العالم على قانون الحكمة المعتادة ، فقد يجريها الحق سبحانه وتعالى على ذلك الترتيب ، فيقع المقضى به فى اللوح المحفوظ ، وقد يجريها على حكم الاختراع الإلهى ، فلا يقع المقضى به ، ولا شك أن ما اقتضته قوابل العالم هو نفس

مقتضى الصفات الإلهية ، ولكن بينهما فرق ، أعنى بين ما اقتضته قوابل العالم وبين ما اقتضته الصفات مطلقا ، وذلك أن قوابل العالم ولو اقتضت شيئاً فإنه من حكمها العجز لاستناد أمرها إلى غيرها ، فلأجل هذا قد يقع وقد لا يقع ، خلاف الأمور التى اقتضتها الصفات الإلهية ، فإنها واقعة ضرورة الاقتضاء الإلهى ، وثم وجه ثان ، وهو أن قوابل العالم ممكنة ، والممكن يقبل الشىء وضده . فإذا اقتضت القابلية شيئاً ولم يجر القدر إلا بوقوع نقيضه . كان ذلك النقيض أيضا من مقتضى القابلية التى فى الممكن فنقول بإيقاع ما اقتضته قوابل العالم على قانون الحكمة ؛ فإذا وقع ما اقتضته القابلية بعينه . قلنا بوقوعه على القانون الحكمى . وهذا أمر ذوقى لا يدركه العقل من حيث نظره الفكرى ، بل هو كشف إلهى يمنحه الله من يشاء من عباده . فالقضاء المحكم هو الذى لا تغيير فيه ولا تبديل . والقضاء المبرم : هو الذى يمكن فيه التغيير . ولهذا ما استعاذ النبى ﷺ بالله إلا من القضاء المبرم . لأنه يعلم أنه يمكن أن يحصل فيه التغيير والتبديل . قال الله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾(١) بخلاف القضاء المحكم . فإنه المشار إليه بقوله ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾(٢) . وأصعب ما على المكاشف بهذا العلم معرفة القضاء المبرم من القضاء المحكم . فيتأدب فيما يعلمه محكما . ويشفع فيما يعلمه مبرما ، وإعلام الحق له بالقضاء المبرم . هو الإذن فى الشفاعة . قال الله تعالى ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾(٣) .

ثم اعلم أن النور الإلهى المعبر عنه باللوح المحفوظ : هو نور ذات الله تعالى

---

(١) سورة الرعد آية ٣٩ .
(٢) سورة الأحزاب من الآية ٣٨ .
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

ونور ذاته عين ذاته لاستحالة التبعيض والانقسام عليه ، فهو حق مطلق ، وهو المعبر بالنفس الكلية ، فهو خلق مطلق ، وإلى هذه الإشارة بقوله ﴿ بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ ﴾(١) يعنى بالقرآن نفس ذات المجد الشامخ ، والعز الباذخ فى لوح محفوظ فى النفس الكلية ، أعنى : نفس الإنسان الكامل بغير حلول ، تعالى عن الحلول والاتحاد ، والله يقول الحق وهو يهدى إلى سبيل الرشاد .

الباب التاسع والأربعون : فى سدرة المنتهى

اعلم أن سدرة المنتهى هى نهاية المكانة التى يبلغها المخلوق فى سيره إلى الله تعالى ، وما بعدها إلا المكانة المختصة بالحق تعالى وحده ، وليس لمخلوق هناك قدم ، ولا يمكن البلوغ إلى ما بعد سدرة المنتهى ، لأن المخلوق هناك مسحوق محروق ومدموس مطموس ملحق بالعدم المحض ، لا وجود له فيما بعد السدرة ، وإلى ذلك الإشارة فى قول جبريل عليه السلام للنبى ﷺ : « لو تقدمت شبرا لاحترقت » ، ولو حرف إمتناع ، فالتقدم ممتنع ، وأخبر النبى ﷺ أنه وجد هناك شجرة سدر لها أوراق كآذان الفيلة . فينبغى الإيمان بذلك مطلقا لإخباره عن نفسه بذلك . فيحتمل أن يكون الحديث مؤولا . وهو الذى وجدناه فى عروجنا . ويحتمل أن يكون على ظاهره . فيكون قد وجد فى مجاليه المثالية ومنازله ومناظره الإلهية . شجرة سدر محسوسة لخياله . مشهودة بين كماله . ليجتمع له الكشف المحقق صورة ومعنى . هكذا فى جميع ما أخبر به أنه وجد إياه فى معراجه فإنا نؤمن بما قاله مطلقا ولو وجدناه فيما أعطانا الكشف مقيداً . لأن معراجنا ليس كمعراجه . فنأخذ من حديثه مفهوم ما أعطانا الكشف . ونؤمن أن له من وراء ذلك مالا يبلغه علمنا والذى أعطانا الكشف فى هذا الحديث . هو أن المراد بشجرة السدر : الإيمان . قال ﷺ :

---

(١) سورة البروج الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

« من ملأ جوفه نبقا ملأ الله قلبه إيماناً »(١) . وكونها لها أوراق كآذان الفيلة ضرب مثل لعظم ذلك الإيمان وقوته ، وتدلى كل ورقة منها فى كل بيت من بيوت الجنة عبارة عن إيمان صاحب ذلك البيت .

واعلم بأنا وجدنا السدرة مقاما فيه ثمانى حضرات فى كل حضرة من المناظر العلا ما لا يمكن حصرها ، تتفاوت تلك المناظر على حسب أذواق أهل تلك الحضرات .

أما المقام : فهو ظهور الحق فى مظاهره ، وذلك عبارة عن تجلية فيما هو له من الحقائق الحقية والمعانى الخلقية . الحضرة الأولى : يتجلى فيها باسمه الظاهر من حيث باطن العبد . الحضرة الثانية : يتجلى الحق فيها باسمه الباطن من حيث ظاهر العبد . الحضرة الثالثة : يتجلى الحق فيها باسمه الله من حيث روح العبد . الحضرة الرابعة : يتجلى فيها الحق بصفة الرب من حيث نفس العبد . الحضرة الخامسة : هو تجلى المرتبة وهو ظهور الرحمن فى عقل العبد ، الحضرة السادسة : يتجلى الحق فيها من حيث وهم العبد . الحضرة السابعة : معرفة الهوية يتجلى الحق فيها من حيث نية اسم العبد . الحضرة الثامنة : معرفة الذات من مطلق العبد يتجلى الحق فى هذا المقام بكماله فى ظاهر الهيكل الإنسانى وباطنه ، باطنا بباطن وظاهراً بظاهر ، هوية بهوية ، وإنية بإنية ، وهى أعلى الحضرات وما بعدها إلا الأحدية ، وليس للخلق فيها مجال لأنها من الحق ، وهى من خواص الذات الواجب الوجود . فإذا حصل للكامل شىء من ذلك قلنا هو تجل إلهى له به ، ليس لخلقه فيه مجال فلا ينسب ذلك إلى الخلق بل هو للحق ، ومن هنا منع أهل الله تجلى الأحدية للخلق ، وقد سبق بيان الأحدية فيما مضى ، والله الموفق للصواب .

---

(١) حديث موضوع .

الباب الموفى خمسين : فى روح القدس

اعلم أن روح القدس هو روح الأرواح ، وهو المنزه عن الدخول تحت حيطة كن ، فلا يجوز أن يقال فيه إنه مخلوق لأنه وجه خاص من وجوه الحق قام الوجود بذلك الوجه ، فهو روح لا كالأرواح لأنه روح الله ، وهو المنفوخ منه فى آدم وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾(١) فروح آدم مخلوق وروح الله ليس بمخلوق ، فهو روح القدس : أى أنه الروح المقدس عن النقائص الكونية ، وذلك الروح هو المعبر عنه بالوجود الإلهى فى المخلوقات ، وهو المعبر عنه فى الآية بقوله ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾(٢) يعنى هذا الروح المقدس الذى أقام الله به الوجود الكونى بوجود أينما تولوا بإحساسكم فى المحسوسات أو بأفكاركم فى المعقولات ، فإن الروح المقدس متعين بكماله فيه ، لأنه عبارة عن الوجه الإلهى القائم بالوجود ، فذلك الوجه فى كل شىء هو روح الله وروح الله الشىء نفسه ، فالوجود قائم بنفس الله ونفسه ذاته .

واعلم أن كل شىء من المحسوسات له روح مخلوق قام به صورته ، فالروح لتلك الصورة كالمعنى للفظ ، ثم إن لذلك الروح المخلوق روحا إلهيا قام به ذلك الروح ، وذلك الروح الإلهى هو روح القدس ، فمن نظر إلى روح القدس فى الإنسان رآها مخلوقة لانتفاء وجود قدمين ، فلا قدم إلا الله تعالى وحده ، ويلحق بذاته جميع أسمائه وصفاته لاستحالة الانفكاك ، وماسوى ذلك فمخلوق ومحدث ، فالإنسان مثلا له جسد وهو صورته ، وروح وهو معناه ، وسر وهو الروح ، ووجه وهو المعبر عنه بروح القدس وبالسر الإلهى والوجود السارى ، فإذا كان الأغلب على الإنسان الأمور التى تقتضيها صورته ، وهو المعبر عنها بالبشرية وبالشهوانية ، فإن روحه تكتسب الرسوب المعدنى الذى هو أصل

---

(١) سورة ص آية ٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١١٥ .

الصورة ومنشأ محلها حتى كادت أن تخالف عالمها الأصلى لتمكين المقتضيات البشرية فيها ، فتقيدت بالصورة عن إطلاقها الروحى ، فصارت فى سجن الطبيعة والعادة ، وذلك فى دار الدنيا مثال السجين فى دار الآخرة ، بل عين السجين هو ما استقر فيه روح ، لكن السجين فى الآخرة فى سجن محسوس فى نار محسوسة ، وهى فى الدنيا هذا المعنى المذكور ، لأن الآخرة محل تبرز المعانى فيه صوراً محسوسة فافهم . وبعكسه الإنسان إذا كان الاغلب عليه بالأمور الروحانية ، من دوام الفكر الصحيح وإقلال الطعام والمنام والكلام وترك الأمور التى تقتضيها البشرية ، فإن هيكله يكتسب اللطف الروحى ، فيخطو على الماء ويطير فى الهواء ولا تحجبه الجدران ولا يقصيه بعد البلدان ، ثم تتمكن روحه من محلها لعدم الموانع وهى الاقتضاءات البشرية فيصير فى أعلى مراتب المخلوقات ، وذلك هو عالم الارواح المطلقة عن القيود الحاصلة بسبب مجاورة الاجسام ، وهى المشار إليها فى الآية بقوله ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾(١) ثم غلبت عليه الأمور الإلهية من شهود ما لله ، وذلك أسماؤه الحسنى وصفاته العلا مع تلك الأمور التى تقتضيها البشرية والروحانية صار قدسيا ، فإن البشرية تقتضى الشهوات التى يقوم هذا الجسد بها والأمور التى يعتادها الطبع . والروحية تقتضى الأمور التى يقوم بها ناموس الإنسان من الجاه والاستعلاء والرفعة لأنها عالية المكان . إلى غير ذلك ؛ فإذا ترك الإنسان هذه المقتضيات المذكورة بالروحية أو البشرية وكان دائم الشهود للسر الذى منه أصله . ظهرت أحكام السر الإلهى فيه . فانتقل هيكله وروحه من حضيض البشرية إلى أوج قدس التنزيه . وكان الحق سمعه وبصره ويده ولسانه . فإذا مسح بيده أبرأ الأكمه

---

(١) سورة الانفطار آية ١٣ .

والأبرص ، وإذا نطق لسانه بتكوين شيء كان بأمر الله تعالى وكان مؤيداً بروح القدس ، كما قال الله فى حق عيسى عليه السلام لما كان هذا وصفه ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ فافهم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الباب الحادى والخمسون : فى الملك المسمى بالروح

اعلم أن هذا الملك هو المسمى فى إصطلاح الصوفية بالحق المخلوق به والحقيقة المحمدية نظر الله تعالى إلى هذا الملك بما نظر به إلى نفسه ، فخلقه من نوره وخلق العالم منه ، وجعله محل نظره من العالم : ومن أسمائه أمر الله وهو أشرف الموجودات وأعلاها مكانة وأسماها منزلة ليس فوقه ملك ، وهو سيد المقربين وأفضل المكرمين ، أدار الله عليه رحا الموجودات وجعله قطب فلك المخلوقات ، له مع كل شيء خلقه الله تعالى وجه خاص به يلحقه ، وفى المرتبة التى أوجده الله تعالى فيها يحفظه ، له ثمانية صورهم حملة العرش منه خلق الملائكة جميعها علمها وعنصريها ، فنسبة الملائكة إليه نسبة القطرات إلى البحر ، ونسبة الثمانية الذين يحملون العرش منه نسبة الثمانية التى قام الوجود الإنسانى بها من روح الإنسان ، وهى العقل والوهم والفكر والخيال والمصورة والحافظة والمدركة والنفس .

ولهذا الملك فى العالم الأفقى والعالم الجبروتى والعالم العلى والعالم الملكوتى هيمنة إلهية خلقها الله فى هذا الملك وقد ظهر بكماله فى الحقيقة المحمدية ، ولهذا كان ﷺ أفضل البشر وبه امتن الله تعالى عليه وأمده من أجل النعم التى أسداها الله تعالى إليه فقال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾(١) يعنى إنا جعلنا لروحك وجها كاملا من وجوه

---

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ .

هذا الملك الذى هو أمرنا ، لأن هذا الملك اسمه أمر الله ، وإليه الإشارة فى قوله ﴿ من أمر ربى ﴾ أى وجه من وجوهه . والنكتة أنه لما أطلق ذكر الروح فى سؤالهم عنه بقوله ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾(١) أطلق فى الجواب فقال ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾(٢) أى وجه من وجوه الأمر بخلاف روح محمد ﷺ فإنه قال فيه ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾(٣) وذكره للإهتمام به ونكره لجلالة ذلك الوجه تنبيهاً على عظم قدر محمد ﷺ ، كما فى قوله تعالى ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾(٤) أفاد التنكير عظم ذلك اليوم ، ثم قال ﴿ روحا من أمرنا ﴾ ولم يقل : أوحينا إليك من أمرنا ، لأنه المقصود من الوجود لأن الروح هو المقصود من الهيكل الإنسانى ، ثم أتى بنون الإضافة فى قوله ﴿ من أمرنا ﴾ كل ذلك تأكيداً وتنبيهاً على عظم قدر محمد ﷺ .

ثم اعلم أنه لما خلق الله هذا الملك مرآة لذاته لا يظهر الله تعالى بذاته إلا فى هذا الملك ظهوره فى جميع المخلوقات إنما هو بصفاته ، فهو قطب العالم الدنيوى والأخروى ، وقطب أهل الجنة والنار وأهل الكثيب وأهل الأعراف ، اقتضت الحقيقة الإلهية فى علم الله سبحانه أن لا يخلق شيئاً إلا ولهذا الملك فيه وجه يدور فلك ذلك المخلوق على وجهه فهو قطبه ، لا يتعرف ذلك الملك لأحد من خلق الله تعالى إلا إلى الإنسان الكامل ، فإذا عرفه الولى علمه أشياء ، فإذا تحقق بها صار قطبا يدور عليه رحا الوجود جميعه بحكم النيابة والعارية فاعرفه ، فإنه الروح المذكور فى كتاب الله تعالى حيث قال ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .
(٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .
(٣) سورة الشورى آية ٥٠ .
(٤) سورة هود من الآية ١٠٣ .

ذلك اليوم الحق يوم يقوم هذا الملك فى الدولة الإلهية والملائكة بين يديه وقوفاً صفاً فى خدمته ، وهو قائم فى عبودية الحق متصرف فى تلك الحضرة الإلهية بما أمره الله تعالى به ، وقوله ﴿ لا يتكلمون ﴾ راجع إلى الملائكة دونه فهو مأذون له بالكلام مطلقا فى الحضرة الإلهية لأنه مظهرها الأكمل ومجلاها الأفضل . والملائكة وإن أذن لهم بالتكلم فى الحضرة الإلهية لم يتكلم كل ملك إلا كلمة واحدة ليس فى طاقته أكثر من ذلك ، فلا يمكنه البسط فى كلام ألبتة ، فلا يتكلم الملك فى الحضرة إلا كلمة واحدة ، فأول من يتلقى الامر من الحق هذا الملك،ثم يوجه إلى غيره من الملائكة،فهم الجند،فإذا أمر بنفوذ أمر فى العالم خلق الله منه ملكا لائقا بذلك الأمر فيرسله الروح ، فيفعل الملك ما أمره الروح به ، وجميع الملائكة المقربين مخلوقون منه مثل إسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل ، ومن هو فوقهم كالملك المسمى بالنون ، وهو الملك القائم تحت اللوح المحفوظ ، كالملك المسمى بالقلم ، وسيأتى بيانه فى تلو هذا الباب ، والملك المسمى بالمدبر وهو الملك القائم تحت الكرسى ، والملك المسمى بالمفصل وهو القائم تحت الإمام المبين ، وهؤلاء هم العالون الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم ، حكمة إلهية ، فلو أمروا بالسجود لآدم لعرفهم كل أحد من ذريته ، ألا ترى إلى الأملاك لما أمروا بالسجود لآدم كيف ظهروا على كل من بنى آدم فتتصور لهم فى النوم بالأمثال الإلهية التى يظهر بها الحق للنائم ؛ فتلك الصور جميعها ملائكة لله فتتنزل بحكم ما يأمرها الملك الموكل بضرب الأمثال فتصور بكل صور للنائم ، ولهذا يرى النائم أن الجماد يكلمه ولو لم يكن روحا متصورا بالصورة الجمادية لم يكن يتكلم ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الرؤيا الصادقة وحى من الله »(١) وذلك أن الملك ينزل بها . وقال « إن الرؤيا الصادقة جزء

---

(١) حديث رواه البخارى .

من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »(١) الحديث ؛ ولما كان إبليس عليه اللعنة من جملة المأمورين بالسجود لآدم ولم يسجد أمر الشياطين وهم نتيجه وذريته أن يتصوروا للنائم بما يتصور به الملائكة ، فظهرت الرؤيا الكاذبة ، والحاصل من هذا الكلام جميعه أن العالين لم يؤمروا بالسجود لآدم ، ولهذا لم يتوصل إلى معرفتهم إلا الإلهيون من بنى آدم منحة إلهية بعد الخلوص من الأحكام الآدمية وهى المعانى البشرية . ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى لابليس ﴿ مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ يعنى أن العالين لا سجود عليهم . وقد ذكر الإمام محى الدين بن العربى هذا المعنى فى الفتوحات المكية . ولكنه لم ينص على أحد أنه من العالين ، ثم استدل بهذه الآية .

واعلم أنه لا يصح حمل السؤال من الحق تعالى على الاستفهام ، فهو من حيث وقع إما بمعنى النفى أو بمعنى الإيناس أو بمعنى الإيناس أو بمعنى الإيحاش ، فهذا السؤال من الحق لإبليس فى قوله ﴿ ما منعك أن تسجد ﴾ تهديد وإيحاش ، وألف الاستفهام فى ﴿ أستكبرت ﴾ بمعنى الإثبات ، يعنى استكبرت بقولك ﴿ أنا خير منه ﴾ وأم فى قوله ﴿ أم كنت من العالين ﴾ بمعنى النفى يعنى لست من العالين الذين لم يؤمروا بالسجود ، والاستفهام الذى بمعنى الإيناس والبسط قوله ﴿ وما تلك بيمينك ياموسى ﴾ ولهذا أجاب موسى بقوله ﴿ هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى * ولى فيها مآرب أخرى ﴾(٢) لما علم منه أنه يريد منه ذلك ، وإلا كان الجواب عصاى ، فهذا أدب أهل الله مع الله فى حضرته ، أبرزها الله لك فى الإنسان الكامل لتقرأه فتعمل بموجبه فتكتب مع السعداء ، فتأدب بها .

---

(١) الحديث رواه البخارى .
(٢) سورة طه من الآية ١٨ .

جال بنا مركب البيان فى بحر التبيان إلى أن أشرف بنا على الساحل ، فلنرجع إلى بحر الحقائق فى التعبير عن الملك المسمى بالروح .

اعلم أن الروح له أسماء كثيرة على عدد وجوهه ، يسمى بالقلم الأعلى ، وبروح محمد ﷺ ، وبالعقل الأول ، وبالروح الإلهى من تسمية الأصل بالفرع ، وإلا فليس له فى الحضرة إلا اسم واحد وهو الروح ، ولهذا خصصناه فى عقد الباب عليه ، ولو أخذنا فى شرح ما حواه هـذا الملك من العجائب والغرائب احتجنا إلى كتب ومجلدات كثيرة ، ولقد اجتمعت به فى بعض الحضرات الإلهية فتعرف إلى وسلم علىّ فرددت عليه السلام بعد أن كدت أذوب من هيبته وأفنى من حسن بهجته ؛ فلما باسطنى بالكلام بعد أن حيا ودار بإيناسه كاس الحيا ، سألته عن مكانته ومحتده وحضرته ومستنده وعن أصله وفرعه وعن هيئته ونوعه وعن صفته واسمه وعن حليته ورسمه فقال : إن الأمر الذى خطبته والسر الذى طلبته عزيز المرام عظيم المقام ، لا يصلح إفشاؤه بالتصريح ولا يكاد يفهم بالكتابة والتلويح ، فقلت له : علم بالتلويح والكناية لعلى أفهمه إذا سبقت لى به العناية ، فقال : أنا الولد الذى أبوه ابنه ، والخمر الذى كرمه دنه ، أنا الفرع الذى أنتج أصله ، والسهم الذى قوسه نصله ، اجتمعت بالأمهات اللاتى ولدتنى وخطبتها لأنكحها فأنكحتنى ، فلما سرت فى ظاهر الأصول عقدت صورة المحصول ، فانثنيت فى نفسى أدور فى حسى وقد حملت أمانات الهيولى وأحكمت الحضرة الموصوفة بالأولى . وجدتنى أبا الجميع وأم الكبير والرضيع . هذه الحضرة والأمانة (١) . وأما المحتد والمكانة فاعلم أنى كنت عينا مشهوداً كان لى فى الغيب حكما موجوداً . فلما أردت معرفة ذلك الحكم المحتوم ومشاهدته فى جانب الأمر المحكوم . عبدت الله تعالى بذلك

---

(١) هذا من قبيل الشطح والجذب .

الاسم كذا وكذاسنة وأنا عن اليقظة فى سنة ، فنبهنى الحق سبحانه وتعالى وأقسم باسمه وآلى أنه ﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾(١) فلما حضرت القسمة وأحرزت ما أعطانى الاسم ، أعنى باسمه ، زكتنى الحقيقة المحمدية بلسان الحضرة الرسولية ، فقال عليه الصلاة والسلام « خلق الله آدم على صورته »(٢) ولا ريب فى هذا ولا كلام ، ولم يكن آدم إلا مظهراً من مظاهرى أقيم خليفة على ظاهرى فعلمت أن الحق جعلنى المراد والمقصود من العباد ، فإذا بالخطاب الأكرم عن المقام الأعظم : أنت القطب الذى تدور عليه أفلاك الجمال ، والشمس الذى تمد بضوئها بدر الكمال . أنت الذى أقمنا له الأنموذج وأحكمنا من أجله الزور فوتج المراد بما يكنى عنه بهند وسلمى أو يلوح بأنها عزة وأسما ، فالكل إلا أنت يإذا الأوصاف السنية والنعوت الزكية ، لا يدهشك الجمال ولا يرعشك الجلال ولا تستبعد إستيعاب الكمال ، أنت النقطة وهى الدائرة ، وأنت اللابس وهى الثياب الفاخرة ، قال الروح : فقلت أيها السيد الكبير والعلام الخبير نسألك بالتأييد والعصمة ، أخبرنى عن دور الحكمة وبحر الرحمة بأن جعلت صدفها سواقى وما انعقدت سوى من ماقى ، ولم وسم طيرى باسم غيرى وكتم هذا الأمر رأسا فلم يعلم لحديثه بأساً ؟ فقال : اعلم أن الحق تعالى أراد أن تتجلى أسماؤه وصفاته لتعرف الخلق ذاته ، فأبرزها فى المظاهر المتميزة والبواطن المتحيزة وهى الموجودات الذاتيـة المتجلية فى المراتب الإلهيـة ، ولو أطلق الأمر كفاحا وأطلق لهذا العبد سراحا ، جهلت الرتب ، وفقدت الإضافات والنسب، فإن الإنسان إذا أشهد غيره فقد استوعب خيره وسهل عليه الاتباع وأخذ فى ذلك ما استطاع ، فلهذا أرسل الله الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام بكتابه المبين وخطابه المتين ، يترجم عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى ،

---

(١) سورة الشمس آية ٩ ، ١٠ .

(٢) الحديث متفق عليه .

ليعلم ان ذاته لها التعالى عن الإدراك فلا يعرفها غيرها ولا إشراك ، ولهذا أمرنا السيد الأواه فقال(١) : « تخلقوا بأخلاق الله » لتبرز أسراره المودعة فى الهياكل الإنسانية ، فيظهر بذلك علو العزة الربانية ، ويعلم حق المرتبة الرحمانيـة ، ولا سبيل إلى معرفتـه بحسب حصره إذ هو القائل عن نفسه ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾(٢) . هذا در الحكمة وبحر الرحمة . وكون الصدف سواك ، وما انعقدت دراريه إلا من ماك ، فهو القشر على اللباب ، لئلا يرتقى إلى الحكمة وفصل الخطاب سوى من أهله لذلك فى أم الكتاب . وأما وسم طيرك باسم غيرك فلإستيعاب خيرك . وأما كتم الأمر فلعدم الطاقة على خوض البحر ، فإن العقول تقصر عن الإدراك ، ولا محيص لها عن قيدها ولا إنفكاك . وهذه الجملة قشور العبارات ، وقبور الإشارات جعلناها عن الوجه نقابا . لتحجبه عمن ليس من أهله حجابا ، فافهم إن كنت مدركا خطابا ، فالوجود التى برزت فى الظواهر هى الأبكار التى استترت فى البواطن حجب على تلك الوجوه ، واستتار هذا الأمر المنكوس تحار فيه الأفكار .

قال الراوى : فما زلت أشرب مما سقانى الروح الأسمى ، وبالرى منه ما زلت كما كنت أو أظما ، إلى أن طلع شمس الاقتدار وأسفر فجر الاسم كالنهار ، وإذا بالقمرى قد غنى على وكرى ، فترجم عن الحال، ثم أنشد عن الملك المسمى بالروح فقال :

خـــود لها فى حسنها طلعات	الكل معنى الوصف وهى الذات
هى روح أشباح الجمال وإنها	نفى ولكن بعـــدها الإثبات
هى صورة الحسن التى لوحتها	وكنيت عنها أنها الهنــدات

(١) حديث شريف .
(٢) سورة الزمر آية ٦٧ .

وهى المعانى الباطنات حقيقة ... عن حسنكم لكن لها ظهرات
كل العوالم تحت مركز قطبها ... هى جمعهم وهمو لها أشتات
كنيت بحق إنها لحقيقة ... خلق الإله وأنها الكلمات
فقدت قديماً ثم أحدثها الذى ... يمضى ويفعل ما اقتضته صفات
لكنها لما تعين ذاتها ... ظهرت بأحكام لها لهجات
فغدت وقد لبست ثياب جمالها ... توهو بحسن دونه الحسنات
وتقول إن وجودها لا مسبق ... بالإنعدام ولا لها لحقات
وأنت تشاهد وصفها بكمالها ... عينا وحق الذات تحقيقات

الباب الثانى والخمسون : فى القلب وأنه محتد إسرافيل عليه السلام من محمد صلى الله عليه وسلم ومجد وكرم وعظم

القلب عرش الله ذو الإمكان ... هو بيته المعمور فى الإنسان
فيه ظهور الحق فيه لنفسه ... وعليه حقاً مستوى الرحمن
خلق الإله القلب مركز سره ... ومحيط دور الكون والاعيان
فهو المعبر عنه فى تحقيقهم ... بالمنظر الأعلى ومجلى الآن
والطور فيه مع الكتاب وبحره ... والرق والسقف الرفيع الشان
وهو الذى ضرب الإله بنوره ... مثلا به فى محكم القرآن
بالزيت والمصباح من مشكاته ... وزجاجة المتكوكب اللمعان
وهو المقلب والمقلب والذى ... يعلو فيدنو رفعة وتدانى
منه الظلام له ومنة نوره ... وبه ينير عليه فى الأكوان
وإليه جاء رسوله منه له ... لينال منه مقامه الربانى
ملكا بطاعته وربا بالعلا ... وبقبحه لحقيقة الشيطان
رمز وكل الناس فيه حائر ... ما بين ذى ربح وذى خسران

ما مخزن الأسرار إلا درة ... هى بحرها مثلا وفى التبيان
بيت له باب عظيم ختمــه ... لكنه للبـاب مصراعان
يقصيك مصراع إلى أعلى العلا ... وإلى الجحيم فسوف يدنى الثانى
والباب أن قضيت يوما ختمه ... وفتحته من غير ما كسران
يهنيـك بلغت المنى بكماله ... ونزلت ثم بساحة الرحمن
لكن إذا كسرته تأتى الحمى ... وتقيم فيه مكانة السلطان
هذا مثال القلب فاعـلم سره ... ولسوف أظهرة على كتمان
والبيت سر القلب أما بابه ... فاسم الإله ووصفه السبحانى
والختم فهو الذات قدس ذاته ... والفض علم الحق بالإيمـان
والفتح فهو شهود عين يقينه ... فيما حويت بمقـلة وعيان
وبلوغك الأسبـاب منه تحقق ... بجوارح دانت لها الثقلان
ثم التهـنى بالتعـالى إنه ... هو ساحة الرحمن فى الإنسان
والكنز فاعـلم ذلك دركه ... بعد الوجـود لنكتة الديان
حتى إذا لم تحترم مقـداره ... سقط العزيز وذاك ذل هوان
من لم يعظم مشعر التحقيق لم ... يخلص من التكوين بين كيان
فوصول سرك للحمى هو ذاته ... لكن بلا حسن ولا إحسان
ولقد يرجى للذى هو هكذا ... من نفخة تأتى بريح البـان
هذا ومصراعاه واحـده الرضا ... وهو الذى يفضى إلى رضوان
والآخر الغضب الشديد ووسعه ... وهـو المحال الرحب للطغيان
فعلامة المرضى طاعـة ربه ... وعلامة المغضوب فى العصيان
وعـلامة المهنى يفعل ما يشاء ... وعلامـة المكسور فى العرفان
هذى العروسة زفها لك خاطرى ... فى القلب فوق منصة الميدان
فانظر إلى الحسناء فيك بعينها ... تجلى عليك لديك كل معان

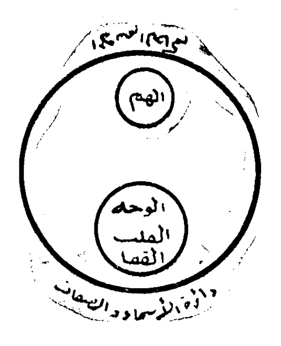
اعلم وفقك الله أن القلب هو النور الأزلى والسر العلى المنزل فى عين الأكوان لينظر الله تعالى به إلى الإنسان ، وعبر عنه فى الكتاب بروح الله المنفوخ فى روح آدم حيث قال ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾(١) ويسمى هذا النور بالقلب لمعان : منها : أنه لبابة المخلوقات وزبدة الموجودات جميعها أعاليها وأدانيها ، فسمى بهذا الاسم لأن قلب الشىء خلاصته وزبدته . ومنها : أنه سريع التقلب وذلك لأنه نقطه يدور عليها محيط الأسماء والصفات ، فإذا قابلت اسما أو صفة بشرط المواجهة انطبعت بحكم ذلك الاسم والصفة ، وقولى بشرط المواجهة تقييد لأن القلب فى نفسه لا يزال مقابلا بالذات لجميع أسماء الله تعالى وصفاته ، لكن يقابله فى التوجه شىء ثان ، وهو أن يكون القلب متوجهاً لقبول أثر ذلك الشىء فى نفسه فينطبع فيه ، فيكون الحكم عليه لذلك الاسم ، ولو كانت الأسماء جميعها تحكم عليه فإنها تكون فى ذلك الوقت مستترة الحكم تحت سلطان الاسم أو الأسماء الحاكمة عليه فيكون الوقت ذلك الاسم فيتصرف فى القلب بما يقتضيه .

ثم اعلم أن وجه القلب يكون دائما إلى نور فى الفؤاد يسمى الهم هو محل نظر القلب وجهة توجهه إليه ، فإذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة محاذاة الهم نظره القلب فانطبع بحكمة ثم يزول فيعقبه اسم آخر ، إما من جنسه أو من جنس غيره ، فيجرى معه ما جرى له مع الاسم الأول وهكذا على الدوام ، وأما ما كان من قفا القلب فإنه لا ينطبع به .

ثم اعلم أن القلب ما له قفا ينص عليه بل كله وجه لكن موضع الهم منه يسمى وجها ، وموضع الفراغ منه يسمى قفا ، وهذه الدائرة فيها كيفية ما ذكرناه فافهم :

---

(١) سورة ص من آية ٧٢ .



واعلم أن الهم لا يكون له من القلب جهة مخصوصة ، بل يكون تارة إلى فوق وقد يكون تارة إلى تحت وعن اليمين وعن الشمال على قدر صاحب ذلك القلب ، فإن من الناس من يكون همه أبداً إلى فوق كالعارفين . ومنهم من يكون همه أبداً إلى تحت كبعض أهل الدنيا ، ومنهم من يكون همه أبداً إلى اليمين كبعض العباد . ومن الناس من يكون همه أبداً إلى الشمال وهو موضع النفس ، فإنها محلها فى الضلع الأيسر وأكثر البطالين لا يكون له هم إلا نفسه . وأما المحققون فلا هم لهم فليس لقلوبهم موضع يسمى قفا ، بل يقابلون بالكلية كلية الأسماء والصفات فليس يختص وقتهم باسم دون اسم غيره ، لأنهم ذاتيون فهم مع الحق بالذات لا بالأسماء والصفات فافهم . ومنها : أى من المعانى التى تسمى القلب من أجلها قلباً ، فهو باعتبار أن الأسماء والصفات له كالقلوب ليفرغ نوره فيها وانصبابه إليها فلذلك التفريغ قد يسمى قلباً من قولهم قلبت الفضة فى القالب قلباً وهو من وضع المصدر اسماً للمفعول ، ومنها : أنه مقلوب المحدثات بمعنى عكسها يعنى نوره قديم إلهى . ومنها : أنه الذى ينقلب إلى المحل الأصلى الإلهى الذى بدأ منه قال الله تعالى ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾(١) أى إنقلاب إلى الحق . فهو صرف وجه الهمة من العدوة الدنيا وهى الظواهر إلى العدوة

---

(١) سورة ق آية ٣٧ .

القصوى وهى الحقائق وبواطن الأمور . ومنها : أنه كان خلقاً فانقلب ، يعنى كان مشهده خلقياً فصار مشهده حقياً ، وإلا فالخلق لا يصير حقاً لأن الحق حق والخلق خلق ، والحقائق لا تتبدل ، ولكن من كان أصله من شىء رجع إليه قال تعالى ﴿ وإليه تقلبون ﴾(١) . ومنها : أنه يعنى القلب يقلب الأمور كيف يشاء ، فإن القلب إذا كان على فطرته التى خلقه الله عليها تقلبت له الأمور حسب ما يحبه ويتصرف فى الوجود كيفما شاء ، والفطرة التى خلقه الله عليها هى الأسماء والصفات ، وهى قوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾(٢) لكنه لما نزل مع الطبيعة إلى حكم العبادة وانتوال الشهوات ، وكان هذا غالب حكم البشر ، لأنه كالثوب الأبيض ينطبع فيه أول مايقع عليه ، وأول مايعقله الطفل أحوال الظاهر من أهل الدنيا فينطبع فيه تشتتهم وتفرقهم وانحطاطهم إلى العوائد والطبائع ، فيصير مثلهم وهو قوله تعالى ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾(٣) فإن كان من أهل السعادات الإلهية وعقل بعد ذلك عن الحق تعالى الأمور التى تقتضيه إلى المكانة الزلفى والمراتب العليا ، فإنه يتزكى يعنى يتطهر مما تدنس به من اكتسابه البشريات ، فهو بمنزلة من يغسل ثوبه مما طبع فيه ، وعلى قدر تمكن الطبائع من قلبه تكون التزكية ، فإن كان ممن لا تتمكن فيه البشريات والأمور العاديات كل التمكن ، فإنه يتزكى بأقل القليل فهو بمنزلة من لم يتمكن لون النقش فى ثوبه فغسله بالماء فعاد إلى أصله ، والآخر الذى تمكنت منه الطبائع والعاديات بمنزلة من استولى النقش فى ثوبه وتمكن منه فلا ينقيه إلا الطبخ بالنار والجص ، وهو السلوك الشديد وقوة المجاهدات والمخالفات ، فهذا على قدر سلوكه فى الطريق ودوام مخالفته يكون تزكيته وصفاؤه وضعفه على قدر ضعف

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢١ .
(٢) سورة التين آية ٤ .
(٣) سورة التين آية ٥ .

عزائمه فى ذلك ، وهؤلاء الذين استثناهم الحق فقال ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾(١) يعنى بما أودعناهم من الأسرار الإلهية التى نبهناهم عليها فى كتبنا المنزلة على رسلنا . وذلك حقيقة إيمانهم بنا وبالرسل ، وهو وقوعهم على نكتة التوحيد فآمنوا وعملوا ما يصلح للحضور مع الله تعالى من الأعمال القلبية بأحسن العقائد ودوام المراقبة وأمثالها ، ومن الأعمال القالبية كالفرائض والسلوك وعدم المخالفة ، فهذا معنى قوله ﴿ وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾(٢) يعنى أنهم نالوا ما هو لهم فليس ذلك بموهوب حتى يكون ممنونا بل ظفروا بما اقتضته حقائقهم التى خلقناهم عليها من أصل الفطرة ، فكل مانالوه إنما هو باستحقاق جعلناه لهم ، ولو كان الكل من خزائن الجود فإن التجليات الذاتية لا تسمى موهبة ، بل هى أمور استحقاقية إلهية ، وإلى هذا المعنى أشار شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فى قوله :

ما زلت أرتع فى ميادين الرضا   حتى بلغت مكانة لا توهب

(ومنها) : أن القلب لحقائق الوجود كالمرآة للوجه فهو عكسه ، يعنى أنه لما كان العالم سريع التغير فى كل نفس انطبع عكسه فى القلب ، فهو كذلك سريع التغير ؛ وما سمى ذلك الانطباع عكسا وقلبا إلا لأن المرآة إذا قابلتها بشىء إنما ينطبع فيه عكسه لا عينه ، فإن كانت الكتابة مثلا من اليمين إلى الشمال انطبع فيه من الشمال إلى اليمين ، حتى لو قابلت المرآة بصورة إنما تقابل يمين الصورة بشمال المرآة ، هذا لا يختلف أبداً ، فلهذا سمى القلب قلبا . وعندى أن العالم إنما هو مرآة القلب ، فالأصل والصورة هو القلب ، والفرع والمرآة هو العالم ، وعلى هذا التقدير يصبح فيه أيضا اسم القلب لأن كل واحد من

---

(١) سورة التين آية ٦ .
(٢) سورة التين آية ٦ .

الصورة والمرآة قلب الثانى : اى عكسه فافهم . وذليلنا فى أن القلب هو الأصل والعالم هو الفرع قوله تعالى ﴿ ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ﴾(١) . ولو كان العالم هو الأصل لكان أولى بالوسع من القلب ، فعلم أن القلب هو الأصل وأن العالم هو الفرع .

ثم اعلم أن هذا الوسع على ثلاثة أنواع كلها سائغة فى القلب :

النوع الأول : وهو وسع العلم ، وذلك هو المعرفة بالله ، فلا شىء فى الوجود يعقل آثار الحق ويعرف ما يستحقه كما ينبغى إلا القلب ، لأن كل شىء سواه إنما يعرف ربه من وجه دون وجه ، وليس لشىء غير القلب أن يعرف الله من كل الوجوه ، فهذا وسع .

والنوع الثانى : هو وسع المشاهدة ، وذلك هو الكشف الذى يطلع القلب به على محاسن جمال الله تعالى ، فيذوق لذة أسمائه وصفاته بعد أن يشهدها ، فلا شىء من المخلوقات يذوق ما لله تعالى إلا القلب ، فإنه إذا تعقل مثلا علم الله بالموجودات وسار فى فلك هذه الصفة ذاق لذاتها وعلم بمكانة هذه الصفة من الله تعالى ، ثم القدرة كذلك ، ثم فى جميع أوصاف الله تعالى وأسمائه فإنه يتسع لذلك ويذوقه كما يذوق مثلا معرفة غيره وقدرة غيره لسيره فى أفلاكها ، وهذا وسع ثان وهو للعارفين .

النوع الثالث : وسع الخلافة وهو التحقق بأسمائه وصفاته حتى أنه يرى ذاته ذاته . فتكون هوية الحق عين هوية العبد ، وإنيته عين إنيته ، واسمه اسمه ، وصفته صفته ، وذاته ذاته ، فيتصرف فى الوجود تصرف تصرف الخليفة فى ملك المستخلف وهذا ووسع المحققين . وهنا نكات فى كيفية هذا التحقق وأين محل

---

(١) حديث قدسى .

كل اسم منه من العارفين أضربنا عنها ، واكتفينا بهذا القدر من التنبيه عليها لئلا يفضى ذلك إلى إفشاء سر الربوبية ، وهذا الوسع قد يسمى وسع الاستيفاء .

اعلم وفقنا الله وإياك أن الحق تعالى لا يمكن دركه على الحيطة والاستيفاء أبداً لا لقديم ولا لحديث ، أما القديم فلأن ذاته لا تدخل تحت صفة من صفاته وهى العلم فلا يحيط بها وإلا لزم منه وجود الكل فى الجزء ، تعالى الله عن الكل والجزء ، فلا يستوفيها العلم من كل الوجوه ، بل إنه سبحانه وتعالى لا يجهل نفسه ، لكن يعرفها حق المعرفة ، ولا يقال إن ذاته تدخل تحت حيطة صفة العلمية ولا تحت صفة القدرة تعالى الله ، وكذلك المخلوق فإنه بالأولى لكن هذا الوسع الكمالى الذى قلنا إنه الوسع الاستيفائى إنما هو إستيفاء كمال ما عليه المخلوق من الحق لا كمال ما هو الحق عليه ، فإن ذلك لا نهاية له ، فهذا معنى قوله ﴿ ووسعنى قلب عبدى المؤمن ﴾(١) . ولما خلق الله تعالى العالم جميعه من نور محمد ﷺ ، كان المحل المخلوق منه إسرافيل قلب محمد ﷺ ، كما سيجىء بيان خلق جميع الملائكة وغيرهم كل من محل منه ، فلهذا لما كان إسرافيل عليه السلام مخلوقا من هذا النور القلبى ، كان له فى الملكوت هذا التوسع والقوة ، حتى أنه يحيى جميع العالم بنفخة واحدة بعد أن يميتهم بنفخة واحده للقوة الإلهية التى خلقها الله تعالى فى ذات إسرافيل ، لأنه محتده القلب والقلب قد وسع الله تعالى لما فيه من القوة الذاتية الإلهية ، فكان إسرافيل عليه السلام أقوى الملائكة وأقربهم من الحق أعنى المنصريين من الملائكة ، فافهم ذلك ، والله تعالى أعلم .

---

(١) حديث قدسى .

الباب الثالث والخمسون : فى العقل الأول وأنه محتد جبريل عليه السلام من محمد صلى الله عليه وسلم

اعلم وفقنا الله وإياك ودلك على نفسك وإلى التحقيق به هداك ، أن العقل الأول هو محل الشكل العلمى الإلهى فى الوجود ، لأنه القلم الاعلى ثم ينزل منه العلم إلى اللوح المحفوظ ، فهو إجمال اللوح واللوح تفصيله ، بل هو تفصيل علم الإجمال الإلهى واللوح هو محل تعينه وتنزله ، ثم فى العقل الأول من الأسرار الإلهية مالا يسعه اللوح ، كما أن فى العلم الإلهى مالا يكون العقل الأول محلا له ، فالعلم الإلهى هو أم الكتاب ، والعقل الأول هو الإمام المبين ، واللوح هو الكتاب المبين ؛ فاللوح مأموم بالقلم تابع له ، والقلم الذى هو العقل الأول حاكم على اللوح مفصل للقضايا المجملة فى دواة العلم الإلهى المعبر عنها بالنون ، والفرق بين العقل الأول والعقل الكلى وعقل المعاش ، أن العقل الأول هو نور علم إلهى ظهر فى أول تنزلاته التعينية الخلقية ، وإن شئت قلت أول تفصيل الإجمال الإلهى ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام(١) « إن أول ما خلق الله العقل » ، فهو أقرب الحقائق الخلقية إلى الحقائق الإلهية ، ثم إن العقل الكلى هو القسطاس المستقيم ، فهو ميزان العدل فى قبة اللوح الفصل . وبالجملة فالعقل الكلى هو العاقلة : أى المدركة النورية التى ظهر بها صور العلوم المودعة فى العقل الأول ، لا كما يقول من ليس له معرفة بهذه الأمور ، لأن العقل الكلى عبارة عن شمول أفراد الجنس للعقل من كل ذى عاقلة وهذا منقوض ، لأن العقل لا تعدد له ، إذ هو جوهر فرد ، وهو فى المثل كالعنصر للأرواح الإنسانية

---

(١) حديث مرسل وسنده ضعيف ، انظر زوائد الزهد لعبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وكشف الخفا ١ / ٢٧٥ .

والملكية والجنية ، لا للأرواح البهيمية ، ثم إن العقل المعاش هو النور الموزون بالقانون الفكرى . فهو لا يدرك إلا بآلة الفكر ثم إدراكه بوجه من وجوه العقل الكلى فقط لا طريق له إلى العقل الأول، لأن العقل الأول منزه عن القيد بالقياس وعن الحصر بالقسطاط ، بل هو محل صدور الوحى القدسى إلى مركز الروح النفسى ، والعقل الكلى هو الميزان العدل للأمر الصلى ، وهو منزه عن الحصر بقانون دون غيره ، بل وزنه للأشياء على كل معيار ، وليس لعقل المعاش إلا معيار واحد وهو الفكر ، وليست له إلا كفة واحدة وهى العادة ، وليس له إلا طرف واحد وهو المعلوم ، وليس له إلا شوكة واحدة وهى الطبيعة ، بخلاف العقل الكلى ، فإن له كفتين : إحداهما الحكمة ، والثانية القدرة ، وله طرفان : أحدهما الاقتضاءات الإلهية ، والثانى القوابل الطبيعية . وله شوكتان : إحداهما الإرادة الإلهية ، والثانية المقتضيات الخلقية ، وله معاير شتى . ومن جملة معايره أن لا معيار ، ولهذا كان العقل الكلى هو القسطاط المستقيم ، لأنه لا يحيف ولا يظلم ، على كفة واحدة ولا يفوته شيء ، بخلاف عقل المعاش فإنه قد يحيف ويفوته أشياء كثيرة وطرف واحد ، فقياس عقل المعاش لا على التصحيح ، بل على سبيل الخرص ، وقد قال الله تعالى ﴿قتل الخراصون﴾(١) وهم الذين يزنون الأمور الإلهية بعقولهم فيبخسون ، لأنهم لا ميزان لهم وإنما هم خراصون ، والخرص بمعنى الفرض ، فنسبة العقل الأول مثلا نسبة الشمس ، ونسبة العقل الكلى نسبة الماء الذى وقع فيه نور الشمس ، ونسبة عقل المعاش نسبة شعاع ذلك الماء إذا وقع على جدار ، فالناظر مثلا فى الماء يأخذه هيئة الشمس على صحة ، ويأخذ نوره على جلية ، كما لو رأى الشمس لا يكاد يظهر الفرق بينهما ، إلا أن الناظر إلى الشمس يرفع رأسه

---

(١) سورة الذاريات آية ١٠ .

إلى العلو ، والناظر إلى الماء ينعكس رأسه إلى أسفل ، فكذلك العقل الكلى ينعكس بنور قلبه إلى محل الكتاب ، فيأخذ منه العلوم المتعلقة بالأكوان ، وهو الجد الذى أودعه لله تعالى فى اللوح المحفوظ ، بخلاف العقل الأول فإنه يتلقى عن الحق بنفسه ، ثم إن العقل الكلى إذا أخذ من اللوح وهو الكتاب إنما يأخذ عليه إما بقانون الحكمة وإما بمعيار القدرة على قانون وغير قانون ، فهذا الاستقراء منه إنتكاس ، لأنه من اللوازم الخلقية الكلية لا يكاد يخطىء ، إلا فيما استأثر الله به ، فإن الله إن أنزله إلى الوجود لا ينزله إلا إلى العقل الأول فقط ، هكذا سنة الله فيما استأثر به من علومه ، إلا أن لا يوجد فى اللوح المحفوظ .

واعلم أن العقل الكلى قد يستدرج به أهل الشقاوة فيفتح به عليهم فى محال أهويتهم لا فى غيرها ، فيظفرون على أسرار القدرة من تحت سجف الأكوان ، والأفلاك والنور والضياء . وأمثال ذلك ، فيذهبون إلى عبادة هذه الأشياء ، وذلك بمكر الله بهم والنكتة فيه . أن الله سبحانه يتجلى فى لباس هذه الأشياء التى يعبدونها ، فيدركها هؤلاء بالعقل الكلى فيقولون بأنها هى الفاعلة ، لأن العقل الكلى لا يتعدى الكون فلا يعرفون الله به ، لأن العقل لا يعرف الله إلا بنور الإيمان ، وإلا فلا يمكن أن يعرفه العقل من نظره وقيامه ، سواء كان عقل معاش أو عقلا كلياً ، على أنه قد ذهب أئمتنا إلى أن العقل من أسباب المعرفة ، وهذا من طريق التوسع لإقامة الحجة . وهو مذهبنا ، غير أنى أقول : إن هذه المعرفة المستفادة بالعقل منحصرة مقيدة بالدلائل والآثار ، بخلاف معرفة الإيمان فإنها مطلقة ، فمعرفة الإيمان متعلقة بالأسماء والصفات ، ومعرفة العقل متعلقة بالآثار ، فهى ولو كانت معرفة لكنها ليست عندنا بالمعرفة المطلوبة لأهل الله تعالى ، ثم نسبة عقل المعاش إلى العقل الكلى نسبة الناظر إلى الشعاع ، ولا يكون الشعاع إلا من جهة واحـــدة ، فهو لا يتطرق إلى هيئة الشمس ولا يعرف صورته ، ولا يعلم النور المتشكل فى الماء لا طوله ولا عرضه ،

بل بخرص بالفرض والتقدير فتارة يقول بطوله لما يوهم أنه دليل على الطول ، وتارة يقول بعرضه كذلك ، فهو على غير تحقيق من الامر ، وكذلك عقل المعاش فإنه لا يخطىء إلا من جهة واحدة، وهى وجهة النظر والدليل بالقياس فى الفكر ، فصاحبها إذا أخذ فى معرفة الله به فإنه لا يخطىء ، ولهذا متى قلنا بأن الله لايدرك بالعقل أردنا به عقل المعاش ، ومتى قلنا أنه يعرف بالعقل أردنا به العقل الأول ، فلهذا قال الله تعالى(١) ﴿ قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون ﴾ وإنما قتلوا لقطعهم بما خرصوه وحكمهم على الامر بأنه على ذلك فهلكوا ، لأنهم قطعوا بما يهلكهم ويطمس على أنوارهم فقتلوا ، وهم القاتلون لأنفسهم إذا خرصوا عليها بانتفاء بدنها وقطعوا عليها أن لا حياة لها بعد مماتهم ، ثم عاندوا الخبر الصادق الذى يخبرهم إلى سعادتهم فلم يؤمنوا به ، فلهذا هلكوا وقتلوا ، وما أهلكهم إلا أنفسهم ، وما قتلهم إلا ما هم عليه ، فافهم .

ثم اعلم أن العقل الاول والقلم الأعلى نور واحد فنسبته إلى العبد يسمى العقل الاول ، ونسبته إلى الحق يسمى القلم الاعلى . ثم إن العقل الاول المنسوب إلى محمد ﷺ خلق الله جبريل عليه السلام منه فى الازل ، فكان محمد ﷺ(٢) أبا لجبريل وأصلا لجميع العالم ، فاعلم إن كنت ممن يعلم فديت من يعقل فديته من يفهم ، ولهذا وقف عنه جبريل فى إسرائه وتقدم وحده ، وسمى العقل الأول بالروح الامين لأنه خزانة علم الله وأمينه ، ويسمى بهذا الاسم جبريل من تسمية الفرع باسم أصله فافهم والله ، أعلم .

---

(١) سورة الذاريات آية ١٠ ، ١١ .
(٢) هذا الكلام على سبيل الجذب والسكر .

الباب الرابع والخمسون : فى الوهم ، وأنه محتد عزرائيل عليه السلام من محمد ﷺ

وفيه قال رحمه الله :

نور على الملكوت فوق الأطلس	بالوهم عبر عنه بين الأنفس
هو آية الرحمن أعنى صورة	فيها تجــلى بالجلال الأكيس
هو قهره هو غلبه هو حكمه	هو ذاته هو كل شىء أرأس
هو فعله هو وصفه هو إسمه	هو منه يجلى كل حسن أنفس
هو نقطة الخال الذى قد عبروا	بيمينه عنــه لمن لم يغلس
ويمينها القسم الذى هو قشره	ستر على الحوراء مثل السندس
فاختبر ولا تعتبر فما هى دهشة	لـكنها مثل الظــلام الحندس

خلق الله وهم محمد ﷺ من نور اسمه الكامل ، وخلق الله عزرائيل من نور وهم محمد ﷺ ، فلما خلق الله وهم محمد ﷺ من نوره الكامل أظهره بالوجود بلباس القهر ، فأقوى مقهور بوهمه شىء يوجد فى الإنسان القوة الوهمية فإنها تقلب العقل والفكر ، والمصورة والمدركة وكل قوى فيه فإنه مقهور بوهمه ، وأقوى الملائكة عزرائيل لأنه خلق منه ، ولهذا حين أمر الله تعالى الملائكة أن تقبض من الأرض قبضة ليخلق منها آدم عليه السلام لم يقدر أحد أن يقبض منها إلا عزرائيل ، لأنه لما نزل لها جبريل أقسمت عليه بالله أن يتركها فتركها ومضى ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل وجميع الملائكة المقربين ، فلم يقدر أحد أن يتهجم على قسمها فيقبض منها ما أمره الله تعالى أن يقبض ، فلما نزل إليها عزرائيل أقسمت عليه فاستدرجها فى قسمها وقبض ما أمره الله تعالى أن يقبض ، وتلك القبضة هى روح الأرض ، فخلق الله من روحها جسد آدم ، فلهذا تولى عزرائيل قبض الأرواح لما أودع الله تعالى فيه من القوى الكمالية المتجلية فى مجلى القهر والغلبة ، ولأنه القابض الأول ، ثم إن هــذا الملك

عنده من المعرفة بأحوال جميع من يقبض روحه مالا يمكن شرحه ، فيتخلق لكل جنس بصورة ، وقد يأتى إلى بعض الأشخاص فى غير صورة بل بسيطا ، فينقش مقابلته للروح فتتعشق به فتخرج الروح من الجسد وقد مسكها الجسد وتعلقت به للعشق الأول الذى بين الروح والجسد ، فيحصل النزاع بين الجاذبة العزرائيلية وبين الجسد إلى أن يغلب عليها الجذب العزرائيلى فتخرج ، وهذا الخروج أمر عجيب .

واعلم أن الروح فى الأصل بدخولها فى الجسد وحلولها فيه لا تفارق إمكانها وعلها ، ولكن تكون فى محلها وهى ناظرة إلى الجسد ، وعادة الأرواح أنها تحل موضع نظرها ، فأى محل وقع فيه نظرها تحله من غير مفارقة لمركزها الأصلى ، وهذا أمر مستحيل العقل ولا يعرف إلا بالكشف ، ثم إنه لما نظرت إلى الجسم نظر الاتحاد وحلت فيه حلول الشىء فى هويته ، اكتسبت التصوير الجسمانى بهذا الحلول فى أول وهلة ، ثم لا تزال تكتسب منه إما الأخلاق المرضية الإلهية فتصعد وتسمو به فى عليين ، وأما الأخلاق البهيمية الحيوانية الأرضية فتهبط بتلك الأخلاق إلى سجين ، وصعودها هو تمكنها من العالم الملكوتى حال تصويرها بهذه الصورة الإنسانية ، لأن هذه الصورة تكسب الأرواح ثقلها وحكمها ، فإذا تصور الروح بصورة جسده اكتسب حكمه من الثقل والحصر والعجز وأمثال ذلك ، فيفارق الروح ما كان له من الخفة والسريان لا مفارقة إنفصال ولكن مفارقة إتصال . لأنها تكون متصفة بجميع صفاتها الأصلية ولكنها غير متمكنة من إتيان الأمور الفعلية فتكون أوصافها فيها بالقوة لا بالفعل ، فلهذا قلنا إنها مفارقة إتصال لا مفارقة إنفصال ، فإذا كان صاحب الجسم يستعمل الأخلاق الملكية فإن روحه تتقوى وترفع حكم الثقل عن نفسها ، ولا يزال كذلك إلى أن يصير الجسد فى نفسه كالروح ، فيمشى على الماء ويطير فى الهواء ، وقد مضى ذكر هذا فيما تقدم من الكتاب .

وإن كان صاحب الجسم يستعمل الأخلاق البشرية والمقتضيات الأرضية فإنه يتقوى على الروح حكم الرسوب والثقل الأرضى ، فينحصر فى سجنه فيحشر غداً فى سجين . ثم إنها لما تعشقت بالجسم وتعشق بها الجسم كانت ناظرة إليه ما دام معتدلا فى صحة فإذا سقم وحصل فيها الألم بسببه أخذت فى رفع نظرها عنه إلى عالمها الروحى ، فإن تفريجها هو فى ذلك العالم . ولو كانت تكره مفارقة الجسد ، فإنها تأخذ نظرها فترفعه من العالم الجسدى رفعا ما إلى العالم الروحى ، كمن يهرب من ضيق إلى سعة . ولو كان له فى المحل الذى يضيق فيه سجنه سعة فلا يجد بدأ من الفرار ، ثم لا يزال الروح كذلك إلى أن يصل الأجل المحتوم وتفرغ مدة العمر المعلوم ، فيأتيها هذا الملك المسمى بعزرائيل على صورة مناسبة لحالها عند الله ، لحسن حالها عند الله على قدر حسن تصرفها مدة الحيــاة فى الاعتقادات والأعمال والأخلاق وغيرها ، وعلى قدر قبيح ذلك يكون قبح حالها عند الله ، فيأتيها الملك مناسباً لحالها ، فيأتى مثلا إلى الظالم من عمال الديوان على صفة من ينتقم منه أو على صفة رسل الملك لكن فى هيئة بشعة مستنكرة ، كما أنه يأتى إلى أهل الصلاح والتقوى فى هيئة أحب الناس إليه وأشباهم له حتى يتصور لهم بصورة النبى ﷺ . فإذا شهدوا تلك الصورة خرجت أرواحهم ، وتصوره بصورة النبى مباح له ولأمثاله من الملائكة المقربين لأنهم مخلوقون من قوى روحانية كمن خلق من قلبه ، ومن خلق من عقله . ومن خلق خياله وغيرذلك فافهم ، فإنه ممكن لهم لأنهم مخلوقون منه ، فيتصورون بصورته المناسبة ، وتصورهم بصورته هو من باب تصور روح الشخص بجسده ، فلما تصور بصورة محمد ﷺ إلا روحه ، بخلاف إبليس عليه اللعنة وأتباعه المخلوقين من بشريته ، فإنه ﷺ ما تنبأ إلا وما فيه شىء من البشرية للحديث . « إن الملك أتاه وشق قلبه فأخرج منه دما فطهر قلبه »(١) فالدم هو النفس البشرية

(١) حديث شق بطن النبى .

وهى محل الشيطان ، فانقطعت نسبة الشيطان منه ، فلذلك لا يقدر أحد منهم أن يتمثل بصورته لعدم المناسبة ، ثم إن الملك عزرائيل لا يختص بصورة لأهل طاعة ولا لأهل غللة ومعصية بنوع ، بل يتنوع لكل على حسب حاله ومقامه وما تقتضيه طبيعة كل ذلك على حسب ما يجده مسطراً فى الكتاب ، فقد يأتى إلى الوحوش الفرائس منهن على هيئة الأسد والنمر أو الذئب وغير ذلك مما تعتاد الفرائس أن يهلكن منه ، وكذلك الطيور فقد يأتيها على صورة الصياد والذابح أو على صورة البازى والصقر ، وكل شىء يأتى إليه فإنه لابد له من مناسبة إلا من يأتيه على غير صورة مركبة ، بل فى بسيطة غير مرئية يهلك الشخص من رائحة سمها ، فقد تكون رائحة طيبة وقد تكون كريهة على قدر ما يجده محتوما عليه ، وقد لا يدرك رائحة بل يمر عليه ما لا يدرك ذلك لدهشة حال الميت ، فإذا نظره تعشق به فانجذب نظره من جسده بالكلية فانقطع وقيل خرجت روحه ، ولا خروج ولا دخول اللهم إلا إن يعد نظره الذى يحل به دخولا إذ لا يصح الحلول إلا بالدخول ، فكذلك يعد إرتفاع النظر خروجها ، ثم إن الروح بعد خروجها من الجسد لا يفارق الصورة الجسدية أبداً ، لكن يكون لها زمان تكون فيه ساكنة مثل النائم الذى ينام ولا يرى فى نومه شيئاً ، ولا يقتدى بمن يقول إن كل نائم لا بد له أن يرى شيئاً ، فمن الناس من يحفظه ومن الناس من ينساه ، وفى هذا القول نظر لأنا قد أدركنا بالكشف الإلهى أن النائم قد ينام اليوم يومين وأكثر ، ولا يرى فى منامه شيئاً فهو فى ذلك النوم كمن يطوى له الحق مدة من الزمان فى طرفة عين فيكون كمن غمض عينه ثم فتحها ، وطوى له الحق فى تلك المدة اليسيرة أياما كثيرة عاش فيها غيره ، كما أن الحق قد يبسط الآن الواحد للشخص حتى يكون له فيه أعمال كثيرة وأعمار ويتزوج ويولد له ، ولم يكن ذلك عند غيره ، بل عند جميع أهل الدنيا إلا فى اقل من ساعة من نهار ، هذا أمر وقعنا فيه وأدركناه ولايؤمن به إلا من له نصيب منا ،

وهذا السكون الاول هو موت الارواح ، ألا ترى إلى الملائكة كيف عبر ﷺ عن موتهم بانقطاع الذكر ، فمن كشف له عن ذلك عرف ما أشار إليه النبى ﷺ ، ثم إذا فرغت مدة هذا السكون الذى يسمى موت الأرواح تصير الروح فى البرزخ ، وسيأتى بيان البرزخ فى محله إن شاء الله تعالى . سار بنا جواد القلم فى بيان العلم حتى جاوز العلم ، ولنرجع إلى ما كنا بسبيله من شرح حال النور الوهمى الذى خلقه الله من شمس الكمال ، وألبسه فى الوجود شعاع الجلال .

اعلم أن الله تعالى جعله مرآة لنفسه ومجلى قدسه ، ليس فى العالم شىء أسرع إدراكا منه ولا أقوى هيمنة ، له التشرف فى جميع الموجودات ، به تعبد الله العالم ، وبنوره نظر الله إلى آدم ، به مشى من مشى على الماء ، وبه طار من طار فى الهواء ، هو نور اليقين وأصل الإستيلاء والتمكين ، من سخر له هذا النور وحكم عليه تصرف به فى الوجود العلوى والسفلى ، ومن حكم عليه سلطان الوهم لعب به فى أموره ، فتاه فى ظلام الحيرة بنوره .

واعلم حفظ الله عليك الإيمان وجعلك من أهل اليقين والإحسان أن الله لما خلق الوهم قال له : اقسمت أن لا أتجلى لأهل التقليد إلا فيك ولا أظهر للعالم إلا فى خافيك ؛ فعلى قدر ما تصعد بهم إلى تدلهم على ، وعلى قدر ما تنكس عنى بأنوارهم تهلكهم فى بوارهم ، فقال له الوهم : أى رب أقم المرقاة بالأسماء والصفات لتكون سلما إلى منصة الذات ، فأقام الله فيه الانموذج المنير ، فانتقش فى جداره بالهيبة والتقدير ، وتحكم فيه عبودية الحق تعالى فأقسم على نفسه باسم ربه ، وآلى أن لا يزال يفتح هذه الاقفال بتلك المفاتيح الثقال إلى أن يلج جمله فى سم خياط الجمال إلى فضاء صحراء الكمال ، فيعبد فيه الحق المتعال ، فحينئذ ألبسه الله حلل التقريب وقال له : أحسنت أيها الملك الاديب ، ثم كساه الله تعالى حلتين : الحلة الأولى من النور الاخضر مكتوب على طرازها بالكبريت

الأحمر ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾(١) وأما الحلة الثانية فهى القاصية الدانية ، قد نسجت من سواد الطغيان مكتوب على طرازها بقلم الخذلان ﴿ إن الإنسان لفى خسر ﴾(٢) ، فلما نزل هذا النور وأخذ بين العالم فى الظهور خلق الله من ظهوره الحنطة ، فأكلها آدم فخرج بها من الجنة ، فتأمل هذه الأوصاف والإشارات ، وما أودع الله لك فى هذه العبارات ، وأخرج عن صدق ظاهر الألفاظ تحظ بالدر الفضفاض ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(٣) .

الباب الخامس والخمسون : فى الهمة وأنه محتد ميكائيل من محمد ﷺ

فيها قال رحمه الله تعالى :

لنا فى ذرى العليا جواد مقدس	به نرتقى نحـو المعالى الرفيعة
يسمى براق العارفين إلى العلا	عليه صعود الروح نحو الحقيقة
له من ضيـاء الحق عينان كلا	فبالسحر أولى ثم أخرى بقدرة
جناحاه إحـداهن للسعد طائر	وأخرى إلى بعد الشقاوة جرت
ولا عجب فى أنه كل ما يرى	من الصعب يلقاه بأحسن صنعة
وما دققت عينـاه فيه فإنه	له موقع الحافر دركا بخطوة
ألا إنه نـور من الله منزل	تستر للإنسان فى إسم همـة

واعلم وفقنا الله وإياك ، ودلك عليك وهداك ، أن الهمة أعز شىء وضعه الله فى الإنسان ، وذلك أن الله تعالى لما خلق الأنوار وقفها بين يديه ، فرأى

---

(١) سورة الرحمن آيات ١ - ٤ .
(٢) سورة العصر آية ٢ .
(٣) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

كلا منها مشتغلا بنفسه ، ورأى الهمة مشتغلة بالله ، فقال لها : وعزتى وجلالى لأجعلنك أرفع الأنوار ولا يحظى بك من خلقى إلا الأشراف الأبرار ، ومن أراد الوصول إلى فلا يدخل إلا بدستورك على . أنت معارج المريدين وبراق العارفين وميدان الواصلين ، فبك سباق السابقين وبك لحاق اللاحقين ، وفيك تنزه المحققين ، وتعالى المقربين ، ثم تجلى عليها باسمه القريب ونظر إليها باسمه السريع المجيب ، فأكسبها ذلك التجلى أن تستقرب كل ما بعد على القلوب ، وأفادها ذلك النظر سرعة حصول المطلوب ، فلهذا أن الهمة إذا قصدت شيئاً ثم استقامت على ساقها نالته على حسب وفاقها .

ولاستقامتها علامتان : العلامة الأولى : حالية ، وهو قطع اليقين بحصول الأمر المطلوب على التعيين . العلامة الثانية : فعلية ، وهى أن تكون حركات صاحبها وسكناته جميعها مما يصلح لذلك الأمر الذى يقصده بهمته ، فإن لم يكن كذلك لا يسمى صاحب همة بل هو صاحب آمال كاذبة وأمانى خائبة ، فهو كمن يروم المملكة ولا يفارق المزبلة وهذا لا يقع على مطلوبه ولا يظفر بمحبوبه ، لأنه كمن يطلب أن يكتب بلا قلم ولا مداد ولا معرفة بوضع الخط ، فالمداد بمثابة قصد الهمة للشىء ، والقلم بمثابة اليقين بحصوله ، ومعرفة وضع الخط بمثابة الأعمال الصالحة للأمر المقصود ، فمن لم يكن على هذا الوصف لا يعرف ما هى الهمة ، إذ ليس لديه منها أثر ، فلا يكون عنده منها خبر ؛ بخلاف من كانت أفعاله مما يلائم ما يطلبه ، وخصوصا إذا أخذ فيها بالجد والاجتهاد فأسرع ما يكون لديه نيل المراد .

ولقد حكى لنا عن فقير أنه سمع شيخه يقول يوما(١) : من قصد شيئاً وجد

---

(١) هذا الكلام من باب الرقائق وقد سيق على سبيل دفع الهمم والأخذ بالأسباب .

وجد ، فقال : والله لأخطبن بنت الملك ، ولأبلغن فيها غاية الجد والاجتهاد . فذهب إلى الملك فخطبها منه ، وكان الملك لبيبا عارفا عاقلا فكره أن يحقره أو يقول له لست بكفء لها ، فقال له : اعلم أن مهر بنتي جوهرة تسمى بالبهرمان لا توجد إلا في خزائن كسرى أنو شروان ، فقال له : ياسيدي ، وأين معدن هذا الجوهر ؟ فقال له : معدنه بحر سيلان ، فإن جئتنا بصداقها المطلوب مكناك من هذا النكاح المخطوب ، فذهب الفقير إلى البحر وأخذ يغرف بقصعته منه ويفرغه في البر ، فمكث على ذلك مدة لا يأكل ولا يشرب وهو معتكف على ذلك المطلب ليلا ونهاراً ، فأوقع صدقه خوف إنتزاح البحر في قلوب الحيتان فاشتكت إلى الله تعالى ، فأمر الله تعالى الملك الموكل بذلك البحر أن يذهب إلى ذلك الرجل بنفسه ويسأله عن حاجته فيسعفه ببغيته ، فلما سأله عن مقصده وأجابه الرجل أمر البحر أن يقذف بموجه إلى البر ما عنده من جنس ذلك الجوهر فامتلأ الساحل جواهر ولآلىء ، فحملها وذهب بها إلى الملك وتزوج ابنته ، فانظر يا أخي ما فعلت الهمة ، ولا تظن بأن هذا الأمر غريب أو شيء عجيب ، فقد شاهدنا والله بل جرى لنا في أنفسنا ما هو أعظم من ذلك مما لا يحد ولا يحصى ، والله على ما نقول وكيل ، ولم أحلف لك إلا خوفا عليك من ردة الإنكار أن تنزع بقلبك عن الهدى ومعارج الاسرار ، فإن القلوب إذا جال فيها الخناس وألبسها ثوب الوسواس يوشك أن تحول في مهامه الإياس فتحرم نور اليقين بظلمة الإلتباس .

ثم اعلم وفقك الله أن زجاجة الهمة قبل إمتلائها يكسرها كل حصاة مخالفة ويهريق ما فيها كل هينة منافية ؛ وأما إذا امتلأت وأخذت حدها في البلوغ وانتهت ، فإنها لا تحركها الرياح العواصف ، ولا تكسرها المطارق والمخاوف ، فالحازم اللبيب والعارف المصيب إذا ابتدأ في هذا الأمر وأخذ في خوض هذا البحر لا يلتفت إلى وعر المسالك ولا يبالي بما يظهر فيها من المهالك ، فإنما جل

مايراه بل كل مايلقاه نزغة من العدو والشيطان ليمنعه بذلك عن حضرة السلطان ، فليحذر من الالتفات ولا يبالى بما حصل أو فات ، فإنها طريقة كثيرة الآفات ، محفوفة بالقواطع مشوبة بالموانع ، آثارها دوامس وأطلالها دوارس ولياليها طوامس ، طريقها هو الصراط المستقيم ، وقريبها أناس يستعذبون العذاب الأليم ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾(١) .

ثم اعلم وفقك الله تعالى : أن الهمة فى محتدها الأول ومشهدها الأفضل ، لا تعلق لها إلا بالجانب الإلهى لأنها نسخة ذلك الكتاب المكنون ، ومفتاح ذلك السر المصون المخزون ، فلا إلتفات لها إلى سواه ولا تشوق لها إلى ما عداه ، لأن الشيء لا يرجع إلا إلى أصله ، ونوى التمر لا ينبت من غرسه إلا عود نخله ، وكل من تعلق بالأكوان تعلقاً ما فإن تعلقه لا يسمى همة بل هما ، وفائدة هذا الكلام أن الهمة فى نفسها عالية المقام ليس لها بالأسافل إلمام ، فلا تتعلق إلا بجناب ذى الجلال والإكرام ، بخلاف الهم فإنه اسم لتوجه القلب إلى أى محل كان ، إما قاص ، وإما دان ، فإذا فهمت ما أشارت إليه العبارة وعرفت ماعبرت عنه الإشارة ، فاعلم أيضا أن الهمة وإن علا مكانها وعظم شأنها هى الحجاب للواقف معها فلايرتقى حتى يدعها ، والسيدمن يرتقى عنهاقبل معرفة أسرارهاوذوق ثمارها ، فإنها قاطعة مانعة ، أعنى لمن وقف مع محصولها ، قاطعة لمن جفاها قبل وصولها ، أعنى لا سبيل إلا إليها ولا طريق إلا عليها ، ولكن لا مقام عندها ولديها ، بل ينبغى الجواز عنها بعد قطع المجاز منها ، فالحقيقة من ورائها والطريقة على فضائها ، لأن الحصر لاحق لها والحد واثق بها ، والله منزه عن الحد والحصر ، مقدس عن الكشف والستر .

ولما كان محمد ﷺ أم الكتاب ، والمعنى دون غيره بالخطاب ، فافهم إن كنت

---

(١) سورة فصلت آية ٣٥ .

من أولى الالباب ، وخلق الله منه جميع العالم كانت كل رقيقة منه أصلا لحقيقة من حقائق الأكوان ، وكان بجملته مظهراً لجلة الرحمن ، خلق الله روحا من نور همته اللاحق وسعها وسع رحمته ، فصير ذلك الروح ملكا وجعل مقادير القوابل له فلكا، ثم وكله بإيصال كل مرزوق رزقه وإعطاء كل ذى حق حقه ، لأنه الرقيقة المحمدية المخلوقة من الحقيقة الأحدية ، فلما إستقام مقام الموكل الوكيل ، وأقسط فى إعطاء كل ذى حق حقه قسط من يزن أو يكيل ، إذ بالخطاب الجيل ، من المقام الجليل ، ويسمى هذا الروح ميكائيل ، فهو من الأزل إلى الأبد يحصر المقادير ويعرف العدد ويمد كلا بما استحقه من المدد ، أجلسه الله على منبر الفضل فوق الفلك الخامس ، وأعطاه قسطاس العدل وقانون المقايس ، ويكنى عن المنبر بالفيض المقابل وبالقسطاس بما استحقه القوابل ، فتأمل رموز هذه العبارات ، واستخرج ما فيها من كنوز الإشارات تحظ بالحكمة وفصل الخطاب ، والله يقول الحق وهو يهدى إلى الصواب .

الباب السادس والخمسون : فى الفكر

وأنه محتد باقى الملائكة من محمد ﷺ

الفكر نور فى ظلام الأنفس … يهدى الصواب به فؤاد الكيس

لكنما زلقاته تنمـــو على … قطر السحاب وعد رمل البسبس

وله أصول إن يراعيها الفتى … تحفظه من فرع الخطا فى المقبس

تلك الأصول على تنوع جنسها … قسمان يحفظهن من لم يخنس

عقل وقسم العقل مضطر ومكـــتسب بحسن تجارب فى الأنفس

والنقل قسم وهو إيمـــان الفتى … بمغيب نـــيرانه لم تقبس

هذان أصل الفكر من أهل النهى … من لم يقس بهما يقع فى الحندس

لكن أرباب العقول فأصلهم … نظر يصح بحكم عقل أرأس

لا يأخذون بأصل إيمان ولا … هو عندهم بضياء صبح مشمس

فلأجل ذا غلطوا وفات عليهم عين الصواب وكل أمر أنفس

اعلم وفقك الله للصواب وعلمك من الحكمة وفصل الخطاب . أن الرقيقة الفكرية أحد مفاتيح الغيب الذى لا يعلم حقيقتها إلا الله . فإن مفاتيح الغيوب نوع حق ، ونوع خلق فالنوع الحق : هو حقيقة الأسماء والصفات ، والنوع الخلق : هو معرفة تركيب الجوهر الفرد من الذات ، أعنى ذات الإنسان المقابل بوجوهه وجوه الرحمن ، والفكر أحد تلك الوجوه بلا ريب ، فهو مفتاح من مفاتيح الغيب ، لكنه نور ، وأين ذلك النور الوضاح الذى يستدل به على أخذ هذا المفتاح ، فتفكر فى خلق السموات والأرض لا فيهما ، وهذه إشارات لطفت معانيها فغابت فى مخافيها ، فإذا أخذ الإنسان فى الترقى إلى صور الفكر وبلغ حد سماء هذا الأمر أنزل الصور الروحانية إلى عالم الإحساس ، واستخرج الأمور الكتمانية على غير قياس ، وعرج إلى السموات وخاطب أملاكها على إختلاف اللغات .

وهذه العروج نوعان : فنوع : على صراط الرحمن ، من عرج على هذا الصراط المستقيم إلى أن يبلغ من الفكر نقطة مركزه العظيم وجال فى سطح خطه القويم ، ظفر بالتجلى المصون الملقب بالدر المكنون ، فى الكتاب المكنون ، الذى لا يمسه إلا المطهرون ، وذلك اسم أدغم بين الكاف والنون ، ومسماه ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾(١) وسلم المعراج إلى هذه الرقيقة هو سر الشريعة والحقيقة .

وأما النوع الآخر : فهو السحر الأحمر المودع فى الخيال والتصوير والمستور فى الحق بحجب الباطل والتزوير ، هو معراج الخسران وصراط الشيطان إلى

---

(١) سورة يس آية ٨٢ .

مستوى الخذلان ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾(١) فينقلب النور ناراً والقرار بواراً، فإن أخذ الله بيده وأخرجه بلطيفة ما أيده جاز منه إلى المعراج الثانى ، فوجد الله عنده ، فعلم حينئذ مأوى الحق وما به تميز فى مقعد الصدق عن طريق الباطل ، ومن يذهب ذهابه وأحكم الأمر الإلهى فوفاه حسابه ، وإن أهمل فى تلك الدار وترك على ذلك القرار نفخ ناره على ثياب طبائعه فأهلكها ، ثم طلع دخانه إلى مشام روحه الأعلى فقتلها ، فلا يهتدى بعدها إلى الصواب ولا يفهم معنى أم الكتاب ، بل كل ما تلقيه إليه من معانى الجمال أو من تنوعات الكمال يذهب به إلى ضيع الضلال ، فيخرج به على صورة ما عنده من المحال ، فلا يمكن أن يرجع إلى الحق رجعا ﴿الذين ضل سعيهم فى الحيـــاة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(٢) . ولقد كنت غرقت فى هذا البحر الغزير ، وكاد يهلكنى موج قعره الخطير ، وأنا يومئذ فى سماع بمدينة زبيد عام تسع وسبعين وسبعمائة ، وكان هذا السماع فى بيت أخينا الشيخ العارف شهاب الدين أحمد الرداد ، وكان شيخنا أستاذ الدنيا القطب الكامل والمحقق الفاضل : أبو المعروف شرف الدين إسمعيل بن إبراهيم الجبرتى حاضراً يومئذ فى السماع ، فناديت بأعلى صوتى : اللهم إنى أعوذ بك من العــــلم المهلك ، أدركنى يا سيدى أدرك ، فكان يراعينى الشيخ فى نفس السماع مراعاة من له على الأمر إطلاع . فنقلنى الله ببركته إلى المعراج القويم الذى هو على الصراط المستقيم ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ إلا أن بين المعراجين لطيفة لكنها فى لطفها عظيمة شريفة ، فلو أخذنا فى بيانها أو بيان من رجع لعدم عرفانها ، أو شرحنا حال من هلك من الأولياء فى بحارها فانطبع نوره بنارها ، لاحتجنا فى ذلك إلى بسط يكثر عدده ويطول

(١) سورة النور آية ٣٩ .
(٢) سورة الكهف آية ١٠٤ .

مدده ، وقصدنا الاختصار ، لا التطويل والإكثار ، فلنرجع إلى ما كنا بسبيله من الكلام فى الفكر .

اعلم أن الله خلق الفكر المحمدى من نور اسمه الهادى الرشيد ، وتجلى عليه باسمه المبدىء المعيد ، ثم نظر إليه بعين الباعث الشهيد ، فلما حوى الفكر أسرار هذه الأسماء الحسنى ، وظهر بين العالم بلباس هذه الصفات العليا ، خلق الله من فكر محمد ﷺ أرواح ملائكة السموات والأرض ، ووكلهم بحفظ الأسافل والأعالى فلا تزال العوالم محفوظة ما دامت بهذه الملائكة ملحوظة ، فإذا وصل الأجل المعلوم وآن أوان الأمر المحتوم ، قبض الله أرواح هذه الملائكة ونقلهم إلى عالم الغيب بذلك القبض ، فالتحق الأمر بعضه ببعض وسقطت السموات بما فيها على الأرض ، وانتقل الأمر إلى الآخرة كما ينتقل إلى المعانى أمر الألفاظ الظاهرة ، فافهم هذه الإشارات ، وفك لغز هذه العبارات ، تحظ بالأسرار المكتومة ، وترفع حجب الأستار الموهومة ، فإذا اطلعت على هذه الأسرار ، وسرت فى ضياء هذه الأنوار ، صنها تحت كتم العبارات ، واحفظها تحت ختم الإشارات ولا تفشها ، فالإفشاء خيانة ، ومن فعل ذلك فقد حرم ثواب استلزم الأمانة ، ورجع إلى مرتبة العالم بعد أن كاد يبلغ الملائكة الكرام ، هذا على أن إفشاءه لا يزيد السامع إلا ضلالا ، ولا يفيد المخاطب إلا تقييدا وإعتلالا ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(١) .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤ .

الباب السابع والخمسون

فى الخيال وأنه هيولى جميع العوالم

إن الخيال حياة روح العالم ... هو أصل تيك وأصله ابن الآدم
ليس الوجود سوى خيال عند من ... يدرى الخيـــال بقدرة المتعاظم
فالحس قبـــل بدوه لمخيـــل ... لك وهو أن يمضى كحلم النائم
فكذاك حال ظهوره فى حسنا ... باق عـلى أصـــل له بتلازم
لا تغترر بالحس فهو مخيـــل ... وكذلك المعنى وكل العـــالم
وكذلك الملكوت والجبروت والـ ... لاهوت والناسوت عنـد العـالم
لا تحقرن قدر الخيـــال فإنه ... عين الحقيقة للوجـــود الحاكم
لكنما أصـــل الخيال جميعه ... قسمان هـذا عند كشف الصارم
قسم تصور للبقـــاء وآخر ... متصور للهـــلك ليس بـدائم
فافهم إشارتنا وفك رموزها ... لكن على أصل الكتاب القائم
وحذار من فهم يميل عن الهدى ... عما أتاك به النبى الهاشمـــى
ما ذاك قصدى إنمـا قصدى الذى ... جاء الرسول به بغـــير تكاتم
لم أبن أس رسالتى إلا على ... أنى أكـون لدينـه كالخادم
فإذا بدا لك ما تعسر فهمه ... أو كنت تفهم منه قـــول الناشم
فاتركه والجـــأ للإله وقم على ... سنن أتاك به حديث القـــاسم
صلى عليه الله ما نار اليقـــين باسمـه فى ليـــل شك قاتم

اعلم وفقك الله أن الخيال أصل الوجود والذات الذى فيـه كمال ظهور المعبود . ألا ترى إلى إعتقادك فى الحق وأن من له الصفات والأسماء ما هو له أين محل هـذا الاعتقاد الذى ظهر لك فيه الله سبحانه وتعالى إنما هو الخيال ، فلأجل هذا قلنا إنه الذات فيه كمال ظهوره سبحانه وتعالى ، فإذا عرفت هذا ظهر لك أن الخيال أصل جميع العالم ، لأن الحق هو أصل جميع الأشياء ، وأكمل

ظهوره لا يكون إلا فى محل هو الأصل ، وذلك المحل هو الخيال فثبت أن الخيال أصل جميع العوالم بأسرها ، ألا ترى إلى النبى ﷺ كيف جعل هذا المحسوس مناما والمنام خيالا فقال « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا »(١) يعنى تظهر عليهم الحقائق التى كانوا عليها فى دار الدنيا ، فيعرفون أنهم كانوا نياما ، لا أن الموت يحصل الانتباه الكلى ، فإن الغفلة عن الله منسحبة على أهل البرزخ وأهل المحشر وأهل النار وأهل الجنة إلى أن يتجلى عليهم الحق فى الكثيب الذى يخرج إليه أهل الجنة ، فيشاهدون الله تعالى ، وهذه الغفلة هى النوم ، فكل العوالم أصلها خيال ، ولأجل هذا يفيد الخيال من فيها من الأشخاص ، فكل أمة من الأمم مقيدة بالخيال فى أى عالم كانت من العوالم ، فأهل الدنيا مثلا مقيدون بخيال معاشهم أو معادهم ، وكلا الأمرين غفلة عن الحضور مع الله فإنهم نائمون ، والحاضر مع الله تعالى منتبه ، وعلى قدر حضوره مع الله يكون إنتباهه من النوم ، ثم أهل البرزخ نائمون لكن أخف من نوم بعض أهل بعض الدنيا ، فهم مشغولون بما كان منهم وماهم فيه من عذاب أو نعيم ، وهذا نوم لأنهم ساهون : أى غافلون عن الله ، وكذلك أهل القيامة فإنهم ولو وقفوا بين يدى الله تعالى للمحاسبة ، فإنهم مع المحاسبة لا مع الله وهذا نوم لأنه غفلة عن الحضور ، ولكنهم أخف نوما من أهل البرزخ ، وكذلك أهل الجنة والنار فإن هؤلاء مع ما ينعمون به وهؤلاء مع ما يعذبون به ، وهذا غفلة عن الله ونوم لا إنتباه لكنهم أخف نوما من أهل الحشر ، فنومهم بمثابة السنة ، على أن كلا من أهل هذه العوالم وإن

---

(١) حديث : [الناس نيام فإذا ماتوا] هو من كلام الإمام على بن أبى طالب وليس بحديث ، لكن الإمام عبد الوهاب الشعرانى فطبقاته عزاه إلى سهل التسترى ولفظه فى ترجمته : قال : ومن علامة الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . وإذا ماتوا ندموا ، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم . انظر كشف الخفا ج ٢ ص ٤١٤ .

كانوا فى نظر مع الحق من حيث الحق ، لأنه مع الوجود جميعه وهو القائل ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾(١) لكنهم معه بالنوم لا باليقظة، فلا إنتباه إلا لأهل الأعراف ومن فى الكثيب فقط فإنهم مع الله ، وعلى قدر تجلى الحق عليهم يكون الإنتباه ، ومن حصل له من الله فى دار الدنيا بحكم التقدير ما تأخر لأهل الجنة فى الكثيب فتجلى عليه الحق تعالى وعرفه فهو يقظان ، ولأجل هذا أخبر سيد أهل هذا المقام أن الناس نيام لأنه تيقظ وعرف ، فإذا عرفت أن أهل كل عالم محكوم عليهم بالنوم ، فاحكم على تلك العوالم جميعها أنها خيال ، لأن النوم عالم الخيال :

ألا إن الوجـــود بلا محال	خيال فى خيـــال فى خيال
ولا يقظان إلا أهـــل حق	مع الرحمن هم فى كل حال
وهم متفاوتون بلا خـــلاف	فيقظتهم عـلى قـــدر الكمال
هم الناس المشار إلى عـــلاهم	لهم دون الورى كل التعالى
حظوا بالذات والأوصاف طارا	تعاظم شأنهم فى ذى الجلال
نظروا بالجلال عـلى التـــلذاذ	وطورا بالتلذذ بالجمـــال
سرت لذات وصف الله فيهم	لهم فى الذات لذات عوالى

(در ورمز فى بحر لغز) سافر الغريب المعبر عنه بروح إلى أن بلغ العالم المعبر عنه بيوح ، فلما وصل إلى ذلك السما قرع باب الحمى ، فقيل له من أنت أيها الطارق العاشق؟ فقال : عاشق مفارق أخرجت من بلادكم وأبعدت عن سوائكم ، فقيدت فى قيد السمك والعمق والطول والعرض ، وسجنت فى سجن النار والماء والهواء والأرض ، وقد كسرت القيد وأتيت أطلب خلاصا من

---

(١) سورة الحديد من الآية ٤ .

السجن الذى فيه بقيت ، فالغارة الشعواء أيها العرب الكرام فليس إلا أنتم للأسير المضام . قال الراوى : فبرز إلى رجل قد نزل به الشيب وقال : اعلم أن هذا عالم الغيب رجاله جزيلة العدد جميلة المدد قوية العدد طويلة الأمد ، ينبغى للواصل إليهم والداخل عليهم ان يتزيا بزيهم الفاخر ويتطيب بطيبهم العاطر . قلت : ومن أين أجد تلك الأثواب ؟ بل وأين تلك الاطياب؟ فقال : الثياب فى سوق السمسمة الباقية . والاطياب فى أرض الخيال الراوية ، وإن شئت أن تمسك هذه العبارة فخذ الثياب من نسج الخيال ، والطيب من أرض السمسمة ، فإنهما أخوان بلاريب ، لهذا العالم المسمى بعالم الغيب، فذهبت أولا إلى أرض السمسمة ومعدن الجمال المسمى لبعض وجوهه بعالم الخيال ، فقصدت رجلا هناك عظيم الشأن رفيع المكان عزيز السلطان يسمى روح الخيال ويكنى بروح الجنان فلما سلمت عليه وتمثلت بين يديه ، أجاب لحيا وبيا وثنى وترحب بى وهيا ، فقلت له : يا سيدى ما هذا العالم المعبر عنه بالسمسمة الباقية من آدم ؟ فقال : إنها اللطيفة التى لا تفنى على الدوام ، والمحل الذى لا تمر عليه الليالى والأيام ، خلقها الله من هذه الطينة ، وألقى هذه الحبة من جملة العجينة ، وجعلها حاكمة على الجميع وأما للكبير والوضيع ، قد ترجمنا عنها فى الكتاب وفتحنا فيها هذا الباب ، يجوز فيها المحال ويشهد فيها بالحس صورة الخيال ، فقلت : وهل أجد سبيلا إلى هـــذا المحل العجيب والعالم الغريب ؟ فقال : نعم إذا كل وهمك وتم ، فاتسعت لجواز المحال وتمكنت بمشاهدة الحس لمعانى الخيال ، وعلمت النكتة وقرأت سر النقطة ، حينئذ تنسج لك من تلك المعانى ثيابا ، وإذا لبستها فتح لك إلى السمسمة بابا ، فقلت له : يا سيدى إنى على الأمر المشروط ، وقد وثقت بحبل العقد المربوط ، وعلمت بالكشف والوجود أن عالم الأرواح أظهر وأقوى من عالم الحس فى الذوق والشهود ، فأشار بيده بعد همهمة ، فإذا أنا فى أرض السمسمة .

أرض من المسك النقى ترابها | ومن الجواهر ريمها وقبابها
أشجارها متكلمات نطــق | وكذاك أدؤرها نعم وعتابها
فى طعمها من كل شىء لذة | حقا ومن ماء الحياة شرابها
حاز الجمال فصار يشهد صورة | فيها وكم أروى العطاش شرابها
هى نسخة من جنة المأوى لمن | يحظى بها فى الأرض طاب مآبها
هى سر قدرة قادر برزت لمن | يدرى الأمور ولم يفته حسابها
ليست بسحر إنما هى ماؤها | بل نارها وهواؤها وترابها
هى أصلها والسحر فرع للقضا | ويجيب داعى الساحرين خطابها
يستخرج الرجل الشجاع مراده | منها فيرفع للعيــون نقابها
تبدو بقــوة همة فعالة | لممكن بين الورى أترابها
والناس فيها بين ناج فائز | كمل الزكاة بها فتم نصابها
أو هالك باع السعادة بالشقا | بخسا فدساها وزاد حجابها
هى أخت آدم بل هى ابنة سره | لجميع أنساب له أنســابها
يفنى الجميع وتلك باقيــة على | لطف وبالمقدور طال ركابها
هى نخلة ظهرت من الثمر الذى | هو آدم ما فى سواه جنابها
فيجيبها الإنسان يوما إن دعت | وإذا دعا الإنسان جاء جوابها
ليست خيالا لا ولا حسا ولا | غيرا لما قد قلت هاك صوابها

فلما دخلت هذه الأرض العجيبة وتطيبت من أطياب عطرها الغريبة ، ورأيت ما فيها من العجائب والغرائب والتحف والطرف مالا يخطر بالبال ولا يرى فى المحسوس ولا فى عالم الخيال ، طلبت الصعود إلى عالم الغيب الموجود فأتيت إلى الشيخ الذى كان أول دال . فوجدته قد رق من العبادة حتى صار كالخيال ، وضعف حتى خلته من مفروضات المحال ، لكنه قوى الجنان والهمة ،

شديد السطوة والعزمة ، سريع العقدة والقومة ، كأنه البدر التمام ، فقلت بعد أن سلمت رد السلام : أريد الدخول إلى رجال الغيب ، فقد جئت بالشروط ولا ريب ، فقال : هذا أوان الدخول وزمان الوصول ، ثم قرع الحلق فانفتح الباب وانغلق ، فدخلت مدينة عجيبة الارض عظيمة الطول والعرض ، أهلها أعرف العالم بالله ، ليس فيهم رجل لاه ، أرضها درمكة بيضاء ، وسماؤها زبرجدة خضراء ، عربها غرب كرام ليس فيهم ملك إلا الخضر عليه السلام ، فحططت رحالى لديه ، وجثوت عنده بين يديه ، ثم أخذت بالسلام عليه ، فحيانى تحية الانيس ونادمنى منادمة الجنس ، ثم بسطنى فى المقام وقال : هات ما لديك من الكلام ، فقلت : سيدى أسألك عن أمرك الرفيع وشأنك المنيع الذى اختلط فيه الكلام واختبط فيه الانام ، فقال : أنا الحقيقة العالية والرقيقة المتدانية ، أنا سر إنسان الوجود ، أنا عين الباطن المعبود ، أنا مدرجة الحقائق ، أنا لجة الرقائق ، أنا الشيخ اللاهوتى ، أنا حافظ العالم الناسوتى ، أتصور فى كل معنى وأظهر فى كل مغنى ، أتخلق بكل صورة وأبرز آية فى كل سورة ، وأمرى هو الباطن العجيب وحالى هو الحال الغريب ، سكنى جبل قاف ومحل الأعراف ، أنا الواقف فى مجمع البحرين ، والغارق فى نهر الاين والشارب من عين العين ، أنا دليل الحوت فى بحر اللاهوت . أنا سر الغذاء والحامل للفتى ، أنا معلم موسى الظاهر ، أنا نقطة الأول والآخر ، أنا القطب الفرد الجامع . أنا النور اللامع ، أنا البدر الساطع ، أنا القول القاطع ، أنا حيرة الألباب ، أنا بغية الطلاب ، لا يصل إلى ولا يدخل على إلا الإنسان الكامل والروح الواصل ، وأما من عداه فكأنى فوق مأواه ، لا يعرف لى خبرا ولا يرى لى أثرا ، بل يصور له الاعتقاد فى بعض صور العباد ، فيتسمى باسمى ويكتب على خده وسمى ، فينظر إليه الجاهل الغر ، فيظن أنه المسمى بالخضر ، وأين هو منى ، بل أين كأسه من دنى ، اللهم إلا أن يقال إنه نقطة من بحرى أو ساعة من دهرى ، إذ حقيقته

رقيقة من رقائق، ومنهجه طريقة من طرائق، فبهذا الاعتبار أنا ذلك النجم الغرار ، فقلت له : ما علامة الوصول إليك والنازل فى سوحك عليك ؟ فقال : علامته فى علم القدر منزوية ، ومعرفته فى علم التحقيق بالحقائق منطوية .

ثم سألت عن أجناس رجال الغيب فقال : منهم من هو بنى آدم ، ومنهم من هو من أرواح العالم ، وهم ستة أقسام مختلفون فى المقام : القسم الاول : هم الصنف الأفضل والقوم الكمل ، هم أفراد الأولياء المقتفون آثار الأنبياء غابوا عن عالم الأكوان فى الغيب المسمى بمستوى الرحمن ، فلا يعرفون ولا يوصفون وهم آدميون ، القسم الثانى : وهم أهل المعانى وأرواح الأوانى ، يتصور الولى بصورهم فيكمل الناس فى الباطن والظاهر بخيرهم ، فهم أرواح كأنهم أشباح للقوة المسكنة من التصوير فى العين ، سافروا من عالم الشهود فوصلوا إلى فضاء غيب الوجود ، فصار غيبهم الوجود شهادة وأنفاسهم عبادة ، وهؤلاء أوتاد الأرض القائمون لله بالسنة والفرض . القسم الثالث : ملائكة الإلهام والبواعث يطرقون الأولياء ويكلمون الاصفياء ، لا يبرزون إلى عالم الإحساس ، ولا يتعرفون لعوام الناس . القسم الرابع : رجال المناجاة فى المواقع ، دائما يخرجون عن عالمهم ولا يوجدون إلا فى غير معالمهم ، يتصورون لسائر الناس فى عالم الإحساس . وقد يدخل أهل الصفاء إلى ذلك اللواء فيخبرونهم بالمغيبات وينبئونهم بالمكتمات . القسم الخامس : رجال البسابس هم أهل الحظوة فى العالم ، وهم من أجناس بنى آدم ، يظهرون للناس ثم يغيبون ويكلمونهم فيجيبون ، أكثر سكنى هؤلاء فى الجبال والقفار والأدوية وأطراف الأنهار ، إلا من كان منهم ممكنا فإنه يتخذ من المدن مسكنا ، نفيس مقامهم غير متشوق إليه ولا معول عليه . القسم السادس : يشبهون الخواطر لا الوساوس ، هم المولدون من أبى التفكر وأم التصور ،

لا يؤبه إلى أقوالهم ولا يتشوف إلى أمثالهم ، فهم بين الخطأ والصواب ، وهم أهل الكشف والحجاب ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، وعنده أم الكتاب .

الباب الثامن والخمسون : فى الصورة المحمدية ، وأنها النور الذى خلق الله منه الجنة والجحيم ، والمحتد الذى وجد منه العذاب والنعيم

أنوار حسن بدت فى القلب لامعة — مستترات وهى كالشمس طالعة

للحـــق فيها ظهور عند عارفه — فليس تخـــفى التجليات ساطعة

والقلب فيه قوى تدعى مصورة — لكنها حوت الأسرار جامعة

أضحت لجنات خلد نسخة فغدت — للقصر فى ساحة التخييل رافعة

استخرج الثمر الحالى وحامضه — من جنة هى فوق الغصن يانعة

لم يدر ماقد حوت من صنع صانعها — سوى حكيم أتته الخلق طائعة

مخلوقة وهى مرآة لخالقهـــا — قريبة قد غدت فى الحكم شاسعة

حقيرة جل عنـــد الله رفعتها — سر وقد أصبحت فى الناس ذائعة

لكنها عجزها من كونها خلقت — فى النفس ميتة ، فى الأمر خاضعة

لا تكسب المرء إلا فرحة وله — فى ظاهر الصحو أحزان متابعة

لا يغترر كل ذى عقل بزينتها — ولا يولع فيـــه منــه والعة

لو أنها خلقت حيا لكنت ترا — ها وهى واصله فى الناس قاطعة

وذا الحديث فقشر فوق نكتتنا — فالق القشور فليست منك نافعة

واللب فى النفس مثل الدر فى صدف — كالسحر منه عيون السحر نابعة

فانظر إلا حكم قد جن فى كلم — فى زى مكتتم كالشمس لامعة

اعلم وفقك الله لمعرفته وجعلك من أهل قربته ، أن الله خلق الصورة المحمدية

من نور اسمه البديع القادر . ونظر إليه باسمه المنان القاهر ، ثم تجلى عليها باسمه اللطيف الغافر ، فعند ذلك تصدعت لهذا التجلى صدعين ، فصارت كأنها قسمت نصفين ، فخلق الله الجنة من نصفها المقابل لليمين وجعلها دار السعادة للمنعمين ، ثم خلق النار من نصفها المقابل للشمال وجعلها دار الأشقياء أهل الضلال ، وكان القسم الذى خلق منه الجنان هو المنظور إليه باسمه المنان فهو لسر تجلى اللطيف محل كل كريم عند الله شريف ، والقسم الذى خلق الله منه النار ، هو المنظور إليه باسمه القاهر ، وهو لسر تجلى الغافر يشير إلى قبول أهلها إلى الخير فى الآخر ، كما قد أخبر النبى ﷺ عن النار « أن الجبار يضع فيها قدمه فتقول قط قط فينبت فيها شجر الجرجير »(١) وسر هذا الحديث هو أن الله كلما خلق لأهل النار عذابا خلق لهم قوة على حمل ذلك العذاب ، وإلا لهلكوا وانعدموا واستراحوا من العذاب ، فلا بد أن يخلق لهم قوة على حمل ما أنزله بهم من العذاب ليذقوا عقابه ، وهو قوله تعالى ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾(٢) فبتبديل الجلود تجدد لهم قوى لم تكن عندهم ، فيقولون فى أنفسهم لعله يعذبنا بما هو كيت وكيت لإستشرافهم على ما جعله فى قابلية تلك القوة من حمل العذاب ، فيوجده الله عندهم فيحلون بذلك ويعذبون به ، فكشفهم الذى وقع فى أنفسهم هو بمثابة المبشر لهم بالعذاب ليكون إهانة ، كما أن أهل الجنة أيضا يبشرون بنعيمهم قبل وقوعهم فيه . ثم إن أهل النار إذا زال عنهم عذاب وتجدد لهم غيره لا تزول عنهم القوى الأولى لأنها موهوبة بيد المنة ولا يسترجع الحق فى هبته ، والعذاب نازل بهم بيد القهر ، فله أن يرفعه ويجعل غيره ، ثم لا يزالون يزدادون قوة بقوة كل عذاب حتى ينتهوا إلى أن يظهر فيهم أثر تلك القوى

---

(١) الحديث رواه مسلم بغير هذه الرواية .

(٢) سورة النساء من الآية ٥٦ .

قوة إلهية ، فإذا ظهرت فيهم تلك القوة الإلهية جبرتهم إلى أن يضع الجبار قدمه فى النار ، لأن الصفات الحق لا تظهر فى أحد فيشقى بعدها .

ثم اعلم أن الجبار إنما يظهر عليهم من حيث تلك القوة الإلهية التى كشفها لهم المناسبة التى هى سبب الوصلة فى كل شىء ، فيضع قدم التجبر على النار فتذل وتخضع لقوته سبحانه وتعالى وتقول عند ذلك : قط قط ، وهذا كلام حال الذلة تحت قهر العزة عبر عنه بهذا اللفظ فيزول .

اعلم أنه لما كانت النار غير أصلية فى الوجود زالت آخر الامر ، وسر هذا أن الصفة التى خلقت منها مسبوقة ، والمسبوقة فرع للسابق ، وذلك قوله ﴿ سبقت رحمتى غضبى ﴾ فالسابق هو الأصل والمسبوق فرع عنه . ألا ترى كيف لما كانت الرحمة أصلا انسحب حكمها من أول الوجود إلى آخره ، ولم يكن الغضب منسحبا من أول الوجود إلى آخره ، لأن إيجاده للمخلوق من العدم رحمة به لا غضب عليه ، لأنه لم يأت بذنب حتى يستوجب به الغضب . ألا تراه قال سبحانه ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ﴾(١) ولم يقل : وغضبى وسع كل شىء لأنه أوجد الأشياء رحمة منه ، فلهذه النكتة لم ينسحب الغضب أيضا إلى آخر الوجود . والسر فى هذا أن الرحمة صفة ذاتية له سبحانه ، والغضب صفة ليست بذاتية . ألا تراه يسمى بالرحمن الرحيم . ولا يسمى بالغضبان ولا بالغضوب . وذلك لأن الغضب صفة أوجبها العدل ، والعدل لا يكون إلا الحكم بين أمرين ، فاسمه العادل اسم صفة واسمه الرحمن اسم ذات . ألا ترى إلى الغفار الذى هو أول مظاهر النعمة التى أوجبتها الرحمة كيف وردت فيه ثلاث صيغ ، فقيل : الغافر ، والغفار ، والغفور . واسمه الظاهر الذى هـــو أول مظاهر النقمة التى أوجبها العدل

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

لا يوجد فيه صيغتان ، فقيل القاهر والقهار ، ولم يرد القهور ، وكل هذا سر سبق الرحمة الغضب .

ثم اعلم أن النار لما كان أمرها عارضا فى الوجود جاز زوالها ، وإلا لكان مستحيلا ، وليس زوالها إلا إذهاب الإحراق عنها ، وبذهاب الإحراق عنها تذهب ملائكتها ، وبذهاب ملائكتها ترد ملائكة النعيم ، فينبت بورود ملائكة النعيم فى محلها شجر الجرجير ، وهو خضرة وأحسن لون فى الجنة لون الخضرة ، فانعكس ما كان جحيما إلى أن صار نعيما ، كما فى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال الحق سبحانه وتعالى لناره ﴿ كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾(١) فصارت رياحين وجنات ، ومحلها باق على ما هو عليه ، ولكن ذهبت النار ، وإن شئت قلت : لم تذهب النار ولكن انتقل ألم العذاب إلى الراحة ، فكذلك الجحيم يوم القيامة ، وإن شئت قلت : إنها تزول مطلقا بعد وضع الجبار فيها قدمه فهى زائلة ، وإن شئت قلت : إنها على حالها باقية ، ولكن انتقل أمر عذاب أهلها إلى الراحة ، فهو كذلك ، ويناسبها فى الدنيا الطبيعة النفسانية بمن تزكى فى جذبه إلى الحق بالمجاهدات والرياضات فإن قلت : إن الطبيعة النفسانية قد فقدت مطلقا صدقت ، وإن قلت : إنها مستورة تحت أنوار التزكية الإلهية كنت صادقا فى ذلك ، ثم نسبة المجاهدات والرياضات وما يقاسيه أهل الله تعالى من المشقة فى ذلك بمثابة عذاب أهل النار وأهوالها يوم القيامة ، ولنسبة تنوع عذابها وزيادته ونقصانه نسبة قوة تمكن المجاهدات والرياضات والمخالفات فيمن تمكنت الطبيعة النفسانية فيه حتى أنها لا تزول إلا بعد تعب كثير ، بخلاف من لا تتمكن منه الطبيعات كل التمكن ، فهو كمن عذب أدنى عذاب ، وأخرج من النار إلى الجنة ، ولقد أخبر الروح الذى أنبأنى بهذه العلوم أن تلك

---

(١) سورة الأنبياء آية ٦٩ .

الأمور التى زالت بدوام المجاهدات والرياضات والمخالفات هى حظ أهل الله من قوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾(١) فلا يجوزون بعدها على نارجهنم لطفا من الله بهم وعناية ، لئلا يعذب عنده بعذابين ، ولا يهوله بهولين . أقام له هذا المشاق التى تحصل عليه فى الدنيا عوضا عن عذاب غيره فى الآخرة ، ويدل على ما قلناه الحديث المروى عن النبى ﷺ « إن الحمى حظ كل مؤمن من النار »(٢) فإذا كانت الحمى تقوم مقام النار فكيف لك بالمجاهدات والرياضات والمخالفات التى هى أشد من كل شىء إلى أن تتزكى النفس، فلأجل ذلك سماها النبى ﷺ : « بالجهاد الأكبر »(٣) ، وسمى الضرب بالسيف جهادا أصغر . ولا خفاء أن الحمى أسهل من ملاقاة العدو والضرب والطعن والحرب ، وجميع ذلك جهاد أصغر فى جنب المجاهدات والمخالفات التى يقاسيها أهل الله .

واعلم أن الله تعالى لما خلق النار من اسمه القهار جعلها مظهر الجلال ، فتجلى عليها مع تجليات فصارت تلك التجليات أبوابا لها معان .

التجلى الأول : تجلى عليها باسمه المنتقم فانفتح فيها واد له ثلاث مئة وستون

---

(١) سورة مريم آية ٧١ .

(٢) الحديث بأن الحمى حظ كل مؤمن من النار .

(٣) حديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . رواه البيهقى بسند ضعيف .

حديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد القلب .

الحديث ذكره العجلونى فى كشف الخفا جـ١ ص ٥١١ برقم ١٣٦٢ وقال : قال الحافظ ابن حجر : هو من كلام إبراهيم بن عيله .

والحديث ذكره الغزالى فى الإحياء وقال العراقى عنه : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر . ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر كشف الخفا جـ١ ص٥١١ .

ألف درك بعضها تحت بعض تسمى لظى ، خلق الله باب هذا الوادى من ظلمة المعصية والذنب وهو الجرم فهو محل أهل المعصية ، والذنب الذى ليس لمخلوق فيه حق وهو أمر بين الله وبين عبده ، كالكذب والرياء واللواط وشرب الخمر وترك الأوامر المفروضة والتسهيل فى حرمات الله تعالى ، فهؤلاء هم المجرمون قال الله تعالى ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التى تؤويه * ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه * كلا إنها لظى * نزاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولى ﴾(١) يعنى أدبر عن طاعة الله وتولى عن ذكره « وجمع فأوعى » يعنى من المعصية ، والذنب عذاب أهل هذه الطبقة ، وهو مع شدته أخف من عذاب جميع أهل الطباق .

التجلى الثانى : تجلى عليها باسمه العادل فانفتح فيها واد يسمى جحيما ، له سبعة مئة ألف وعشرين ألف درك بعضها تحت بعض ، خلق الله باب هذا الوادى من الفجور ، وهو التغشم والتعصب وطلب الباطل والطغيان، فهو مسكن الذين طغوا فى الأرض بغير الحق على عباد الله تعالى . فأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم وأكلوا فى أعراض الناس بالسب والغيبة وأمثال ذلك ، وهذا الوادى تحت درك الوادى الأول وطبقاته ضعف طباقها ، قال الله تعالى ﴿ وإن الفجار لفى جحيم ﴾(٢) فالفجار : هم الكاذبون فى إيمانهم الظالمون الطاغون المعتدون على الناس ؛ فالجحيم مسكن الظالمين الذين يظلمون الناس بغير حق ، فهو محل أهل الحقوق وعذاب أهل هذه الطبقة أشد من الأولى .

التجلى الثالث : تجلى عليها باسمه الشديد فانفتح فيها واد يسمى العسرى ، له ألف ألف وأربع مئة ألف وأربعون درك بعضها تحت بعض ، خلق الله باب

---

(١) سورة المعارج الآيات من ١١ - ١٧ .
(٢) سورة الإنفطار آية ١٤ .

هذا الوادى من البخل وطلب التكثر من المال ومن الحقد والحسد والشهوة وحب الدنيا وأمثال ذلك ، فهو مسكن من كانت فيه خصلة من هذه الخصال ، وهذا الوادى تحت الاول وعذابه أشد منه بأضعاف مضاعفة .

التجلى الرابع : تجلى عليها بصفة الغضب فانفتح فيها واد يسمى الهاوية ، وهو أسفل دركات النار له ألف ألف وثمان مئة ألف وثمانون ألف درك بعضها تحت بعض ، يهوى ، الرجل فيها بين كل دركين أحقابا بعدد ساعات الدنيا فتنقضى ولم يبلغ الدرك الثانى ، خلق الله باب هذا الوادى من النفاق والرياء والدعاوى الكاذبة وأمثال ذلك ، فكل من كانت فيه خصلة من هذه الخصال مكث فيها . قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾(١) ولهذا سميت الهاوية ، وهذه الطبقة أشد عذابا من الطبقة التى قبلها بأضعاف كثيرة .

التجلى الخامس : تجلى عليها باسمه المذل ، فانفتح فيها واد يسمى سقر ، له خمسة آلاف وسبع مئة ألف وستون ألف درك بعضها تحت بعض ، خلق الله باب هذا الوادى من التكبر ، فيه أذل الفراعنة والجبابرة الذين يطلبون الاستعلاء بغير حق ، لان الحق تعالى غيور ، فمن ادعى صفة من صفاته أو إسماً من أسمائه بغير حق عكسه عليه فعذبه بضده يوم القيامة ، وهؤلاء لما تكبروا فى الارض ولبسوا وصف الحق بغير حق عذبهم باسمه المذل ، قال الله تعالى ﴿ ثم أدبر ﴾(٢) أى عن عبادة الله والتواضع تحت سلطانه ﴿ واستكبر ﴾ طلب التكبر(٣) وأراد أن لا يعبد فقال ﴿ إن هـــذا إلا قول البشر ﴾(٤) حتى لا يلزمه الإيمان به ﴿ سأصليه سقر ﴾(٥) .

---

(١) سورة النساء آية ١٤٥ .
(٢ ، ٣) سورة المدثر آية ٢٣ .
(٤ ، ٥) سورة المدثر آية ٢٥ - ٢٦ .

والتجلى السادس : تجلى عليها باسمه ذى البطش ، فانفتح فيها واد يسمى السعير ، له أحد عشر ألف ألف وخمس مئة ألف وعشرون ألف درك ، بين كل درك ودرك أحقاب بعدد أنفاس أهل الدنيا ، خلق الله باب هذه الطبقة من الشيطنة ، وهى نار تثور من دخان النفس بشرر الطبيعية فتحدث منها الفتن والغضب والشهوة والمكر والإلحاد وأمثال ذلك ، يسكن هذه الطبقة من كان فيه خصلة من هذه الخصال . ويسكن معه الشياطين فيها قال الله تعالى ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾(١) أى النجوم ﴿ واعتدنا لهم عذاب السعير ﴾(٢) .

التجلى السابع : تجلى عليها باسمه ذو عقاب أليم ، فانفتح فيها واد يسمى جهنم دركاتها ثلاث وعشرون ألف ألف درك وأربعون ألف درك ، بين كل درك ودرك أحقاب لا تكاد أن تتناهى إلا فى القدرة ، وأما على ترتيب الحكمة فلا ، وهو لأن القدرة قد تبرز مالا يتناهى متناهيا ، وتظهر وتبرز الشىء اليسير المتناهى بلا نهاية ، وكل أحوال القيامة أو أكثرها من طريق القدرة ، لأن الدنيا دار الحكمة والآخرة دار القدرة ، حتى أن الحال الواحد من أحوال أهل النار وأحوال أهل الجنة يجده صاحبه منسحبا من الأزل إلى الأبد ، لا يجد لذلك من آخر ولا أول ، فيكون فيه مثلا بقدر ما بين الأزل إلى الأبد ، وهو آن واحد ووقت واحد غير متعدد ، ثم ينتقل منه إلى غيره كما يريد الله تعالى ، وهذا سر عجيب لا يكاد العقل أن يقبله ، بل لا يطيقه ، لأن العقل منوط بالحكمة والكشف منوط بالقدرة ، فلا يعرفه إلا صاحب كشف ، ثم إن الحق خلق باب هذه الطبقة من الكفر والشرك ، قال الله تعالى ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾(٣) فعذابهم شر العذاب ،

(١ ، ٢) سورة الملك آية ٥ .

(٣) سورة البينة آية : ٦ .

لأن جهنم لا يتناهى أمر عذابها ، وهذا معنى قوله ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾(١) لعدم التناهى .

واعلم أن أهل كل طبقة لا يخرجون منها حتى يخوضوا جميع دركات تلك الطبقة جميعها ، فنهم من يسهل الله عليه خوضها ومنهم من يعسره عليه ، فإذا قطع الرجل جميع الدركات حينئذ يضع الجبار قدمه فى النار فيكون ما قد سبق بيانه فى الحديث ، وهنا سر لطيف يقتضى وضع الجبار قدمه فى حق كل مرة ، ثم فى كل طبقة ، على أن جميع تلك التعددات مدة واحدة ويوم واحد لكن أظهرت القدرة هذا التعدد وهذا الفرق فى الزمان الواحد من أهل النار وهذا أمر يحار فيه العقل ولا يدركه إلا عن كشف إلهى ، ثم إن الله تعالى جعل مالكا خازن هذه الأبواب مظهر الشدة ، لأن محتده اسم شديد القوى ، وانظر إلى جميع ما تجلى الله به على جهنم تجد فيه معنى الشدة ، فلهذا كان مالك له السلطنة فى جميع طبقات جهنم ، وكان خازن جميعها ، ثم ملائكة العذاب رقائق من حقيقة الشدة ، قال الله تعالى ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾(٢) ونفس اسم مالك مشتق من الملك وهو الشدة .

ثم اعلم أن أهل النار . قد ينتقلون من طبقة إلى طبقة غيرها فينتقل الأعلى إلى الطبقة الأدنى تخفيفا عليه ، وقد ينتقل الأدنى إلى الأعلى تشديداً فى عذابه ، كل ذلك على قدر ما يريده الله تعالى من العذاب من الزيادة والنقصان ، وأن فى النار مالا يحصى من العجائب ، فلو أخذنا فى ذكر أهل الطبقات وتنوعهم فى كل درك ، أو لو وصفنا الملائكة الموكلة بهم وأنواعهم ، ولو شرعنا فى بيان

---

(١) سورة ق آية ٣٠ .
(٢) سورة التحريم من الآية ٦ .

من كان مؤمناً فوقع بينهم من غير جرم ظاهر ، وذلك سر قوله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾(١) أو لا تحدثنا فى القوم الذين بعدهم من أهل هذه الطبقات كيف نقلتهم القدرة إلى مالا يدركه المؤمنون فى حياتهم من التحقق بالحقائق الإلهية . ولقد اجتمعت بأفلاطون الذى يعدونه أهل الظاهر كافراً فرأيته وقد ملأ العالم الغيبى نوراً وبهجة ، ورأيت له مكانة لم أرها إلا لآحاد من الاولياء ، فقلت له : من أنت ؟ قال : قطب الزمان وواحد الاوان ، ولكم رأينا من عجائب و غرائب مثل هذا ليس من شرطها أن تفشى ، وقد رمزنا لك فى هذا الباب أسراراً كثيرة ما كان يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان، فألق القشر من الخطاب وخذ اللب إن كنت من أولى الألباب ، فإن هذه الورقات جمعت علوما لا يحتاج فى معرفة أهل النار إلى غيرها بعد فهمها ، فلا حاجة لنا فى ذكر أنواع العذاب وصفة أهوال ملائكتها ، فإن الكتب مشحونة بذلك فلنكتف من زيادة البسط .

ثم اعلم أن لأهل النار لذة فيها تشبه لذة المحاربة والمضاربة عند من خلق لذلك ، فإنا قد رأينا كثيراً من الناس يتلذذون بالمحاربة والمضاربة وهم عارفون أنهم يتألمون بذلك ، ولكن الربوبية الكامنة التى هى فى النفس تحملهم على خوض ذلك ، ثم إن لهم لذة أخرى تشبه لذة من به جرب فيحكه ، فهو وإن كان يقطع من جلد نفسه يتلذذ بذلك الحك . فهو بين عذاب ولذة أخرى تشبه لذة الجاهل المستغنى برأيه ، ولو أخطأ مثاله فيما قد شهدناه ، وهو أنى رأيت رجلا بالهند فى بلدة تسمى كوشى سنة تسعين وسبع مئة كان عمد إلى ثلاثة رجال من أكابر الناس فقتلهم متفرقين ، وكان إذا قتل واحداً هرب إلى الآخر فقتله ، حتى استوفى الثلاثة الأنفار ، فلما قبض وجيء ليضرب عنقه تقدمت إليه فقالت له : ماذا

(١) سورة الأنفال آية ٢٥ .

صنعت ؟ فقال : اسكت يا فلان والله لقد صنعت شيئاً ، وهو يعظم أمر نفسه ووجدته فى لذة لعمرى ما أظنه التذ قبلها بمثلها ، على أنه فى حالة مما فعل به من الضرب والأسر وماهو بصدده مما سيفعل به من القتل والصلب كان متلذذا فى نفسه بهذه اللذة العظيمة ، ولهم : أى لأهل النار لذة أخرى تشبه لذة العاقل بعقله عند تخطئته للجاهل الذى وافقته الأقدار وساعده تقلب الليل والنهار ، فهو وإن كان يستحسن الأمور التى حصلت للجاهل لا يرضى بحالته ولا يصنع مثل صنع الجاهل مما تحصيل به تلك السعادة ، بل يبقى غائصا فى بحار شقاوته ولازما لرياسة نفسه باقيا على مايقتضيه عقله وفكره ، متلذذاً بحالة نفسه مستنفرا من حالة الجاهل ، ثم لهم لذة مختلفة حتى إنى اجتمعت بجماعة هم فى أشد العذاب من النار فرأيتهم فى تلك الحالة والجنة تعرض عليهم وهم كارهون لها ، هذا حال طائفة ، ورأيت طائفة بعكس هؤلاء يتمنون نفساً من أنفاس الجنة أوشربة من مائها فلا يوافقهم القدر فى ذلك ، وهم الذين قال الله عنهم إنهم يقولون لأهل الجنة ﴿ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ يعنى الطعام ﴿ قالوا إن الله حرمها على الكافرين ﴾(١) .

ثم اعلم أن جميع ما ذكرناه ليس بمنسحب على أهل النار ، بل هم أنواع وأجناس ، فنهم المتلذذ فى عذابه ومنهم من عذابه محض ليس له فيه لذة ألبتة ، بل أشد ما يكون من النفور فى أنفسهم ، ثم منهم من آل به إلى العذاب وفور عقله الذى كان له فى الدار الدنيا ، ومنهم من آل به إلى العذاب وفور جهله فيها ، ومنهم من آل به إلى العذاب عقائدهم ، ومنهم من آل به إلى العذاب أعماله ، ومنهم من آل به إليها كلام الناس فى حقه بثناء ما لم يكن فيه ، ومنهم من آل به إليها كلامهم بما فيه من القبائح أو من المحاسن أو بما ليس فيه من المساوىء .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٠ .

وأمر أهل النار غريب جداً وهو سر قوله: « هؤلاء إلى النار ولا أبالى ، وهؤلاء إلى الجنة ولا أبالى »(١) .

ثم اعلم أن من أهل النار أناسا عند الله أفضل من كثير من أهل الجنة ، أدخلهم دار الشقاوة ليتجلى عليهم فيها فيكون محل نظره من الأشقياء ، وهذا سر غريب وأمر عجيب ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

[فصل] يذكر فيه القسم الثانى من الصورة المحمدية وهو القسم الذى نظر الله إليه باسمه المنان فخلق الله منه أنواع الجنان ثم تجلى فيها باسمه اللطيف فجعلها محلا لكل كريم عنده وشريف .

اعلم أن الجنان على ثمان طباق ، كل طبقة فيها جنات كثيرة ، فى كل جنة درجات لا تحصى ولا تحصر .

فالطبقة الأولى : تسمى جنة السلام ، وتسمى جنة المجازاة ، خلق الله بابه هذه الجنة من الأعمال الصالحة تجلى الله فيها على أهلها باسمه الحسيب ، فصارت جزاء محضا ، وقوله عليه الصلاة والسلام « لا يدخل أحد الجنة بعمله » إنما أراد به جنة المواهب ؛ وأما جنة المجازاة فهى بالأعمال الصالحة ، قال الله تعالى فى حق أهل الجنة ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى ﴾(٢) ولا يدخل أحد هذه الجنة إلا بالأعمال الصالحة ، فمن لا عمل له لا دخول له فيها ، وتسمى هذه الجنة اليسرى ، قال الله تعالى ﴿ فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ﴾(٣) وسببه دخولها بقليل من الأعمال المقبولة فهى ميسرة لمن يسرها الله تعالى عليه .

---

(١) حديث هؤلاء إلى النار ولا أبالى .
(٢) سورة النجم آيات ٣٩ - ٤١ .
(٣) سورة الليل آيات ٥ - ٧ .

الطبقة الثانية : هى فوق الطبقة الأولى وأعلى منها تسمى جنة الخلد وجنة المكاسب ، والفرق بين جنة المكاسب وجنة المجازاة أن جنة المجازاة بقدر الأعمال فلها مقابلة . وجنة المكاسب ربح محض لأنها نتائج العقائد والظنون الحسنة بالله تعالى ، ليس فيها شىء على طريق المجازاة بالأعمال البدنية ، تجلى الله على أهل هذه الجنة باسمه البديع . فظهرت لأهل العقائد الحسنة ما لم يكن يأمله إبتداعا إليها ؛ فباب هذه الجنة مخلوق من العقائد والظنون بالله والرجاء ، ولا يدخل هذه الجنة إلا من كانت فيه هذه الخصال المذكورات ، ومن لم يكن فيه شىء من هؤلاء لا يدخلها ، وسميت هذه الجنة بجنة المكاسب لأن ما يضاده وهو الخسران أيضا نتيجة الظنون الرديئة بالله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾(١) فأهل الظنون الرديئة فى نار الخسارة ، وأهل الظنون الحسنة بالله تعالى هم فى جنة المكاسب .

الطبقة الثالثة : تسمى جنة المواهب ، وهذه الطبقة أعلى من اللتين قبلها ، لأن مواهب الحق تعالى لا تتناهى ، فيهب لمن لا عمل له ولا عقيدة أكثر ممن له أعمال كثيرة وعقائد وغير ذلك ، ورأيت فى هذه الجنة من كل ملة أقواما وطائفة من كل جنس من أجناس بنى آدم ، حتى أن أهل العقائد وأهل الأعمال إذا أعطاهم الله من باب الموهبة ودخلوا هذه الجنة تجلى الله على أهلها باسمه الوهاب ، فلا يدخلها أحـــد إلا بموهبة الله تعـالى ، وهى الجنة التى قال عليه الصلاة والسلام فيها « إنها لا يدخلها أحد بعمله ، فقالوا له : ولا أنت يارسول الله ؟ فقال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمته »(٢) هذه الجنة أكثر الجنان وأوسعها ، وهى سر قوله تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ﴾(٣) حتى أنه لم يبق أحد من النوع الإنسانى

(١) سورة فصلت آية ٢٣ .
(٢) حديث .
(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

إلا وجوزت الحقائق من حيث الإمكان العقلي الوهمي له دخولها ، إن كان له نصيب من هذه الجنة في يوم ما من أيام الله تعالى ، هذا الذى جوزته الحقائق من حيث الإمكان الوهمي ، وأما ماشاهدناه فإنا وجدنا فى هذه الجنة من كل نوع من أنواع أهل الملل والنحل المختلفة طائفة ، لا كلها ولا أكثر ، بل فرقة من كل ملة ، بخلاف جنة المجازاة فإنها مخصوصة بالأعمال الصالحة لا يدخلها إلا أهلها ، وأوسع منها جنة المكاسب لأن الربح قريب من الجزاء ، إذ لابد من رأس المال حتى ينتهى الربح عليه ، فرأس مال أهل جنة المكاسب هى تلك العقائد والظنون الحسنة بالله تعالى . وأما هذه الجنة أعنى جنة المواهب فإنها أوسع الجنات جميعها ، حتى أنها أوسع مما فوقها وهذه المسماة فى القرآن بجنة المأوى ، لأن الرحمة مأوى الجميع ، قال الله تعالى ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴾(١) ولم يقل جزاء ليكون تنبيهاً على أنه يدخلهم جنة المواهب لا جنة المجازاة ولا جنة المكاسب ، فهى نزل لهم وقرى من خزائن الحق والجود ، والموهبة غير مختصة بمن عمل الصالحات ، فافهم .

الطبقة الرابعة : تسمى جنة الاستحقاق وجنة النعيم وجنة الفطرة ، وهذه الطبقة أعلى من اللواتى قبلها ، فإنها لا بمجازاة ، ولا موهبة بل هى لأقوام مخصوصة اقتضت حقائقهم التى خلقهم الله عليها أن يدخلوا هذه الجنة بطريق الاستحقاق الأصلى ، وهم طائفة من عباده خرجوا من دار الدنيا وأرواحهم باقية على الفطرة الأصلية ، فمنهم من عاش جميع عمره فى الدنيا وهو على الفطرة ، وأكثر هؤلاء بهاليل ومجانين وأطفال ، ومنهم من تزكى بالأعمال الصالحة والمجاهدة والرياضة والمعاملة الحسنة مع الله تعالى ، فرجعت روحه من حضيض البشرية إلى الفطرة الأصلية ، فالفطرة الأصلية قوله تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان

---

(١) سورة السجدة آية ١٩

فى أحسن تقـــويم ﴾(١) والدنس البشرى قوله تعالى ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾(٢) وهؤلاء الذين تزكوا هم المستثنون بقوله تعالى ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾(٣) يعنى يدخلون الجنة المسماة بجنة الاستحقاق فهى لهم حق من غير أن يكون موهوبا ممنونا أو مكسوبا بمجازاة بطريق الاعمال أو غيرها ، فهؤلاء أعنى من تزكى حتى رجع إلى الفطرة الأصلية هم المسمون بالأبرار ، قال الله تعالى ﴿ إن الابرار لفى نعيم ﴾(٤) وسر هذا أن الله تعالى تجلى فى أهلها باسمه الحق ، فامتنع أن يدخلها إلا من يستحقها بطريق الإصالة والفطرة التى فطره الله عليها ، فمنهم من خرج من دار الدنيا إليها ، ومنهم من عذب بالنار حتى انتفت خباثته فرجع إلى الفطرة ثم استحقها فدخلها بعد دخول النار ، وسقف هذه الجنة هو العرش بخلاف الجنان المتقدم ذكرها ، فإن الاعلى منهن سقف الأدنى لجنة السلام سقفها جنة الخلد ، وجنة الخلد سقفها جنة المأوى وجنة المأوى سقفها هذه الجنة المسماة بجنة الاستحقاق ، وجنة الفطرة ، وجنة النعيم ، وهى ليس لها سقف إلا العرش .

الطبقة الخامسة : تسمى بالفردوس ، وهى جنة المعارف ، وأرضها متسعة شديدة الإتساع ، وكلما ارتفع الإنسان فيها ضاقت ، حتى أن أعلى مكان فيها أضوق من سم الخياط ، لا يوجد فيها شجر ولا نهر ولا قصر ولا حور ولا عين ، إلا إذا نظر أهلها إلى ما تحتهم ، فأشرفوا فى إحدى الجنان التى هى تحتهم فرأوا تلك الأشياء المذكورة من الحور والقصور والولدان، وأما فى جنة المعارف فلا يجدون شيئاً من ذلك ، وكذلك مافوقها وهذه الجنة على باب العرش وسقفها

---

(١) سورة التين آية ٤ .

(٢،٣) سورة التين آية ٥ .

(٤) سورة الإنفطار آية ١٣ .

سقف الباب ، فأهل هذه الجنة فى مشاهدة دائمة فهم الشهداء ، أعنى شهادة الجمال والحسن الإلهى قتلوا فى محبة الله بسيف الفناء عن نفوسهم فلا يشهدون إلا محبوبهم ، وهذه الجنة هى المسماة بالوسيلة لأن المعارف وسيلة العارف إلى معروفه وأهل هذه الجنة أقل من أهل جميع الجنان المتقدمة ، وكلما علت الطبقات من هذه الجنة كان كذلك .

الطبقة السادسة : تسمى الفضيلة وأهلها هم الصديقون الذين أثنى الله عليهم بأنهم عند مليك مقتدر ، وهذه الجنة هى جنة الاسماء ، وهى منبسطة على درجات العرش كل طائفة من أهل الطبقة على درجة من درجات العرش أهلها أقل عدداً من أهل جنة المعارف ولكنهم أعلى مكانة عند الله تعالى وهؤلاء يسمون أهل اللذة الإلهية .

الطبقة السابعة : تسمى الدرجة الرفيعة ، وهى جنة الصفات من حيث الاسم ، وهى جنة الذات من حيث الرسم ، أرضها باطن العرش ، وأهلها يسمون أهل التحقق بالحقائق الإلهية ، وهم أقل عدداً من الطبقة التى مضى ذكرها ، هم المقربون أهل الخلافة الإلهية ، وهؤلاء هم المسكنون وذوو العزم فى التحقيق الإلهى . رأيت إبراهيم الخليل ﷺ قائما فى يمين هذا المحل ناظرا إلى وسطه ، ورأيت طائفة من الرسل والأولياء فى جانبه الأيسر شاخصين بأبصارهم إلى وسط هذا المحل ، ورأيت محمداً ﷺ فى وسطه شاخصا ببصره إلى سقف العرش طالبا للمقام المحمود الذى وعده الله به .

الطبقة الثامنة : تسمى المقام المحمود ، وهى جنة الذات ، أرضها سقف العرش ليس لأحد إليها طريق ، وكل من أهل جنة الصفات طالب للوصول إليها يزعم أنها معقودة باسمه دون غيره ، وزعم الكل حق ، ولكن هى لمحمد ﷺ لقوله « إن المقام المحمود أعلى مكان فى الجنة وإنها لاتكون إلا لرجل

واحد ، وأرجو أن يكون أنا ذلك الرجل ، ﷺ ، ثم أخبر أن الله تعالى وعده بها ، فلنؤمن ونصدق بما قاله ، فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

[فصل] وأعلم أن الصورة المحمدية لما خلق الله منها الجنة والنار وما فيهما من نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين ، خلق الله تعالى صورة آدم عليه السلام نسخة من تلك الصورة المحمدية ، فلما نزل آدم من الجنة ذهب حياة صورته لمفارقته عالم الأرواح . ألا ترى آدم عليه السلام كيف لما كان فى الجنة لا يتصور شيئاً فى نفسه إلا يوجده الله فى حسه ، وجميع من يدخل الجنة يتم له ذلك ، ولما نزل آدم إلى دار الدنيا لم يبق له ذلك ، لأن حياته المصورة فى الجنة كانت بنفسها وحياتها فى الدنيا بالروح فهى ميتة لأهل الدنيا إلا من أحياه الله تعالى بحياته الأبدية ، ونظر إليه بما نظر به إلى ذاته ، وحققه بأسمائه وصفاته ، فإنه يكون له من القدرة فى دار الدنيا ما سيكون لأهل الجنة فى الدار الآخرى ، فلا يتصور شيئاً فى نفسه إلا أوجده الله تعالى فى حسه ، فافهم ما أشرنا إليه لك فى هذا الباب ، فإنه من عرف مارمزناه فيه ظهر لديه ما يكتمه عنه الوجود ويخفيه ، والله يقول الحق ويثبته ولا ينفيه .

الباب التاسع والخمسون : فى النفس ، وإنها محتد إبليس ومن تبعه من الشياطين من أهل التلبيس

النفس سر الرب وهى الذات	فلها بها فى ذاتها لذات
مخلوقة من نور الوصف ربوبة	فلها لذلكم ربوبيات
ظهرت بكل تعاظم وتكبر	إذ هى أخلاق لها وصفات
لم ترض بالتحجير كون مكانها	من فوقه ولها هناك ثبات
وجميع أنوار نزلن نسين ما	قد كن فيه وغيرها النزلات

فعقلن إلا النفس لم تعقل ولا نسيت رياستها وذا إثبات

اعلم أيدك الله بروح منه ولا أخلاك فى وقت عنه ، أن الله تعالى لما خلق محمدا ﷺ من كماله ، وجعله مظهرا لجماله وجلاله ، خلق كل حقيقة فى محمد ﷺ من حقيقة من حقائق أسمائه وصفاته ، ثم خلق نفس محمد ﷺ من نفسه ، وليست النفس إلا ذات الشىء وقد بينا فيما مضى خلق بعض الحقائق المحمدية ﷺ من حقائقه تعالى ، كما مضى فى العقل والوهم وأمثالهما ، وسيأتى بيان ما بقى ، ثم خلق الله نفس محمد ﷺ على ما وصفناه ، خلق نفس آدم عليه السلام نسخه من نفس محمد ﷺ ، فلهذه اللطيفة لما منعت من أكل الحبة فى الجنة أكلتها لأنها مخلوقة من ذات الربوبية ، وليس من شأن الربوبية البقاء تحت الحجر ، ثم انسحب عليها هذا الحكم فى دار الدنيا وفى الآخرى ، فلا تمنع من شىء إلا وتطلب إتيانه لهذه اللطيفة ، سواء كان ما منعت عنه سببا لسعادتها أم سببا لشقاوتها ، لأنها لا تأتى الشىء طلبا للسعادة أو للشقاوة ، بل إنما تأتيه لمجرد ما هو عليه ذاتها من الربوبية الأصلية ، ألا ترى الحبة التى : أكلتها فى الجنة كيف حملها عدم المبالاة حتى انتهى بها إلى أكلها عالمة بأنها تشقيها للإخبار الإلهى حيث قال ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾(١) وليست الحبة إلا الظلمة الطبيعية ، فكانت الحبة المخلوقة من الشجرة مثلا نصبه الحق تعالى لها بالظلمة الطبيعية ، فمنعها من أكلها لعلمه أنها إذا عصت استحقت النزول إلى دار ظلمة الطبائع فتشقى ، لأنها الشجرة الملعونة فى القرآن ، فمن أتاها لعن ، أى طرد ، فلما أتتها طردت من القرب الإلهى الروحى إلى البعد الجسمانى فليس النزول إلا هذا وهو انصراف وجهها من العالم العلوى الذى هو منزه عن القيد والحصر إلى العالم السفلى الطبيعى الذى هو تحت الأسر .

---

(١) سورة البقرة من الآية ٣٥ .

[فصل] اعلم أن النفس لما منعت من أكل هذه الحبة ، وكان من شأنها هدم التحجير ، التبس الأمر عليها بين ما تعلمه لذاتها من سعادة الربوبية وبين الإخبار الإلهى بأن أكل الحبة يشقيها ، فاعتمدت على علمها من نفسها ولم تقف مع الإخبار الإلهى لعلة محبتها للأكل ، وهذا هو موضع الالتباس لجميع العالمين ، فكل من شقى إنما شقى بهذا الالتباس الذى شقيت النفس به أول وهلة ، فكانت الأمم تعتمد على علمها الحاصل لها من حيث العقل أو خبر المثل ، وتترك الإخبارات الإلهية الصريحة الواضحة مع البراهين القاطعة بصدق الرسل إليهم بها ، فهلك الجميع ، وسر هذا أن النفس هلكت به أول مرة وهى الأصل ، لأنهم كلهم مخلوقون منها لقوله تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾(١) فتبعها الفرع فهلك الجميع إلا الآحاد ، وهذا سر قوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾(٢) يعنى آمنوا بالأخبار الإلهية فتركوا ما يعملونه وعملوا الصالحات ، وهى التى أمروا بها من ترك المعاصى وفعل الطاعات ، وليست المعاصى إلا مقتضيات الظلمة الطبيعية ، وليست الطاعات إلا مقتضيات الأنوار الروحية .

واعلم أن النفس لم تقع فى الالتباس إلا بدسيسة الأمل ، وإلا فعلى الحقيقة تقديم علم الشخص على علم المخبر جائز إذا كان أحدهما منافياً للآخر ، ولم يكن ما أخبر به الحق تعالى منافياً لعلمها ، لأن النفس تعلم بالقابلية الأصلية سر ما تقتضيه الظلمة الطبيعية المضروب عنها المثل بالحية ، وتعلم أن إتيان الطبائع مظلمة لأرض الروح مشقية لها ، وتعلم أنه ليس من شأن الربوبية إتيان الأشياء المشقية للتقديس الذاتى والتنزيه الإلهى ، وليس ما أخبرها الحق تعالى إلا عين ما علمته

---

(١) سورة الزمر آية ٦ .
(٢) سورة التين آيات ٤ ، ٥ ، ٦ .

من نفسها ، لكن دسيسة الأكل التي تصبها الأمر المحكوم والقدر المحتوم ألبس عليها الأمر حتى رأت أن منع تلك الحبة مفوت للربوبية التي هي عليها ، وهي التي قال لها إبليس المخلوق فيها من حقيقة التلبيس ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾(١) لأن الملك لا تحجير عليه ، فإن امتنعتما دخلتما تحت التحجير ﴿أو تكونا من الخالدين﴾(٢) لأنكما إذا لم تقبلا الحجر في الأكل لم تخرجا من الجنة بإخراج أحدكما ، لأنكما قد أتيتما بما تقتضيه الربوبية ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾(٣) وليست المقاسمة إلا إيضاح ما يدعيه بالحجة القاطعة والبراهين الساطعة كما نعل ، ثم إن الأمم الماضية أيضاً وجميع من هلك إنما هلك بدسيسة نفسانية ، لأن الرسل إنما أتت إلى الخلق بالأمور المعقولة من إيضاح الأمور المجهولة ، كإثبات الصانع بدليل المصنوع ، وإثبات الاقتدار بدليل الصنعة ، وإثبات القيامة بدليل الإحياء الاول ، حيث قال ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾(٤) وأمثال ذلك كثير ، ثم أظهروا المعجزات القاطعة وأتوا بالآيات القامعة ، ولم يتركوا نوعا من خرق العوائد التي لا يقدر عليها المخلوق أبداً إلا عن قدرة إلهية كإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص وفلق البحر وأمثال ذلك ، فما منع من امتنع عن الانقياد للرسل إلا الدسائس ؛ فمنهم من قال : أخشى أن تعايرني العرب باستسلامي لأصغر مني ؛ ومنهم من قال : حرقوه وانصروا آلهتكم ؛ ومنهم من قال : أتريد أن نترك ما كان يعبد آباؤنا موافقة لما هو عندهم ، فما منهم إلا من منعه دسيسة نفسانية ، وإلا فالإخبارات الإلهية كانت موافقة لما هو عندهم ، كما قال تعالى ﴿فإنهم لا يكذبونك

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٢٠ .
(٢) « « « ٢٠
(٣) « « « ٢١
(٤) سورة يس من الآية ٧٩ .

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾(١) وكل هذا سر إلتباس الأمر على النفس بدسيسة الأكل ، بل سر ما اقتضاه الأمر الإلهى والشأن الذاتى .

[فصل] اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته ، وذات الحق جامعة للضدين ، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ﷺ كما سبق بيانه ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ ، وكان اسمه عزرائيل ، قد عبد الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بكذا كذا ألف سنة ، وكان الحق قد قال له : يا عزازيل لا تعبد غيرى ، فلما خلق الله آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له ، إلتبس الأمر على إبليس ، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابداً لغير الله ، ولو لم يعلم أن من سجد بأمر فقد سجد لله ، فلهذا امتنع ، وما سمى إبليس إلا لنكتة هذا التلبيس الذى وقع فيه فافهم ، وإلا فاسمه قبل ذلك عزازيل وكنيته أبو مرة .

فلما قال له الحق تعالى ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ﴾(٢) والعالون هم الملائكة المخلوقون من النور الإلهى كالملك المسمى بالنون وأمثاله ، وباقى الملائكة مخلوقون من العناصر ، وهم المأمورون بالسجود لآدم ، فقال ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾(٣) هذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال وما يقتضيه من الجواب ، لأن الحق لم يسأله عن سبب المانع ولو كان كذلك لكان صيغته لما امتنعت أن تسجد لما خلقت بيدى ، ولكن سأله عن ماهية

(١) سورة الأنعام آية ٣٣ .
(٢) سورة ص آية ٧٥ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٢ .

المانع ، فتكافل عن سر الأمر فقال : لأنى خير منه ، يعنى لأن الحقيقة النارية وهى الظلمة الطبيعية التى خلقتنى منها خير الحقيقة الطينية التى خلقته منها ، فلهذا السبب اقتضى الأمر أن لا أسجد ، لأن النار لا تقتضى بحقيقتها إلا العلو ، والطين لا يقتضى بحقيقته إلا السفل ، ألا تراك إذا أخذت الشمعة فنكست رأسها إلى تحت لا ترجع اللهبة إلا إلى فوق ، بخلاف الطين فإنك لو أخذت كفا من تراب ورميت به إلى فوق رجع هابطا أسرع من صعوده لما تقتضيه الحقائق ، فلذلك قال إبليس : ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾(١) ولم يرد على ذلك ، لعله أن الله مطلع على سره ، ولعله أن المقام مقام قبض لا مقام بسط ، فلو كان مقام بسط لقال بعد ذلك . واعتمدت على ما أمرتنى أن لا أعبد غيرك ، ولكن لما رأى المحل محل عتاب تأدب وعلم من ذلك العتاب أن الأمر قد إلتبس عليه فى الأصل ، لأن الحق دعاه بإبليس وهو مشتق من الإلتباس ، ولم يكن يدعى قبل ذلك بهذا الاسم ، فتحقق أن الأمر مفروغ عنه ، ولم يجزع ولم يندم ولم يتب ولم يطلب المغفرة ، لعلمه أن الله لا يفعل إلا ما يريد ، وأن ما يريده الله تعالى هو الذى تقتضيه الحقائق ، فلا سبيل إلى تغييرها ولا إلى تبديلها ، فطرده الحق من حضرة القرب إلا حضيض البعد الطبيعى، وقال ﴿ فاخرج منها فإنك رجيم ﴾(٢) أى من الحضرة العليا إلى المراكز السفلى ، إذ الرجم : طرح الشىء من العلو إلى السفل ﴿ وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ﴾(٣) اللعنة : هى الإيحاش والطرد ، قال الشاعر :

ذعرت به القطا ونفيت عنه   مقام الذئب كالرجل اللعين

يعنى الرجل الموحش ، وهو مثال ينصبونه فى الزرع يشبه الرجل ليستوحش

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢ .
(٢) سورة ص آية ٧٧ .
(٣) سورة ص آية ٧٨ .

منه الوحش وينفر منه الطير فينطرد بذلك ويسلم الزرع والثمر ، وقوله تعالى لإبليس ﴿ وأن عليك لعنتى إلى يوم الدين ﴾ (١) أى لا على غيرك ، لأن الحروف الجارة والناصبة إذا تقدمت أفادت الحصر ، كقولهم على زيد الدرهم ، أى لا على غيره ، وكقوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾(٢) أى لا غيرك نعبد ولا نستعين ، فلم يلعن الحق أحداً إلا إبليس ، وماورد من اللعنة على الظالمين والفاسقين وغيرهم ، فبكل ذلك بطريق الاتباع له ، فاللعنة بطريق الأصالة على إبليس وبطريق التفريع على غيره ، وقوله إلى ﴿ يوم الدين ﴾(٣) حصر ، فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة عليه ، لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية فى يوم الدين ، وقد مضى تفسير يوم الدين فى الباب الموفى أربعين من الكتاب ، فلا يعلن إبليس أى لا يطرده على الحضرة إلا قبل يوم الدين لأجل مايقتضيه أصله ، وهى الموانع الطبيعية التى تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية . وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات ، فلا لعنة بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهى وذلك بعد زوال جهنم ، لأن كل شىء خلقه الله لا بد أن يرجع إلى ما كان عليه ، هذا أصل مقطوع به فافهم .

قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه ، فقيل له : أتصنع هكذا وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هى خلعة أفردنى الحبيب بها لا يلبسها ملك مقرب ولا نبى مرسل ، ثم إنه نادى الحق كما أخبر عنه سبحانه وتعالى ﴿ قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ﴾(٤) لعلمه أن ذلك ممكن ،

---

(١) سورة ص آية ٧٨ .
(٢) سورة الفاتحة آية ٥ .
(٣) سورة الفاتحة ٤ .
(٤) سورة ص آية ٧٩ .

فإن الظلمة الطبيعية التى هى ممتدة باقية فى الوجود إلى أن يبعث الله تعالى أهلها ؛ فيتخلصون من الظلمة الطبيعية إلى أنوار الربوبية ، فأجابه الحق وأكد بأن « قال ، له ﴿ فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم ﴾(١) وذلك رجوع أمر الوجود إلى حضرة الملك المعبود ، وقال ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾(٢) لأنه يعلم أن الكل تحت حكم الطبيعة وأن الاقتضاءات الظلمانية تمنع من الصعود إلى الحضرات النورانية ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾(٣) يعنى الذين خلصوا من ظلمة الطبائع إقامة الناموس الإلهى فى الوجود الآدمى ، فإن كان المخلص بصيغة المفعول كان الأمر بالنسبة إلى الحقيقة الإلهية ، يعنى أخلصهم الله بجذبهم إليه ، وإن كان بصيغة الفاعل كان بالنسبة إلى الحقيقة العبدية ، يعنى تخلصوا بالأعمال الزكية كالمجاهدات ، والرياضات ، والمخالفات ، وأمثال ذلك . فلما تكلم بهذا الكلام أجابه الحق فقال : ﴿ فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾(٤) فلما تكلم إبليس عليه اللعنة من حيث ما تقتضيه الحقائق أجابه الحق تعالى من حيث ما تكلم به إبليس حكمة إلهية ، وذلك أن الظلمة الطبيعية التى تسلط بها إبليس عليهم وأقسم أنه يغويهم هى عينهم القائدة لهم إلى النار ، بل هى عين النار ، لأن الطبيعة المظلمة هى النار التى يسلطها الله تعالى على قلوب المفسدين ، فلا يتبع إبليس أحد إلا من دخلها ، ومن دخلها فقد دخل النار ، فانظر إلى هذه الحكمة الإلهية كيف أبرزها الله تعالى برقيق إشارة ودقيق عبارة ، ليفهمه من يستمع القول فيتبع أحسنه ، فافهم إن كنت ممن يفهم ، فديت من يعقل ما رمزت إليه ، وفديت من يعلم .

---

(١) سورة ص آيات ٨٠، ٨١ .
(٢) سورة ص آية ٨٢ .
(٣) سورة ص آية ٨٣ .
(٤) سورة ص آيات ٨٤، ٨٥ .

[فصل]

وبعد أن شرعنا فى الكلام على الحقيقة الإبليسية لابد أن نتكلم على مظاهره وتنوعاته وآلاته التى يستعين بها على الخلائق وتبيين شياطينه وحفدته وماهو خيله ورجله الذى ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز حيث قال ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان إلا غروراً﴾(١) .

واعلم أن إبليس له فى الوجود تسعة وتسعون مظهراً على عدد أسماء الله تعالى الحسنى ، وله تنوعات فى تلك المظاهر لا يحصى عدها ويطول علينا استيفاء شرح مظاهره جميعها ، فلنكتف منها على سبع مظاهر هى أمهات جميع تلك المظاهر ، كما أن السبعة النفسانية من أسماء الله تعالى أمهات جميع أسمائه الحسنى ، وهذا أمر عجيب ، وذلك نكتة سر إيجاده من النفس الموجودة من ذات الله تعالى ، فافهم هذه الإشارة ولا تغفل عن هذه العبارة .

واعلم أن مظاهره المذكورة هى هذه السبعة :

المظهر الأول: هو الدنيا ومايبنت عليه كالكواكب والاستقصات والعناصر وغير ذلك .

ثم اعلم أن إبليس لا يختص مظهره بأحد دون حد ، ولكن غالبا يظهر لكل طائفة بما ستنوى إليه ، ثم إنه إذا ظهر على طائفة بمظهر لا يقتصر عليه بل لا يزال يتنوع له فى كل المظاهر حتى يسدد عليه الأبواب ، ولا يترك له

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٤ .

طريقاً إلى الرجوع، ولكننا لا نذكر من مظاهره فى كل طائفة إلا ما هو الأغلب عليها ونترك الباقى ، لأنه يفعل بهم ما يفعل بغيرهم فى المظاهر الباقية ، فظهوره على أهل الشرك فى الدنيا وما بنيت عليه كالعناصر والأفلاك والاستقصات والأقاليم بهذه المظاهر الكفار والمشركين ، فيغويهم أولا بزينة الدنيا وزخارفها حتى يذهب بعقولهم ويعمى على قلوبهم، ثم يدلهم على أسرار الكواكب وأصول العناصر وأمثال ذلك ، فيقول لهم هؤلاء الفعالون فى الوجود فيعبدون الأفلاك لما يرونه من صحة أحكام الكواكب ، ولما يشهدونه من تربية الشمس بحرارتها لأجسام الوجود ، ولما ينظرونه من نزول المطر على حساب الطوالع والغوارب ، فلا يختلج لهم خاطر فى ربوبية الكواكب ، فإذا قد أحكم فيهم هذه الأصول تركهم كالبهائم لا يسعون إلا للمآكل والمشارب ، ولا يؤمنون بقيامة ولا غيرها فيقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا ، قد غرقوا فى بحار ظلمة الطبائع ، فلا خلاص لهم منها أبدا أبدا ، وكذلك يفعل بأهل العناصر فيقول لهم : ألا ترون أن الجسم مركب من الجوهر ، والجوهر مركب من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ، فهؤلاء الآلهة التى ترتب الوجود عليهم ، وهم الفعالون فى العالم ؛ ثم يفعل بهم ما فعل بالاول ، وكذلك عبدة النار(١) فإنه يقول لهم : ألا ترون أن الوجود منقسم بين الظلمة والنور ، فالظلمة إله يسمى أهرمن والنور إله يسمى يزدن،والنار أصل النور فيعبدونها،ثم يفعل بهم ما فعل بالأول ، وهكذا فعله بجميع المشركين .

المظهر الثانى : هى الطبيعة والشهوات واللذات ، فيظهر فيها للمسلمين العوام ، فيغويهم أولا بمحبة الأمور الشهوانية ، والرغبة إلى اللذات الحيوانية مما اقتضته

---

(١) عبدة النار هم المجوس القائلين بقدم النور والظلمة وهم فرق منهم الثنوية والمانوية وغيرهم . . الملل والنحل للشهرستانى .

الطبيعة الظلمانية حتى يعميهم ، فعند ذلك يظهر لهم فى الدنيا ويخبرهم بأن هذه الأمور المطلوبة لاتحصل لهم إلا بالدنيا،فينهمكون فى حبها ويستمرون فى طلبها، فإذا فعل بهم هذا تركهم فإنه لا يحتاج معهم بعد هذا إلى علاج ، فإذا صاروا أتباعه فلا يعصونه فى شىء يأمرهم به لمقارنة الجهل بحب الدنيا ، فلو أمرهم بالكفر لكفروا ، فحينئذ يدخل عليهم بالشك والوسواس فى الأمور المغيبة التى أخبر الله عنها فيوقعهم فى الإلحاد وتم الأمر .

المظهر الثالث : يظهر فى الأعمال للصالحين ، فيزين لهم مايصنعون ليدخل عليهم العجب ، فإذا أدخل عليهم العجب بنفوسهم وأعمالهم غرهم بما هم عليه فلا يقبلون من عالم نصيحة ، فإذا صاروا عنده بهذه المثابة قال لهم : يكفى لو عمل غيركم عشر معشار ما تعملونه لنجا ، فقالوا فى الأعمال وأخذوا فى الاستراحات واستعظموا أنفسهم واستخفوا بالناس ، ثم إذا أكسبهم هذه الأشياء مع بؤس ماكانوا عليه من سوء الخلق وسوء الظن بالغير انتقلوا إلى الغيبة ، وربما يدخل عليهم المعاصى واحدة بعد واحدة . ويقول لهم : افعلوا ما شئتم فإن الله غفور رحيم ، والله ما يعذب أحدا ، إن الله يستحى من ذى شيبة ، إن الله كريم ، حاشا الكريم أن يطالب بحقه وأمثال ذلك . حتى ينقلهم عما كانوا عليه من الصلاح إلى الفسق ، فعند ذلك يحل بهم البلاء والعياذ بالله منه .

المظهر الرابع : النيات والتفاضل بالأعمال يظهر فيها على الشهداء ، فيفسد نياتهم لتفسد أعمالهم ، فبينما أن العامل منهم يعمل لله تعالى يدس عليه شيطانا فى خاطره يقول له : أحسن أعمالك فالناس يرونك لعلهم يقتدون بك هذا إذا لم يقدر أن يجعله رياء وسمعة ليقال فلان كذا وكذا ، فإنه يدخل عليه من حيث الخير ثم يأتى إليه وهو فى عمل ، مثلا كقراءة قرآن يقول له : هلا تحج إلى بيت الله الحرام وتقرأ فى طريقك ماشئت ، فتجمع بين أجرى الحج والقراءة حتى يخرجه إلى الطريق ، فيقول له :كن مثل الناس أنت الآن مسافر ما عليك

قراءة ، فيترك القراءة وبشؤمه ذلك قد فوته الفرائض المفروضة المكتوبة ، وقد لا يبلغ الحج ، وقد يشغله عن جميع مناسكه بطلب القوت ، وقد يورثه بذلك البخل وسوء الخلق وضيق الصدر ، وأمثال ذلك من هذا كثير ، فإنه من لا يقدر أن يفسد عليه عمله يدخل عليه عملا أفضل مما هو عليه حتى يخرجه من العمل الأول ولا يتركه فى الثانى .

المظهر الخامس : العلم يظهر فيه العلماء ، وأسهل ما على إبليس أن يغويهم بالعلم ، قيل إنه يقول : والله لألف عالم عندى أسهل من أمى قوى الإيمان ، فإنه يتحير فى إغوائه ، بخلاف العالم فإنه يقول له ويستدل عليه بما يعلمه العالم أنه حق فيتبعه فيغوى بذلك ، مثلا يأتى إليه بالعلم فى محل شهوته فيقول له : اعقد بهذه المرأة على مذهب داود وهو حنفى ، أو على مذهب أبى حنيفة بغير ولى وهو شافعى ، حتى إذا فعل ذلك وطالبته الزوجة بالمهر والنفقة والكسوة ، فإنه يجوز للرجل أن يحلف لامرأته حتى يرضيها ولو كذبا ، فإذا طالت المدة ورفعته إلى الحاكم يقول له : أنكر أنها زوجتك فإن هذا العقد فاسد غير جائز فى مذهبك ، فليست لك بزوجة فلا تحتاج إلى نفقة ولا إلى غيرها فيحلف ويمضى ، وأنواع ذلك كثيرة جدا لا تحصى وليس لها حد ، بل ليس يسلم منه إلا آحاد الرجال الأفراد .

المظهر السادس : يظهر فى العادات وطلب الراحات على المريدين الصادقين فيأخذهم إلى غلبة الطبيع من حيث العادة وطلب الراحة حتى يسلبهم قوة الهمم فى الطلب وشدة الرغبة فى العبادة ، فإذا عدموا ذلك رجعوا إلى نفوسهم ، فصنع بهم ما هو صانع بغيرهم ممن ليست له إرادة ، فلا يخشى على المريدين من شىء أعظم مما يخشى عليهم من طلب الراحات والركون إلى العادات .

المظهر السابع : المعارف الإلهية يظهر فيها على الصديقين والأولياء والعارفين

إلا من حفظه الله تعالى ؛ وأما المقربون فما له عليهم من سبيل ، فأول ما يظهر به عليهم فى الحقيقة الإلهية فيقول لهم . أليس أن الله حقيقة الوجود جميعه وأنتم من جملة الوجود والحق حقيقتكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : لم تتعبون أنفسكم بهذه الاعمال التى يعملها هؤلاء المقلدة ، فيتركون الاعمال الصالحة فإذا تركوا الاعمال قال لهم افعلوا ما شئتم ، لان الله تعالى حقيقتكم ، فأنتم هو ، وهو لا يسئل عما يفعل ، فيزنون ويسرقون ويشربون الخمر حتى يئول بهم ذلك إلى أن يخلعوا ربقة الإسلام والإيمان من أعناقهم بالزندقة والإلحاد ، فنهم من يقول بالاتحاد ، ومنهم من يدعى فى ذلك الإفراد ، ثم إذا طولبوا بالقصاص وسئلوا عن منكراتهم التى فعلوها يقول لهم أنكروا ولا تمكنوا من أنفسكم ، فإنكم ما فعلتم شيئاً وما كان الفاعل إلا الله وأنتم ما هو على اعتقاد الناس واليمين على نية المستحلف ، فيحلفون أنهم لم يصنعوا شيئاً وقد يناجيهم فى لباس الحق فيقول لأحدهم إنى أنا الله وقد أبحت لك المحرمات فاصنع ما شئت . أو فاصنع كذا وكذا من المحرمات فلا إثم عليك ، وكل هذا لا يكون غلطا إلا إذا كان إبليس هو الظاهر عليهم ، وإلا فالحق سبحانه وتعالى بينه وبين عباده من الخصوصيات والاسرار ما هو أعظم من ذلك . ولمواجيد الحق علامات عند أهله غير منكورة ، إنما تلتبس الاشياء على من لا معرفة له بها مع عدم العلم بالوصول ، وإلا فمثل هذه الاشياء لا تكاد تخفى على من له معرفة بالاصول ألا ترى إلى حكاية سيدى الشيخ عبد القادر لما قيل له وهو فى البادية : يا عبد القادر إننى أنا الله وقد أبحت لك المحرمات فاصنع ما شئت ، قال له : كذبت إنك شيطان ، فلما سئل عن ذلك وقيل له : بماذا علمت أنه شيطان ؟ فقال لقول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾(١) فلما أمرنى هذا اللعين

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٢٨ .

بذلك علمت أنه شيطان يريد أن يغوينى ، على أن نفس مثل هذا قد يجرى لعباد الله مع الحق ، كما جرى لأهل بدر وغيرهم ، وهذا مقام لا أنكره أخذ الوقت من بدايتى طرفا منه ، وكنت محقا ، فنقلنى الحق منه ببركة سيدى وشيخى أستاذ الدنيا وشرف الدين سيد الاولياء المحققين أبى المعروف الشيخ إسماعيل ابن إبراهيم الجبرتى ، ولقد اعتنى بى وأنا فى تلك الحالة بعناية ربانية ، مؤيدة بنفحات رحانية إلى أن نظر الحق بعينه عبده ، فجعلنى ممن عنده ، فنعم السيد الفاضل ، ونعم الشيخ الكامل،وفيه قلت هذه القصيدة من جملة قصائد عديدة :

وافى المحب فزاره محبوبه ... بشراه يا بشراه ذا مطلوبه
قدم الحبيب بعيد هجر يالها ... من فرحة داوى السقيم طبيبه
ياقدة العسال هل هذا القنا ... يتآد أم يا ردف أنت كثيبه
وبخاله المسكى تهت عن التقى ... لكن هدانى للسلافة طيبه
أبرود ثغر ذا الأقاح ولؤلؤ ... نظمت على مرجان فيه حبوبه
أى شعر ليلك هل يضىء صباحه ... أى خد يومك هل يجىء غروبه
أأسنة أم أسهم تلك المقى ... وتصيب قلبى أم فذاك نصيبه
أقسى حاجبه إلى كم قسوة ... هب أننى هدف ألست تصيبه
يا أيها الواشون لا كان الوشا ... يا أيها الرقبا أميت رقيبه
لله فقدكما عدمت لقاكما ... لولاكما ضم الحبيب حبيبه
أفلسيا ترياه يرسل نشره ... سحرا فيحيى المستهام هبوبه
أنا من يضم حبيبه عند اللقا ... خوف الرقيب فلا يبين رقيبه
لم أنس صبحا بالهنا آلسته ... حتى اجترى خوض الدجى مركوبه
وكب الأسنة والذوابل شرع ... ماصده عن حى مى خطوبه
كادت نجائب عزمه تكبو بها ... فاشتد منها بالفنان نجيبه
وطرقت سعدى والسهام كأنها ... نيسان صدق بركة مسكوبه

حتى أنخت مطيتى فى منزل | لم يدغ إلا بالأهيل غريبه
دار بها لسعاد مغنى مغرب | عنقاؤه فوق السماك تريبه
دار بها حل المكارم والعلا | فالجود جود فنائها وخصيبه
دار بها إسماعيل أسمى من سما | أسماء أسما راحة ونسيبه
ملك الصفات وكامل الذات الذى | فاح الشمال بعطره وجنوبه
ملك ملوك الله تحت لوائه | ما بينها موهوبه وسليبه
أسد دم الآساد محمد حسامه | لسر وفى مخ النسور خليبه
بحر لآلى التاج من أمواجه | فوق الرءوس على الملوك وهيبه
قطب الحقيقة محور الشرع الضيا | فلك الولاء محيطه وجيبه
وأخو التمكن من صفات طالما | حر الرقاب دونهن رقيبه
لله درك من مليك ناهب | بل واهب يدى ولحى ذيبه
ويعو بالملك العقيم من ابتغى | ويذل من هو شاء فهو حسيبه
يا إبن إبراهيم يا بحر الندى | ياذا الجبرتى الجبور طبيبه
ألعبدك الجيلى منك عناية | صباغة صبغ الحب حبيبه
أنت الكريم بغير شك وهو ذا | عبد الكريم ومنك يرجى طيبه
والسامعون وناشدوه جميعهم | أضياف جودك إذ يعم سكوبه
ما أنت يا غصن النقا بالمنحنى | إلا الخزامى قد تنشر طيبه
قسما بمكة والمشاعر والذى | من أجله هجر المنام كثيبه
ما حب قلبى قط شيئاً غيركم | كلا وليس سواكم مطلوبه

ويكفى هذا القدر من بيان أمر إبليس وتنوعه فى مظاهره ، وإلا فلو أخذنا فى بيان تنوعه فى مظهر واحد من هذه السبعة بكماله ملأنا مجلدات كثيرة مثلا ، كما لا يظهر لأعلى الطبقات وهى طبقات العارفين فضلا عن الأدنى ، فإنما يقدر أن يظهر على الأدنى بكل ما يظهر به على الأعلى ، ولا عكس فيأتى بعض

العارفين ويظهر عليهم تارة من حيث الاسم الإلهى ، وتارة من حيث الوصف وتارة من حيث الذات ، وتارة من حيث العرش ، وتارة من حيث الكرسى وتارة من حيث اللوح ، وتارة من حيث القلم ، وتارة من حيث العماء ، وتارة من حيث الألوهية ، ويظهر عليهم فى كل مظهر أبى ووصف على فلا يعرفه إلا آحاد الأولياء ، فإذا عرفه الولى صار ما كان يريد أن يغويه به هداية فى حق العارف ويتقرب به إلى الحضرة الإلهية ، هكذا لا يزال يفعل بالولى حتى يحصل الأجل المحتوم ، والأمر المحكوم ، فيتحقق الولى بالحقائق الإلهية ، ويتقلب فيها بحكم التمكين ، فينقطع حكم إبليس حينئذ ، فذاك فى حقه إلى يوم الدين ، إذ ليس يوم الدين إلا يوم القيامة ، والعارف إذا فنى فى الله الفناء الثالث وانمحق والسحق ، فقد قامت به قيامته الصغرى ، فذلك مآله يوم الدين ، فلنكتف فى إيضاح هذا الأمر إذ لا سبيل إلى إفشاء هذا السر .

ثم إعلم أن الشياطين أولاد إبليس عليه اللعنة ، وذلك أنه لما تمكن من النفس الطبيعية أنكح النار الشهوانية من الفؤاد فى العادات الحيوانية ، فتولدت لذلك الشياطين كما يتولد الشرر من النار والنبات من الأرض ، فهم ذريته وأتباعه ، يخطرون فى القلب مثل الخواطر النفسانية ، بهم يغوى الناس وهم الوسواس الخناس ، وهذا مشاركته لبنى آدم حيث قال ﴿ وشاركهم فى الأموال والأولاد ﴾(١) فهذا مشاركته ، فمن هؤلاء من تغلب عليه الطبيعية النارية فيكون ملتحقا بالأرواح العنصرية ، ومنهم من تغلب عليه الطبيعة النباتية الحيوانية فيبرز بصورة بنى آدم وهو شيطان محض ، وذلك قوله تعالى ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾(٢) وهؤلاء البارزون فى صورة بنى آدم هم خيله ، لأنهم أقوى

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٤ .
(٢) سورة الأنعام من الآية ١١٢ .

من الشياطين الملحقة بالأرواح ، فهؤلاء أصول الفتن فى الدنيا ، وأولئك فروعه وهم رجله ، قال تعالى ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾(١) .

ثم اعلم أن آلاته أقواها الغفلة ، فهى بمثابة السيف له يقطع به ، ثم الشهوة وهى بمثابة السهم يصيب به المقتل ، ثم الرياسة وهى بمثابة الحصون والقلاع يمتنع بها أن يزول ، ثم الجهل وهو بمثابة الراكب ، فيسير بالجهل إلى حيث يشاء ، ثم الأشعار والأمثال والخمور والملاهى ، وأمثال ذلك كباق آلات الحرب ، وأما النساء فهن نوابه وحبائله بهن يفعل كما يشاء ، فليس فى عدده شىء أقوى فعلا من النساء ، فهذه آلاته التى يقاتل بها ، وله آلات كثيرة ومواسم ، فن جملة مواسمه الليل ومواضع التهم ووقت النزع وأمثال ذلك ، وهذا القدر سديد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

[فصل] ثم اعلم أن النفس فى الاصطلاح على خمسة أضرب(٢) : نفس حيوانية ، ونفس أمارة ، ونفس ملهمة ، ونفس لوامة ، ونفس مطمئنة ، وكلها أسماء الروح إذ ليس حقيقة النفس إلا الروح ، وليس حقيقة الروح إلا الحق فافهم ، فالنفس الحيوانية تطلق على الروح باعتبار تدبيرها للبدن فقط ، وأما الفلسفيون فالنفس الحيوانية عندهم هى الدم الجارى فى العروق وليس هذا بمذهبنا . ثم النفس الامارة تسمى به باعتبار ما يأتيه من المقتضيات الطبيعية الشهوانية

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٤ .

(٢) تعريف النفس وأنواعها . النفس حيث الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهى الواسطة بين القلب الذى هو النفس الناطقة بين البدن والمشار إليها فى القرآن بالشجرة الزيتونية الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية ...

باصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٩٥ .

الانهماك فى الملاذ الحيوانية وعدم المبالاة بالأوامر والنواهى ، ثم النفس الملهمة تسمى به باعتبار ما يلهمها الله تعالى به من الخير ، فكل ما تفعله النفس من الخير هو بالإلهام الإلهى ، وكل ما تفعله من الشر هو بالاقتضاء الطبيعى ، وذلك الاقتضاء منها بمثابة الأمر لها بالفعل ، فكأنها هى الأمارة لنفسها بفعل تلك المقتضيات ، فلهذا سميت أمارة ، وللإلهام الإلهى سميت ملهمة . ثم النفس اللوامة سميت به باعتبار أخذها فى الرجوع والإقلاع ، فكأنها تلوم نفسها على الخوض فى تلك المهالك ، فلهذا سميت لوامة ثم النفس المطمئنة سميت به باعتبار سكونها إلى الحق واطمئنانها به ، وذلك إذا قطعت الأفعال المذمومة رأسا والخواطر المذمومة مطلقا ، فإنه متى لم تنقطع عنها الخواطر المذمومة لا تسمى مطمئنة بل هى لوامة ، ثم إذا انقطعت الخواطر المذمومة مطلقا تسمى مطمئنة ، ثم إذا ظهر على جسدها الآثار الروحية من طى الأرض وعلم الغيب وأمثال ذلك ، فليس لها اسم إلا الروح ، ثم إذا انقطعت الخواطر المحمودة كما انقطعت المذمومة واتصفت بالأوصاف الإلهية وتحققت بالحقائق الذاتية . فاسم العارف اسم معروفه ، وصفاته صفاته ، وذاته ذاته ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الباب الموفى ستين : فى الإنسان الكامل
وأنه محمد صلى الله عليه وسلم
وأنه مقابل للحق والخلق

اعلم أن هذا الباب عمدة أبواب هذا الكتاب ، بل جميع الكتاب من أوله إلى آخره شرح لهذا الباب ، فافهم معنى هذا الخطاب ، ثم إن أفراد هذا النوع الإنسانى كل واحد منهم نسخة للآخر بكماله لا يفقد فى أحد منهم مما فى الآخر شىء إلا بحسب العارض ، كمن تقطع يداه ورجلاه ، أو يخلق أعمى لما عرض له فى بطن أمه ، ومتى لم يحصل العارض فهم كمرآتين متقابلتين يوجد فى كل واحد

منهما ما يوجد فى الآخرى ، ولكن منهم من تكون الأشياء فيه بالقوة ، ومنهم من تكون فيه بالفعل وهم الكمل من الأنبياء والأولياء ، ثم إنهم متفاوتون فى الكمال فمنهم الكامل والأكمل ، ولم يتعين أحد منهم بما تعين به محمد ﷺ فى هذا الوجود من الكمال الذى قطع له بانفراده فيه ، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله ، فهو الإنسان الكامل والباقون من الأنبياء والأولياء والكمل صلوات الله عليهم ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ، ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل ، ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع فى مؤلفاتى إنما أريد به محمدا ﷺ ، تأدبا بمقامه الاعلى ومحله الأكمل الاسنى ، ولى هذه التسمية له إشارات وتنبيهات على مطلق مقام الإنسان الكامل لا يسوغ إضافة تلك الإشارات ، ولا يجوز إسناد تلك العبارات إلا اسم محمد ﷺ ، إذ هو الإنسان الكامل بالاتفاق ، وليس لاحد من الكمل ماله من الخلق والأخلاق ، وفيه قلت هذه القصيدة المسماة بالدرة الوحيدة فى اللجة السعيدة .

قلب أطاع الوجد فيه جنانه	وعصى العواذل سره ولسانه
عقد العقيق من العيون لأنه	فقد العقيق ومن هو أعيانه
ألف السهاد وما سها فكأنها	نظم السهى فى هدبه إنسانه
يبكى على بعد الديار بمدمع	سل عنه سلعا كم روت غدرانه
لحنينه رعد ونار زفيره	برق ومزن المنحنى أجفانه
فكأن بحر الدمع يقذف دره	حتى نفدن وقد بدا مرجانه
ولئن تداعى فوق أيك طائر	داعى الحمام بأنه خفقانه
ويزيده شجوا حنين مطية	رقلت بها نحو الحمى ركبانه
يا سائق العيس المممم فى الثرى	قف للذى تحدوكم أشجانه
بلغ حديثا قد روته مدامعى	إذ عنعنته مسلسلا فيضانه

أسند لهم ضعفى وماقد صح من متواتر الخبر الذى جريانه
يرويه عن عبراته عن مقلتى عن أضلعى عما روت نيرانه
عن مهجتى عن شجوها عن خاطرى عن عشقتى عما حواه جنانه
عن ذلك العهد القديم عن الهوى عمن هو روحى وهم سكانه
واسأل سلمت أحبتى بتلطف المسكين عند هو وهم سلطانه
واستنجد العرب الكرام تعطفا لمضيع فى هجرهم أزمانه
لا يوحشنك هجرهم وعلوهم تلك الديار لوفدها أوطانه
كلا ولا تنس الحديث لحبهم قصص الصبابة لم تزل قرآنه
ما آيسوا المقطوع من إيصالهم بل آنسوه بانهم خلانه
قد كنت أعهد منهم حفظ الودا د فليت شعرى هل هم إخوانه
ولقد أنزه عن خيانة عهدنا شأن الحبيب وإن يكن هو شأنه
حيا الإله أحبتى وسقاهمو غيثا يجود بويله سكبانه
يحيا به الربع الخصيب ولم يزل حيا يميس بورقه أغصانه
عجبا لذاك الحى كيف يمسه قحط السنين وأجد نيسانه
أو كيف يظمأ وفده ولديهمو بحر يموج بدره طفحانه
شمس على قطب الكمال مضيئة بدر على فلك العلا سيرانه
أوج التعاظم مركز العز الذى لرحى العلا من حوله دورانه
ملك وفوق الحضرة العليا على العرش المكين مثبت إمكانة
ليس الوجود بأسره إن حققوا إلا حبابا طفحته دنانه
الكل فيه ومنه كان وعنده تفنى الدهور ولم تزل أزمانه
فالخلق تحت سما علاه كخردل والأمر يبرمه هناك لسانه
والكون أجمعه لديه كخاتم فى إصبع منه أجل كوانه
والملك والملكوت فى تياره كالقطر بل من فوق ذاك مكانه
وتطيعه الأملاك من فوق السما واللوح ينفذ ماقضاه بنانه

فلكم دعا بالنخلة الصما لها ... ت مثل ما جاءت له غزلانه
ناهيك شق البدر منه بأصبع ... والبدر أعلى أن يؤول قرانه
شهدت بمكنته الكيان وخير بينة يكون الشاهدين كيانه
هو نقطة التحقيق وهو محيطه ... هو مركز التشريع وهو مكانه
هو در بحر ألوهة وخضمها ... هو سيف أرض عبودة ومعانه
هو هاؤه هو واوه هو باؤه ... هو سينه والعين بل إنسانه
هو قافه هو نونه هو طاؤه ... هو نوره هو ناره هو وانه
عقد اللوا بمحمد ولناه ... فالدهر دهر والأوان أوانه
وله الوساطة وهو عين وسيلة ... هي الفتى يحلى بها وحسانه
وله المقام وذلك المحمود ما ... لم يبدو من شأن تعالى شانه
ميكال طست موجة من بحره ... وكذاك روح أمينه وأمانه
وبقية الأملاك من مائية ... كالثلج يعقده الصبا وحرانه
والعرش والكرسي ثم المنتهى ... علاه ثم محله ومكانه
وطوى السموات العلى بعروجه ... طي السجل كمدلج ركبانه
أنبا عن الماضي وعن مستقبل ... كشف القناع وكم أضا برهانه
وأتت يداه بمال قيصره ففر ... قها وكسرى ساقط إيوانه
ولكم له خلق يضيء بنوره ... يهدي بذكراه الهدى جيرانه
ولكم تطهر في التزكي واتقى ... حتى ارتقى مالا يرام عيانه
أنبا عن الأسرار إعلانا ولم ... يفش السريرة للورى إعلانا
نظم الدراري في عقود حديثه ... متنثرات فرقها عقبانه
حتى يبلغ في الإمامة حقها ... من غير هتك رامه خوانه
الله حسبي ما لأحمد منتهى ... وبمدحه قد جاءنا فرقانه
حاشاه لم تدرك لأحمد غاية ... إذ كل غايات النهى بدآنه

صلى عليه الله مهما زمزمت كلم على معنى يريح بيانه
والآل والأصحاب والأنساب والأقطـــاب قوم فى العلا إخوانه

اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع فى ملابس ويظهر فى كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر . فاسمه الأصلى الذى هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس الدين ، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام ، وله فى كل زمان اسم ما يليق بلباسه فى ذلك الزمان ، فقد اجتمعت به ﷺ وهو فى صورة شيخى الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتى ، ولست أعلم أنه النبى ﷺ ، وكنت أعلم أنه الشيخ ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة ، فالأديب إذا رآه فى الصور المحمدية التى كان عليها فى حياته فإنه يسميه باسمه ، وإذا رآه فى صورة ما من الصور وعلم أنه محمد ، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية ، ألا تراه ﷺ لما ظهر فى صورة الشبلى رضى الله عنه قال الشبلى لتلميذه أشهد أنى رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وهذا أمر غير منكور ، وهو كما يرى النائم فلانا فى صورة فلان . وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به فى اليقظة ما يسوغ به فى النوم ، لكن بين النوم والكشف فرق ، وهو أن الصورة التى يرى فيها محمد ﷺ فى النوم لا يوقع اسمها فى اليقظة على الحقيقة المحمدية ، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة اليقظة ، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية إنها متجلية فى صورة من صور الآدميين ، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك

مع محمد ﷺ ، لما اعطاك الكشف أن محمداً ﷺ متصور بتلك الصورة ؟ فلا يجوز ذلك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل ؛ إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ ، حاشا الله وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون ذلك مرادي ، بل إن رسول الله ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة ، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم ، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم ،

واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه ، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ويقابل الحقائق السفلية بكثافته ، فأول ما يبدو في مقابلته للحقائق الخلقية يقابل العرش بقلبه ، قال عليه الصلاة والسلام ، « قلب المؤمن عرش الله »(١) ويقابل الكرسي بإنيته ، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه ، ويقابل القلم الأعلى بعقله ، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه ، ويقابل العناصر بطبعه ، ويقابل الهيولى بقابليته ، ويقابل الهباء بحيز هيكله ، ويقابل الفلك الأطلس برأيه ، ويقابل الفلك المكوكب بمدركته ، ويقابل السماء السابعة بهمته ، ويقابل السماء السادسة بوهمه ، ويقابل السماء الخامسة بهمه ، ويقابل السماء الرابعة بفهمه ، ويقابل السماء الثالثة بخياله ، ويقابل السماء الثانية بفكره ، ويقابل السماء الأولى بحافظته ، ثم يقابل زحل بالقوى اللامسة ، ويقابل المشترى بالقوى الدافعة ، ويقابل المريخ بالقوى المحركة ، ويقابل الشمس بالقوى الناظرة ، ويقابل الزهرة بالقوى المتلذذة ، ويقابل عطارد بالقوى الشامة ، ويقابل القمر بالقوى السامعة ، ثم يقابل فلك النار بحرارته ، ويقابل فلك الماء ببرودته ، ويقابل فلك الهواء برطوبته ، ويقابل فلك التراب بيبوسته ، ثم يقابل الملائكة بخواطره ، ويقابل

---

(١) حديث قلب المؤمن عرش الله .

الجن والشياطين بوسواسه ، ويقابل البهائم بحيوانيته ، ويقابل الأسد بالقوى الباطشة ، ويقابل الثعلب بالقوى الماكرة ، ويقابل الذئب بالقوى الخادعة ، ويقابل القرد بالقوى الحاسدة ، ويقابل الفأر بالقوى الحريصة ، وقس على ذلك باقى قواه ، ثم إنه يقابل الطير بروحانيته ، ويقابل النار بالمادة الصفراوية ، ويقابل الماء بالمادة البلغمية ، ويقابل الريح بالمادة الدموية ، ويقابل التراب بالمادة السوداوية ، ثم يقابل السبعة الأبحر بريقه ومخاطه وعرقه ونقاء أذنه ودمعه وبوله ، والسابع المحيط ، وهو المادة الجارية بين الدم والعرق والجلد ، ومنها تتفرع تلك الستة ولكل واحد طعم ، لحلو وحامض ، ومر ممزوج ، ومالح ونتن وطيب ؛ ثم يقابل الجوهر بهويته وهى ذاته ، ويقابل العرض بوصفه ، ثم يقابل الجمادات بأنيابه ، فإن الناب لا يلتحم ، بشىء ، ثم يقابل النبات بشعره وظفره ، ويقابل الحيوان بشهوانيته ، ويقابل مثله من الآدميين ببشريته وصورته ، ثم يقابل أجناس الناس ، فيقابل الملك بروحه ، ويقابل الوزير بنظره الفكرى ، ويقابل القاضى بعلمه المسموع ورأيه المطبوع ، ويقابل الشرطى بظنه ، ويقابل الأعوان بعروقه وقواه جميعها ، ويقابل المؤمنين بيقينه ، ويقابل المشركين بشكه وريبه ، فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه ؛ فقد بينا فيما مضى من الأبواب خلق كل ملك مقرب من كل قوى من الإنسان الكامل ، وبقى أن نتكلم فى مقابلة الأسماء والصفات .

اعلم أن نسخة الحق تعالى كما أخبر ﷺ حيث قال « خلق الله آدم على صورة الرحمن »(١) وفى حديث آخر « خلق الله آدم على صورته »(٢) وذلك أن الله تعالى حى عليم قادر مريد سميع بصير متكلم ، وكذلك الإنسان حى عليم إلخ ؛ ثم يقابل

---

(١) حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن .

(٢) حديث خلق الله آدم على صورته .

الهوية بالهوية ، والإنية بالإنية ، والذات بالذات والكل بالكل ، والشمول بالشمول ، والخصوص بالخصوص ، وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية ، وقد نبهنا عليها فى هذا الكتاب فى غير موضع ، وأما هنا فلا يجوز لنا أن نترجم عنها ، فيكفى هذا القدر من التنبيه عليها .

ثم إعلم أن الإنسان الكامل هو الذى يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتى ، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ، ليس لها مستند فى الوجود إلا الإنسان الكامل ، فمثاله للحق مثال المرآة التى لا يرى الشخص صورته إلا فيها ، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله فهو مرآته ، والإنسان الكامل أيضا مرآة الحق ، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا فى الإنسان الكامل ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾(١) يعنى قد ظلم نفسه بأن أنزلها عن تلك الدرجة ، جهولا بمقداره لأنه محل الأمانة الإلهية وهو لا يدرى .

وإعلم أن الإنسان الكامل تنقسم جميع الأسماء والصفات له قسمين : فقسم يكون عن يمينه كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر وأمثال ذلك ، وقسم يكون عن يساره كالأزلية والأبدية والأولية والاخرية وأمثال ذلك ، ويكون له وراء الجميع لذة سريانية تسمى المدة الألوهية يجدها فى وجود جميعه بحكم الانسحاب ، حتى أن بعض الفقراء تمنى استرساله فى تلك اللـــذة ، ولا يغرنك كلام من يزيف دؤلاء ، فإنه لامعرفة له بهذا المقام ، ويكون الإنسان

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

الكامل فراغ عن متعلقاته كالأسماء والصفات فلا يكون له إليهم نظر ، بل متجرد عن الأسماء والصفات والذات لا يعلم فى الوجود غيرهويته بحكم اليقين والكشف يشهد صدور الوجود أعلاه وأسفله منه ، ويرى متعددات أمر الوجود فى ذاته كما يرى أحدنا خواطره وحقائقه ، وللإنسان الكامل تمكن من منع الخواطر عن نفسه جليلها ودقيقها ، ثم إن تصرفه فى الأشياء لا عن اتصاف ولا عن آلة ولا عن اسم ولا عن رسم ، بل كما يتصرف أحدنا فى كلامه وأكله وشربه ، وللإنسان الكامل ثلاث برازخ وبعدها المقام المسمى بالختام : البرزخ الأول يسمى البداية وهو التحقق بالأسماء والصفات البرزخ الثانى يسمى التوسط وهو فلك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية ، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر المكتمات واطلع على ماشاء من المغيبات . البرزخ الثالث وهو معرفة التنوعات الحكمية فى إختراع الأمور القدرية لا يزال الإنسان تخرق له العادات بها فى ملكوت القدرة حتى يصير له خرق العوائد عادة فى فلك الحكمة فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة فى ظاهر الأكوان فإذا تمكن من هذا البرزخ حل فى المقام المسمى بالختام والموصوف بالجلال والإكرام ، وليس بعد ذلك إلا الكبرياء ، وهى النهاية التى لا تدرك لها غاية ، والناس فى هذا المقام مختلفون فكامل وأكمل ، وفاضل وأفضل ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(١) .

الباب الحادى والستون : فى أشراط الساعة وذكر الموت والبروخ والحساب والقيامة والميزان والصراط والجنة والنار والأعراف والكثيب الذى يخرج أهل الجنة إليه

إعلم أن العالم الدنياوى الذى نحن فيه الآن له إنتهاء يئول إليه ، لأنه محدث وضرورة حكم المحدث أن ينقضى ، ولا بد من ظهور هذا الحكم ، فانقضاؤه

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤ .

وفناؤه تحت سلطان الحقيقة الإلهية الظاهرة فى لباس أفراد هذا العالم الدنياوى هو موته وظهور الحقيقة الإلهية الظاهرة عندنا بالأحكام التى ذكرها سبحانه فى كتابه هو الساعة الكبرى لهذا الوجود ، ثم إن كلا من أفراد العالم له ساعة خاصة يجتمع الجميع فى الساعة العامة، لأن كل فرد لابد أن يحصل فى الساعة المختصة به ، ويعم هذا الحكم جميع الأفراد الموجودة فى هذا العالم ، وذلك العموم هو الساعة الكبرى التى وعد الله بها ، فلما علمت هذا وتحققته وعرفت أن العالم بأجمعه أعلاه وأسفله له أجل معلوم ، لأن كل واحد من أفراده له أجل معلوم ، وبنظر الجملة ، فعموم الحكم هو أجل العالم بأجمعه ، وما ثم إلا هذا ، فلا أدرى هل تفهم هذه النكتة على ما نص الكتاب عليه أم فهمك منه على غير مرادى . وأما على مفهوم العوام من ظاهره فسأنبهك عليه بعبارة أخرى .

إعلم أن الحق تعالى له عوالم كثيرة ، فكل عالم ينظر الله إليه بواسطة الإنسان يسمى شهادة وجودية . وكل عالم ينظر إليه من غير واسطة الإنسان يسمى غيبا ، ثم إنه جعل ذلك الغيب نوعين : فغيب جعله مفصلا فى عالم الإنسان ، وغيب جعله مجملا فى قابلية الإنسان ، فالغيب المفصل فى عالم الإنسان يسمى غيبا وجوديا ، وهو كعالم الملكوت ، والغيب المجمل فى القابلية يسمى غيبا عدميا ، وهو كالعوالم التى يعلمها الله تعالى ولا نعلمها ، فهى عندنا بمثابة العدم ، فذلك معنى الغيب العدمى . ثم إن هذا العالم الدنياوى الذى ينظر الله إليه بواسطة هذا الإنسان لا يزال شهادة وجودية ما دام الإنسان واسطة نظر الحق فيها ، فإذا انتقل الإنسان منها نظر الله إلى العالم الذى انتقل إليه الإنسان بواسطة الإنسان فصار ذلك العالم شهادة وجودية وصار العالم الدنياوى غيبا عدميا ، ويكون وجود العالم الدنياوى وحينئذ فى العالم الإلهى كوجود الجنة والنار اليوم فى علمه سبحانه وتعالى ، فهذا هو عين فناء العالم الدنياوى ، وعين القيامة الكبرى وهى الساعة ، ولسنا بصدد ذكرها ، بل غرضنا أن نشرح الساعة الخاصة بكل فرد

من أفراد هذا العالم ، وتتحدث على ذلك فى الإنسان ، لأن أكمل أفراد الوجود فلنقس للباقين عليه ، ونحيل فهم على الساعة العامة على فهمك من كتاب الله تعالى خشية على إيمانك أن يسلبه شيطان الشك إن ذكرنا لك عجائب الساعة الكبرى ، فلنقتصر من ذلك على ذكر الساعة الصغرى التى هى قبل الساعة الكبرى. ثم لا تظن بأنهما ساعتان ، بل هو ساعة واحدة ؛ فمثل هذا مثل الكلى الواقع على كل واحد من جزئياته مثلا كما تقول : مطلق الحيوان واقع على كل أنواع الخيل والأنعام والإنسان وغير ذلك ، ثم إن نفس لفظ الحيوان واقع على كل فرد من أفراد كل نوع ، ولا تتعدد الحيوانية فى نفسها لأنها كلية تامة ، والكلية تقع على جزئياتها من غير تعدد ، فكذلك الساعة الكبرى واقعة على كل من الساعة الصغرى من غير تعدد ، فأول ما نذكر علامة الساعة وأشراطها ثم نذكرها .

اعلم أن للساعة الصغرى علامات وأشراطا مناسبة لعلامات الساعة الكبرى وأشراطها ، فكما أن من أمارات الساعة الكبرى أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ، فكذلك الإنسان من علامة قيام ساعته الخاصة به ظهور ربوبيته سبحانه وتعالى فى ذاته ، فذات الإنسان هى الأمة ، والولادة هى ظهور الأمر الخفى من باطنه إلى ظاهره ، لأن الولد محله البطن ، والولادة بروز إلى ظاهر الحس ، فكذلك الحق سبحانه وتعالى موجود فى الإنسان بغير حلول ، وهذا الوجود باطن ، فإذا ظهر بأحكامه وتحقق العبد بحقيقة ﴿كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ﴾(١) ظهر الحق تعالى فى وجود هذا الإنسان ، فتمكن من التصرف فى عالم الأكوان ، فذاته بمثابة الأمة ، وآثار ربوبية الحق بمثابة

---

(١) حديث قدسى «كنت سمعه الذى يسمع به» .

الربة ، وظهورها بمثابة الولادة ، ثم تجرد العارف عن الأسماء بمثابة التحفى عن النعل ، لأن الأسماء مراكب العارفين ، وتجرده عن الصفات بمثابة حال العراة ، وكونه دائم الملاحظة للأنوار الأزلية بمثابة رعاء الشاء ، وكون المجذوب يأخذ فى الترقى من المعارف الإلهية هو بمثابة تطاول البنيان ، فكما أن ظاهر هذا الحديث من أمارات الساعة الكبرى العامـــة فى الوجود ، كذلك باطنه الذى تكلمنا عليه هو من علامات الساعة الصغرى الخاصة بكل فرد من أفراد الإنسان .

ومن علامات الساعة الكبرى : ظهور يأجوج ومأجوج فى الأرض حتى يملكوها ، فيأكلون الثمار ويشربون البحار ، ثم يرسل الله عليهم فى ليلة واحدة النغف فيموتون عن آخرهم ، فحينئذ يكثر الزرع ، وينصع الأصل والفرع ، وتطيب الثمار ، ويحمد الملك الجبار ، فكذلك الساعة الصغرى من علامات قيامها فى الإنسان : ثوران النفس بثوران الخواطر الفاسدة والوساوس المعاندة قبل تمكنه من نفسه ، فيملكون أرض قلبه ، ويأكلون ثمار لبه ، ويشربون بحار سره ، حتى لا يظهر لمعارفه وأحواله فيهم أثر ، فيرجع عن سكره إلى حقيقة الصحو ، ثم تأتيه العناية الربانية بالنفحات الرحمانية بتحف ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾(١) ، ألا ﴿ إن حزب الله هم المفلحون ﴾(٢) فتكحل عين هدايته بإثمد : ﴿ الله يصطفى من يشاء من عبـــاده ﴾ . فحينئذ تفنى الخواطر النفسانية ، وتذهب تلك الوساوس الشيطانية ، وترد محلها ملائكة الله بالعلوم اللدنية والنفثات الروحية فى الكمالات الروعية ، وهو بمثابة تكثر الزرع واخضرار

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥٦ .

(٢) سورة المجادلة من الآية ٢٢ .

الأصل والفرع ، ثم تحققه فى مقام القرب وتلذذه بمشاهدة الرب هو بمثابة طيب الثمار وحد الملك الجبار ، فكما أن ظاهره من أمارات الساعة الكبرى كذلك ما أشرنا إليه وهو باطنه من أمارات الساعة الصغرى الخاصة بكل فرد من أفراد الإنسان .

ومن أمارات الساعة الكبرى : خروج دابة الأرض ، قال الله تعالى ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ﴾(١) يعنى إذا وقع القول وهو الأمر الإلهى برجوع هذا العالم إليه ، وذلك إنصرام أمر عالم الدنيا إلى الآخرة ، أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ، يعنى تنبئهم بحقيقة ماوعدناهم به من البعث والنشور والجنة والنار وأمثال ذلك ، لأن الناس كانوا بآياتنا ، يعنى الأمور التى أخبرناهم بها فى كلامنا لا يوقنون ، فلأجل ذلك أخرجنا لهم تلك الدابة ليعلموا أنا قادرون على كل شىء فيوقنون بما بعدها وبما تخبرهم به تلك الدابة ، فيرجع من يرجع إلى الحق ، ويوقن بما أخبر به تعالى ، فكذلك الساعة الصغرى من أمارات قيامها فى الإنسان بروز روحه الأمينة فى حضرة القدس بخروجها من أرض الطبيعة البشرية لترك الأمور العادية ، وعدم إتيان الاقتضاءات السفلية ، فحينئذ يتحقق له الكشف الكبير ، وينبئه روح القدس بالنقير والقطمير ، فيكلمه بجميع تلك الأخبار . ويظهر له بواطن الأستار فيعلمه بكتمان الأسرار ليرتفع حينئذ من مقام التصديق إلى مقام القرب فى الرفيق الأعلى ونعم الرفيق ، وذلك منة من الله وفضل وإعتناء بعبده لئلا تنهزم جيوش إيمانه بعساكر دوام الحجاب ، فيرجع إلى الخطأ عن حقيقة الصواب ، لأن مكنونات الربوبية ومقتضيات المرتبة الإلهية ، عزيزة المرام عالية المقام . لا تكاد القلوب لشدة عزتها أن توقن بحصولها إلا بعد الكشف ، لأن الحق فى نفسه

---

(١) سورة النمل آية ٨٢ .

ليس له وسع قبول تلك الأشياء ، فلا يوقن بها إلا بعد الكشف الإلهى ، فكما أن الناس لا يتحققون وقوع الأمر إلا بخروج الدابة ، كذلك العارف لا يتحقق بقبول تلك المقتضيات الإلهية إلا بعد خروج الروح من أرض الطبائع وخلاصها من القواطع والموانع فافهم .

ومن أمارات الساعة الكبرى : خروج الدجال ، وأن تكون له جنة عن يساره ونار عن يمينه ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر بالله ، وأنه يعطش الناس ويجوعون حتى لا يجدوا مأكلا ولا مشربا إلا عند هذا الملعون ، وإن كل من آمن به فإنه يسقيه من مائه ويطعمه من طعامه ، ومن أكل من ذلك أو شرب منه لا يفلح أبدا ، وأنه يدخل المؤمن به جنته ومن دخل جنته قلبها الله عليه نارا وإنه يدخل من لا يؤمن به ناره ، ومن دخل ناره قلبها الله عليه جنة ، وإن من الناس من يأكل من حشيش الجزر إلى أن يرفع الله عنه هذا الضرر ، وإن اللعين لا يزال يدور فى أقطار الأرض إلا مكة والمدينة ، فإنه لا يدخلها ، وإنه يتوجه إلى بيت المقدس فإذا بلغ رملة لد وهى قرية قريبة من بيت المقدس بينهما مسيرة يوم وليلة ، أنزل الله عيسى عليه السلام على منارة هناك وفى يده الحربة ، فإذا رآه اللعين ذاب كما يذوب الملح فى الماء فيضربه بالحربة فيقتله ، وكذلك الساعة الصغرى من علامات قيامها فى الإنسان خروج الدجال من حقيقته وهى النفس الدجالة ، يعنى أنها تخلط عليه الباطل وتبرزه له فى معرض الحق ، ويقال دجل فلان على فلان : يعنى لبس عليه الأمر واستغلطه ، وهذه النفس الدجالة هى المسماة من بعض وجوهها بشيطان الإنس وهى محل الشياطين والوسواس وموضع المردة والخناس ، وتسمى أيضا بعض وجوهها بالنفس الأمارة بالسوء ، ومطلق لفظ النفس فهو اسمها فى اصطلاح الصوفية ، فمهما ذكروا النفس فإنهم يريدون الأوصاف المعلومة من العبد ، فهى بمثابة الدجال ومقتضياتها الشهوانية هى بمثابة الجنة التى هى على يساره لأنها طريق أهل الشقاوة ، ومخالفتها

بترك الطبائع والعوائد وحسم العلائق والقواطع هى بمثابة النار التى عن يمين الدجال ؛ إذ اليمين طريق أهل السعادة ، وماتقتضيه الأمور النفسانية من تكثيف الحجب الظلمانية هو بمثابة الكتابة التى على جبين الدجال ، هذا هو الكافر بالله ، وصيرورة العارف فى أسرها حتى يعدم عليه الصواب ، فلا يكاد عند غلبتها أن يفهم معنى الخطاب هو بمثابة الجوع والعطش للناس فى زمان الدجال وقهرها باللذات بالخاصة ، حتى لا يكاد يجد العارف بدا من مرافقتها هو بمثابة أن لا يجد الناس مأكلا ولا مشربا إلا عند الدجال اللعين ، وقد قال النبى ﷺ يشير إلى هذا المعنى « سيأتى على الناس زمان يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر »(١) فمن رجع فى تلك المدة عن المجاهدة ونعوذ بالله من ذلك إلى المقتضيات النفسية وركن إلى الأمور الطبيعية، واستعمل الملذوذات الشهوانية ، وأخذ فى الأفعال العادية هو بمثابة من أخذ من الدجال فأخذ الركون إلى المباحات التى هى عند العارف كالخمر الحرام، هو بمثابة من أطعمة الدجال من ذلك الطعام وإنهماك من رجع إلى النفس والغفلات والأمانى التى هى كالشراب بمثابة من سقاه اللعين مما عنده من الشراب، ومن رجع من العارفين قبل بلوغه إلى هذه الأشياء فهو بمثابة من لا يفلح أبدا ، ثم الاغترار بزخارف الدار التى بقاؤها محال ولذاتها خيال ، هو بمثابة من دخل جنة الدجال فيقلبها الحق عليه ناراً ، ويصير قراره فيها بواراً ؛ ومن أسعده التوفيق وثبته الحق فى جادة الطريق سلك بأنوار الشريعة فى ليل التحقيق راكبا على متون المخالفات والمجاهدات والرياضات وأكل من حشيش الأكوان جزر ظهور الرحمن ، فهو بمثابة من دخل نار الدجال فقلبها له نعيما لا يزول وملكا لا يحول ، وأما إنه لا يزال يدور فى أقطار الأرض إلى أن يحل الأمر الفرض ما خلا مكة الزهراء والمدينة

---

(١) حديث « القابض على دينه . . . » .

ذات الروضة الخضراء ، فهو بمثابة ما تلبس به النفس على العبد فى جميع المقامات ما خلا مقامين أحدهما مقام الاصطلام الذاتى وهو غيبوبة العبد عن وجوده بجاذب الحضرة الإلهية الذاتية ، فيذهب عن حسه ويفنى عن نفسه ، وهذا هو مقام السكر ، والمقام الثانى : هو المقام المحمدى المعبر عنه فى إصطلاح القوم بالصحو الثانى . فهذان المقامان ليس للنفس فيهما مجال لانهما مصونان عن طوارق العلل، محفوظان فى غيب الأزل ، فهما فى هذا المجال بمثابة البلدتين اللتين لا يدخلهما الدجال ، ويلتبس على العبد من المكشوفات الإلهية فيغلط بها عن الحجة الصوابية هو بمثابة توجه هذا اللعين الانجس إلى قطر البيت الأقدس ثم وقوفه دون تلك الحجة بالأرض المسماة بالرملة هو لأن دجال النفوس عند ظهوره على العارف فى كل لبوس قد يظهر فى مقابلة المقام الأنفس ، فيتوهم من لا معرفة له بالبلوغ من الوادى الأقدس فليس له إلى ذلك المقام من إلمام ولكنه يقف عند حده دون الحجاب ، إذ الرملة من طينة التراب ، فينزل عيسى الروح وفى يده حربة الفتوح فيقتله هنالك ، لأن عيسى هو روح الله المالك ، وإذا جاء الحق زهق الباطل وانقطع حكم الملابس والمداجل ، فكما أن هذه الآيات للساعة الكبرى من الشروط والعلامات ، فكذلك باطنها وهى الاشياء التى ذكرناها والأمور التى شرحناها فى علامات الساعة الصغرى المختصة بالإنسان دون سائر الاكوان .

ومن أشراط الساعة خروج المهدى عليه السلام وأن يعدل أربعين سنة فى الانام ، وأن تكون أيامه خضراء ولياليه زهراء يخصب فيها الزرع ويكثر فيها در الضرع ، ويكون الناس فى أمان مشتغلين بعبادة الرحمن ، فكذلك الساعة الصغرى من شروط قيامها فى الإنسان خروج المهدى ، وهو صاحب المقام المحمدى ذو الاعتدال فى أوج كل كمال ، وأن تكون دولته أربعين عاما بغير جحود ، وهى عدد مراتب الوجود ، وقد شرحناها فى كتابنا المسمى بـ [الكهف

والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم] فمن أراد معرفة ذلك فليطالع هنالك ، وكون لياليه زهراء وأيامه خضراء هو بمثابة ما يتقلب فيه العارف بين السكر المرق والصحو المبق ، وتكثير الزرع وتدرير الضرع بمثابة تواتر الإنعامات وترادف الكرامات ، والأمان بمثابة دخول العارف مقام الخلة ونزوله فى تلك الحلة ، فإنه القائل سبحانه عن مقام إبراهيم ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾(١) يعنى من العذاب الأليم . فإذا كان المقام الصورى يحصل به الأمان من الإحراق بالنيران ، فبالأولى والأخرى أن المقام المعنوى يحصل به الأمان من مكر الرحمن ، وهذا هو المقام الذى لما نزله الشيخ عبد القادر الجيلانى قال : إن الحق تعالى عاهده سبعين عهداً أن لا يمكر به ، فما بعد ذلك إلا عبادة الرحمن وثناء الملك الديان ، فانظر إلى هذه الإشارات كيف ناسبت تلك العبارات ، فكما أن تلك من أشراط الساعة الكبرى كذلك هذه من أشراط الساعة الصغرى .

ومن أشراط الساعة الكبرى : طلوع الشمس من مغربها ، وأن يغلق باب التوبة فى مغربها ، وأن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، إذ قد طوى يومئذ بساط الوصل ، فحينئذ لا تقبل توبة ولا تغفر حوبة ، فكذلك الساعة الصغرى من شروط قيامها فى الإنسان : طلوع شمس شهوده من مغرب وجوده ، وذلك عبارة عن الباطن الكشفى وهو تحقق إطلاعه على السر الكتمى ، فيعلم حينئذ ماهو ومن هو ويتحقق بأوصافه ويتمتع فى جنة أعرافه ، فيحل الرموز ويستخرج منها الكنوز ، ويعرف الألغاز ويفوز بالله مع من فاز ، فحينئذ طوى عنه بساط الوصل والفصل وليس للإيمان هناك نفع ، إذ حكمه من قبل ، لأن الإيمان لا يكون إلا فيما غاب ويرتفع حكمه برفع الحجاب ، فلا يقبل توبة ولا تغفر حوبة ، لأن الذنب والغفران مقام محله الاثنان ، والأحد

(١) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

فى أحديته منزه عن الذنب وغفريته ، فهذه شروط الساعة الصغرى مقابلة لشروط الساعة الكبرى .

وقد عبر الإمام محي الدين ابن عربى عن تلك العبارات وقابلها بما يقابلها من باب الإشارات ، فجعل مقابلة طلوع الشمس من المغرب رجوع الروح إلى المركز الأول والمنصب ، وذلك عبارة عن الممات وإنتقال الأمر إلى الآخرة بحكم الوفاة ، وجعل مقابلة إغلاق باب التوبة هو أن المغرغر لا تقبل له توبة ولا تغفر له حوبة ، وأيد ذلك بما قيل أن بين البابين تسعين عاماً ، وأنها تقابل الأعمار قياساً ونظاما ، وما ذكره هذا الإمام فمقبول ، وعلى أحسن وجوهه فمحمول . ولكننا لما كنا بصدد بيان أشراط الساعة الصغرى المختصة بالإنسان فى أيام بقائه فى هذه الدار ، لم نذهب إلى ذكر غيره خوفا من هتك الأستار ، على أنا قد رمزنا فى ذلك جميع الأسرار ، ولم نترك أمراً لم ننبه عليه فى هذا الكتاب . والله يقول الحق وهو يهدى الصواب .

[فصل] نذكر فيه طرفا من ذكر الموت إذ قد سبق بيانه فى الباب الرابع والخمسين من هذا الكتاب فيطالع فيه .

اعلم أن الموت عبارة عن خمود النار الغريزية التى يكون بها سبب الحياة فى دار الدنيا ، وتلك الحياة عبارة عن نظر الأرواح إلى نفسها فى الهياكل الصورية والمناسب لذلك النظر فى هذه الهياكل الصورية هى الحرارة الغريزية مادامت على حكم الاعتدال الطبيعى ، وهو أعنى إعتدال الحرارة كونها مستوية فى الدرجة الرابعة . لأن انصرافها فى الدرجة الأولى هو قوة الحرارة العنصرية هى تلك الدرجة لا تقبل المزاج بركن آخر من أركان العناصر ، فهى هناك آخذة فى حدها من الانتهاء ، وأشباهها فى الدرجة الثانية هى الحرارة النارية القابلة للامتزاج ؛ ولولا إمتزاجها ببقية الاركان لم يكن للنار وجود لأن كل واحد

من النار والماء والهواء والتراب مركب من العناصر الأربعة التى هى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، ولكن كل ما غلب فيه ركن الحرارة حتى اضمحل الباقى سمى بالطبيعة النارية ، وكل ما غلب ركن البرودة فيه حتى اضمحلت البواقى سمى بالطبيعة المائية ، وكل ماغلب فيه حكم ركن الرطوبة على البواقى سمى بالطبيعة الهوائية ، وكل ما غلب فيه حكم اليبوسة على البواقى حتى اضمحلت البواقى سمى بالطبيعة الترابية ، لايسمى فى هذه الدرجة ناريا ولا مائيا ولا هوائيا ولا ترابيا إلا إذا نزل إلى الدرجة الثالثة فامتزج بالاركان ، فأى منها شىء استوت الحرارة واليبوسة منه فى الدرجة الثالثة واستتر فيه الركنان الآخران لضعفهما عن هذه الدرجة سمى ذلك الشىء ناراً ، وأى شىء استوت البرودة واليبوسة منه فى الدرجة الثالثة حتى استتر الركنان الآخران منه لضعفهما عن هذه الدرجة سمى ذلك الشىء ترابا ، وأى شىء استوت الحرارة والرطوبة منه فى الدرجة الثالثة حتى استتر الركنان الآخران منه لضعفهما عن هذه الدرجة سمى ذلك الشىء هواء ، وأى شىء استوت البرودة والرطوبة منه فى الدرجة الثالثة حتى استتر الركنان الآخران منه لضعفهما عن هذه الدرجة سمى ذلك الشىء ماء . ألا ترى إلى فلك العناصر كيف هو من فوق فلك الطبائع ، وفلك الطبائع من فوق فلك الاستقصات ، وهى أفلاك النار والهـــواء والماء والتراب ، ثم بعد هـذا إذا نزلت الحرارة الطبيعية درجة واستوت فى الدرجة الرابعة ، وجدت فى هيكل من هياكل الصور ممتزجة ببقية الأركان إمتزاجا جسمانيا حيوانيا كان ذلك الهيكل حيوانيا ، ولا يزال موجوداً ما دامت هذه الحرارة الغريزية فى هذه الدرجة : فإنها فى الدرجة الرابعة تسمى غريزية ، كما أنها فى الدرجة الثالثة تسمى حرارة نارية ، وكما أنها فى الدرجة الثانية تسمى حرارة طبيعية ، وكما أنها فى الدرجة الأولى تسمى حرارة عنصرية ، وكذلك باقى الاركان فإنها

بهذه المثابة فى التسمية ، فالموت هو ذهاب هذه الحرارة الغريزية من الهيكل الحيوانى بما يضادها من البرودة الغريزية ، هذا الأمر نصيب الجسم .

وأما نصيب الروح فإن حياة هيكلها هو مدة نظرها إلى الهيكل بمين الاتحاد ، وموته هو ارتفاع ذلك النظر من الهيكل إلى نفسها ، فتبقى بكليتها فى عالمها لكن على هيئة الهيكل الذى كان لها تتجسد على شكله فى عالم الروح . فيحكم لها بالوجود معها لذلك التجسد ، لأن أحكامه ظاهرة فى ذلك المحل على تجسدها ، ومن هنا أخطأ كثير من أهل الكشف النورانى وحكموا أن الأجسام لا حشر لها ، وأما نحن فقد علمنا بالإطلاع الإلهى حشر الاجسام مع الارواح ، لأن موت الارواح هو إنفكاكها عن نفس الجسد الهيكلى لأن ذلك مما يقضى بانعدامها فتكون كأنها بسيطة فى الوجود مدة معلومة ، ومثلها كالنائم الذى لا يرى فى نومه شيئاً فهو كالمعدوم فى تلك الساعة ، لأنه لا هو فى عالم الشهادة فيقظان ، ولا فى عالم الغيب فيكون يتراءى شيئا يدل على وجوده ، فهو موجود معدوم ، ويضرب عنه المثل بالشمس ، فإن الشمس إذا أشرقت من طاقة البيت كان البيت مضيئاً بضوء الشمس ولم تنزل إليه ولا حلت فيه ، فكذلك الضياء بمثابة نظر الروح فى الجسم المخصوص من أجسام الحيوانات ، ثم كذلك إذا كانت الطاقة من زجاج أخضر كانت شعلة الشمس فى البيت خضراء أوحمراء إذا كانت الطاقة حمراء ، وكذلك على أى لون كانت زجاجة الطاقة كانت الشعلة فى البيت على هيئتها وصورتها ؛ والروح كذلك إذا نظرت إلى الهيكل الإنسانى أو إلى غيره كانت على صورته لا تتغير عن ذلك ، ثم زوال الشمس عن البيت هو بمثابة ارتفاع نظر الروح من الجسد . والموت هو بمثابة خفاء تلك الشعلة فى نفس شعاع الشمس ، فلا يزال الشخص ميتاً ونسبته نسبة اختفاء تلك الشعلة فى نفس شعاع الشمس فى العالم . ثم البرزخ فإنه وجود ولكن غير تام ولا مستقل ، ولو كان تاما أو مستقلا لكان دار إقامة مثل دار الدنيا والآخرة ، فهو المثال كما تتصور

نحن تلك الشعـــلة وإخضرارها بخضرة الزجاجة فتشكل لنا كما هى عليه ولكن فى عالم الخيال ، لأن عالم الخيال لأهل الدنيا غير تام ؛ فليس لخيال أهـــل الدنيا استقلال بنفسه على أن عالم الخيال فى نفسه عالم تام ، ولكن بالنظر إليه فى عينه وهو بالنظر إلى عالم الحس والمعانى غير تام ، بخلاف خيال أهل الله فإنه كامل ومستقل وتام بنفسه ، فهو بمثابة آخرة غيرهم من أهل الدنيا ، وخيال من تصفى من البراهمة والكفرة والمشركين وأمثالهم بالمجاهـــدات والرياضات وأمثالها ، فإنه يكون بمثابة نوم أهل الدنيا وخيال أهل الدنيا لا اعتبار به ، ولو كان عند الخيال واحداً فى نفسه للجميع . ولكنه لما فسدت خزانة خيالهم بالأمور العادية والمطلوبات الجسدية انقطعت عن حكم الصفاء الروحى . ولما كان المتصفون من البراهمة والفلاسفة متخلصين من هـذا ، ولكن قد سكنت الأمور العقليات والأحكام الطبيعيات فى خزانة خيالهم ، فانقطعوا بذلك عن الترقى إلى المعانى الإلهية ، بخلاف خيال أهل الله فإنه مصون عن طوارق العلل ومحفوظ بالله فى غيب الأزل ، فليس لعالم البرزخ وجود تام ولهذا يسمى برزخا ، وكذلك خيال أهل الدنيا برزخ بين العالم الوجودى وبين العالم العدمى ، ثم نسبة القيامة نسبة رجوع الشمس فى طاقتها التى كان الإشراق منها ، ولا مزيد على هـــذا فى البيان ، لأن الروح ما دامت غير متجسدة فى الهياكل تلحق بالبساطة وهو حقيقة الموت ، فإذا تجسدت كان ذلك التجسد لها وجوداً ، ولكن ما دامت فى ذلك التجسد مقيدة بلوازم الجسد فهى فى البرزخ ، لأنها قاصرة عن جميع ما تقتضيه الروح فى الإطلاق الروحانى ، فإذا أراد الله بعثها إلى القيـــامة أطلقها عن مقتضيات الجسد فصارت فى أرض المحشر . ثم الإطلاق إنما كان على حسب ما كانت عليه فى الدنيا ، فإذا كانت فى الدنيا على الخير كانت مطلقة على الخير ، وإن كانت فى الدنيا على الشر كانت مطلقة فى الشر ،

لأنها لا تطلب بإطلاقها إلا ما كانت عليه فى دار الدنيا وهو قوله تعالى ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ .

واعلم أن نسبة كون الأرواح المتعددة مخلوقة من نور الحق هو نسبة الشعاعات المختلفة المضيئة من شعاع الشمس ، ونسبة ما يدعيه المحققون من واحدية العالم نسبة واحدية الشمس ، ولو ظهرت فى تلك الزجاجات على اختلافهن فهى واحدة لم تتعدد ولم تتنوع فى نفسها ، ولو تنوعت المظاهر ، ويكفى هذا القدر من التنبيه على هذا الامر ، لانا قد بينا كيفية قبض الارواح وكيفية إتيان عزرائيل للقبض فى بابه مما سبق من الكتاب .

واعلم أن أحوال الناس فى البرزخ مختلفة ، فنهم من يعامل فيه بالحكمة ، ومنهم من يعامل فيه بالقدرة ، ومن يعامل بالحكمة فإنه ينقلب فى البرزخ فى حقيقة عمله فى الدنيا ، فإذا كان مثلا مطيعا فى الدنيا فإن الحق تعالى يخلق له فى البرزخ معانى الطاعة صوراً ، فينتقل من صورة طاعة يقيمها الله تعالى إما صلاة وإما صوما وإما صدقة وإما غير ذلك إلى صورة أخرى من الطاعات ، ولا يزال ينتقل من عمل حسن إلى عمل آخر إما مثله وإما أحسن منه كما كان فى الدنيا إلى أن تبدو عليه حقائق الأمور فتقوم قيامته ، ثم إن حسن تلك الصورة وبهجتها وضياءها على حسب قدر طاعته واجتماع خاطره فيها وحسن مقصده فى ذلك العمل ، وقبح الصورة على قدر قبح ذلك العمل ، فلو كان مثلا ممن يزنى أو يسرق أو يشرب الخمر فإن الحق تعالى يقيم له معانى تلك الافعال صوراً ينتقل فيها ، فيخلق للزانى فرجا من نار يلج فيه ذكره وحرارة نارة ونتانة ريحه على قدر قوة إنهماكه فى تلك المعصية ، وكذلك يقيم للشارب كأسا من نار فيه خمر من نار فيشربه وينتقل منه إلى مثل ما كان ينتقل إليه فى دار الدنيا ، ومن كان بين طاعة ومعصية فإنه ينتقل بينهما ، أعنى من صورة تلك

المعانى التى خلقها الله تعالى إما من نور كما يخلق الطاعات ، وإما من نار كما يخلق صور المعاصى فلا يزالون ينتقلون فيه وتبدو لهم بتوالى الانتقال حقائق الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن يتم عليهم أحد الحكمين فتقوم عليهم القيامة .

وأما من عومل بالقدرة فإنه لا يقع فى معانى أعماله ، ولكن يقع فى معانى صورتها بالقدرة ، فإن كان عاصياً وقد غفر الله تعالى له فلا ينتقل إلا فى صورة تشبه الطاعات يقيمها الله تعالى له هيئة إلهية ، فلا يزال ينتقل من صورة حسنة إلى أحسن منها أن إلى تقوم قيامته بظهور الحقائق على ساق ، فإن كان مطيعا مثلا وقد أحبط الله عمله فإن الحق تعالى يقيم صورة ما كتبه فى الأزل من الشقاوة فيجليها عليه وينوعها له ، فلا يزال يتقلب فيها إلى أن تقوم قيامته على قدر طبقته من النار فيعذب فى جهنم . ثم إن البرزخ خلق الله تعالى له قوما يسكنون فيه ويعمرونه ، وليسوا من أهل الدنيا ولا من القيامة ، ولكنهم ملحقون بأهل الآخرة لاتحاد المحتد الذى خلقوا منه ، فمن جانسهم فى الروحية بعد موته أنس منهم . كمن يصل إلى قوم يعرفهم ويعرفونه فيستأنس بهم ويتروح من همه معهم ، ومن لم يجالسهم فإنه يراهم غيظا له فلا يتألفون به ولا يتألف بهم . ثم ينبعث منهم من جعله الله سبباً لعذابه فيكون على أقبح صورة كان يكرهها فى الدنيا فتأتيه ، وهى صورة عمله ، فيلقى بها من الوحشة والنفور مالا يقاس بغيره ؛ ومنهم من تأتيه على أحسن صورة جميلة وهى صورة عمله ، فيلقى بها من الالفة والعطف والحنان فتؤنسه تلك الصورة إلى أن تقوم قيامته .

ثم إعلم أن القيامة والبرزخ والدار الدنيا وجود واحد ، فمثاله مثال دائرة فرض نصفها دنيا ونصفها أخرى وفرض البرزخ بينهما ، وكل ذلك على سبيل الفرض ، فإن هويتك التى أنت بها موجود ، هى بعينها التى تكون بها فى البرزخ ، وهى بعينها التى تكون بها فى القيامة ؛ فأنت فى الدنيا وفى البرزخ وفى الآخرة

بهذه الإنية ، لكن التفاوت بينهما أن أمور البرزخ ضرورية لأنها مبنية على الدنيا ، وأمور القيامة أيضاً ضرورية لأنها مبنية على البرزخ ، وأمور الدنيا إختيارية .

ثم إعلم أن تعالى إذا أراد أن تقوم القيامة ، أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ النفخة الثانية فى الصور ، لأن النفخة الأولى للإماتة ، والصور هو عالم الصور الروحية ينفخ فيه النفخة الأولى من حيث اسمه المفنى والمميت ، فتنعدم الصور وتنحل عقد هياكلها كما تنعدم الصور المرئية فى النوم بالانتباه فترجع إلى محلها الذى خلقت منه ، ثم ينفخ النفخة الثانية فى الصور فترجع كما كانت فى عالم الأرواح فتدخل فى قوالب الأشباح كما ذكرنا لك من عود إشراق الشمس فى زجاجتها ، وكل هذا باعتبارها فى وجودها ، فإن العالم الأخروى هو عالم الأرواح ، وجميع عالم الأرواح عبارة عن مطلق الروح الموجودة فى الإنسان فلا يخرج الإنسان عن نفسه ، لأن الآخرة عبارة عن عالم الأرواح وعالم الأرواح قد يجمعه مطلق روحه لما سبق مما ذكرنا أن العالم جميعه كرائى متقابلات توجد كل واحدة منهن فى الأخرى على حكم الأحدية لا على حكم المماثلة والمشابهة ، لجميع العوالم جوهر فرد غير منقسم فى نفسه على الحقيقة ، وماتراه من التعداد والانقسام فهو خيال، بمثابة مالو فرضنا الانقسام فى الجوهر الفرد وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾(١) . فإذا فهمت هذه النكتة علمت سر أحدية الحق تعالى فى الوجود ، وشهدت ما وعد الله تعالى به وأوعد من الجنة والنار ومن أهوال الآخرة يقينا كشفا عيانا ، فصار إيمانك إيمان زيد بن حارثة رضى الله عنه حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة مريم آية ٩٥ .

« أصبحت مؤمنا حقا ، فقال ما حقيقة إيمانك ؟ فقال : أرى كأن القيامة قد قامت وعرش ربى بارز ، أو كما ذكر فى الحديث »(١) .

وأما القيامة الصغرى المخصوصة بكل فرد من أفراد الإنسان ، فإنه متى انتصب ميزان عقله الأول فى قبة عدله الأكمل وأتت المقتضيات الحقائية تحاسبه بما تقتضيه كل حقيقة من حقائقه أو ضرب له صراط الأحدية يمشى على متن جهنم الطبيعية أدق من الشعر لغموضه ، وأحد من السيف لبعده ، فإما مسرع فى سيره كالبرق الخاطف لقوة مركبه السائر فى المعارف ، وإما كالجبل فى ثقله لتعلقه بسفله ، فإذا جاز الصراط وقام ناموس القسطاس دخل جنة الذات ورتع فى ميادين الصفات محوقا عن إنيته ، مسحوقا عن هويته . لا يرى لنفسه أثراً ولا يعرف له خبراً ، قد نادى فى ناديه منادى الجبار فقال : ﴿لمن الملك اليوم﴾(٢) فلما لم يجد سواه قال ﴿لله الواحد القهار﴾(٣) فليس له بعدها غفلة ولا حضور ، ولا يرجى له بعد ذلك موت ولا نشور، قد قامت قيامته على ساق ، وعدمت علانيته ، فهذه هى الساعة الصغرى ، وقس عليها أحوال الساعة الكبرى ، وخذ معرفة الحساب والميزان والصراط مما دللناك عليه بالإشارة لا بالتصريح ، ويكفى العاقل هذا القدر من التلويح ، وقد ذكرنا الجنة والنار فى بابهما ، وهو الباب الثامن والخمسون من هذا الكتاب، وسنومىء إلى سرهما بطريق الإشارة ، فإذا كنت ذا فهم على وعزم قوى أدركت مانشير إليه ، وإلا فلا تبرح كغيرك واقفا مع ظاهره ولديه .

اعلم أن الله تعالى خلق الدار الآخرة بجميع ما فيها نسخة من دار الدنيا ،

---

(١) حديث « حارثة » كيف أصبحت ؟ والتعليق على أنه حارثة وليس زيد.
(٢) سورة غافر آية ١٦ .
(٣) « « « ١٦ .

وخلق الدنيا نسخة من الحق ، فالدنيا هى أصل والآخرة فرع عليها ، وقد ورد « الدنيا مزرعة الآخرة »(١) وقال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾(٢) فعلم أن الاصل هو العمل الصادق فى الدنيا ، والفرع هو الامر الذى تراه فى الآخرة ، وليست أخرة كل إلا سيكون فيه يوم القيامة ، وهو لا يكون إلا فى نتيجة عمله ، والنتيجة فرع على المقدمة ، والمقدمة هى العمل الدنيوى ، ولهذا تقدمت الدنيا فى الإيجاد على الآخرة ، وسميت بالاولى ، لانها الاصل ، وتأخرت الآخرة وسميت بالاخرى لانها الفرع ، فلو لم تكن الآخرة فرعا على الدنيا لكان تأخيرها نقصا فى الحكمة ، إذ تأخير المقدم وتقديم المؤخر من الامور الطاعنة فى الحكمة .

ثم إعلم أن محسوس الآخرة أقوى من محسوس الدنيا ، وملذوذها أعظم لذة من لذة الدنيا ، ومكروهها أعظم كراهة من كراهة الدنيا ، وسبب ذلك أن الروح فى الآخرة متفرغة لقبول مايرد عليها من المحبوب والمكروه ، بخلاف دار الدنيا فإن الجسم لكثافة يمنع الروح من قوة التفرغ للملائم ، فلا تجد منه إلا طرفا ، كما لو أكل الشخص طعاما ملذوذا وهو غير متفرغ البال بل مشغول بأمر أهمه ، فإنه لا يجد لذلك الطعام مايجده غيره من اللذة ، وسبب ذلك الاهتمام المانع له من التفرغ لقبول الوارد ، فلهذا كانت الدار الآخرة أشرف من دار الدنيا ولو كانت أمها ، ولا تعجب من هذا فإن كثيراً من الاولاد يكون أشرف من والده ، والدنيا ولو كانت أصلا للآخرة فإن الآخرة أفضل منها وأشرف عند الله تعالى ، لما تقتضيه حقيقة الآخرة فى نفسها ، ألا ترى إلى اللفظ مثلا كيف كان المعنى المفهوم منه أشرف وأعلى قدراً من اللفظ بما لا يتباهى ، على

---

(١) حديث الدنيا مزرعة للآخرة .

(٢) سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨ .

أن المعنى نتيجة اللفظ وفرعه ، ولولاه لم تفهم حقيقة المعنى ، فكذلك الدار الآخرة ولو كانت نتيجة الدنيا فإنها أفضل وأوسع وأشرع وأشرف منها ، وسبب ذلك أنها مخلوقة من الأرواح ، والأرواح لطائف نورانية ، والدنيا مخلوقة من الأجسام ، والأجسام كثائف ظلمانية ، ولا شك أن اللطائف أفضل من الكثائف ، ثم إن الآخرة دار العز والقدرة ، يفعل فيها من سلم من الموانع ما يشاء كأهل الجنة ، والدنيا دار الذل والعجز لا يقدر ملوكها على دفع أذى نملة منها ، ومع هذا فيحاسبون على نعيمها وهو نعيم زائل ، وأهل الآخرة يعقبهم كل نعيم أفضل مما كانوا فيه ، فإن عطاء الله فى الآخرة بغير حساب ، وعطاؤه فى الدنيا بحساب الترتيب الحكمة الإلهية ، فإذا فهمت هذا وحققته بلغت المراد .

واعلم أن الآخرة بجملتها ، أعنى الجنة والنار والأعراف والكثيب كلها دار واحدة غير منقسمة ولا متعددة ، فمن حكمت عليه حقائق تلك الدار كان فى النار ، لأن أهل النار محكوم عليهم تحت ذلّ الانقهار ، ومن لم تحكم عليه حقائق تلك الدار كان فى الجنة ، فمن احتكم فى هذه الدار لله تعالى وأطاعه فإن الله تعالى يجعله حاكما فى حقائق تلك الدار يفعل فيها ما يشاء ، ومن لم يحتكم لله تعالى وعصاه فى هذه الدار فانه يكون محكوما عليه ، هناك تحكم عليه حقائق تلك الدار بما لا يسعه أن يخالف فيها ، كما أن أهل النار تحت حكم الزبانية بخلاف أهل الجنة . ألا ترى أن أهل الجنة يفعل الواحد منهم ما يشاء ولا يحكم عليه أحد بشئ ، ومن تحقق بعلم أمر تلك الدار وتمكن من التصرف بما تحقق بعلمه كان فى الأعراف ، والأعراف محل القرب الإلهى المعبر عنه فى القرآن بقوله تعالى ﴿ عند مليك مقتدر ﴾(١) ويسمى هذا المنظر بهذا الاسم المعرفة ، وهو تحقق العلم الذى ذكرته لك ، وأهل الأعراف هم العارفون بالله ، لأن من عرف

(١) سورة القمر من الآية ٥٥ .

الله تعالى تحقق بعلم أمر الآخرة ، ومن لم يعرفه لم يتحقق بعلمه . ألا ترى قوله عز وجل ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾(١) يعنى وعلى مقام المعرفة بالله رجال نكرهم لجلالة شأنهم ، ولأنهم مجهولون عند غيرهم يعرفون كلا بسيماهم ، لأنهم عرفوا الله تعالى ومن عرف الله تعالى فلا يخفى عليه شيء والكثيب مقام دون الأعراف وفوق جنات النعيم ، فكما يقع لأهل الجنة من زيادة المعرفة بالله تعلو درجاتهم فى الكثيب ، والفرق بين أهل الكثيب وأهل الأعراف أن أهل الكثيب خرجوا من دار الدنيا قبل أن يتجلى عليهم الحق فيها ، فلما انتقلوا إلى الآخرة كان محلهم فى الجنة ، ويتفضل الحق عليهم بأن يخرجهم إلى الكثيب فيتجلى عليهم ، هنالك يتجلى على كل شيء بقـــدر إيمانه بالله تعالى فى الدنيا ، وبمعرفته بقدره سبحانه وتعالى ، وأهل الأعراف قوم لم يخرجوا من الدنيا إلا وقد تجلى الله سبحانه وتعالى عليهم وعرفوه فيها ؛ فلما خرجوا منها إلى الآخرة لم يكن لهم محل إلا عنده ، لأن من دخل بلاداً وله فيها صاحب يعرفه لا ينزل إلا عنده ، بل ويجب على ذلك الصاحب أن لا ينزله إلا عنده ، فاذا كان هذا يفعله المخلوق فمن أولى به من الخالق تعالى ، ألا تراه قد صرح سبحانه ، وتعالى أن ثمة قوما هم عند مليك مقتدر ، وهنا عجائب وغرائب لا يسع الوجود بأسره أن نذكرها على سبيل التصريح ، بل هى لدقتها وغموضها لا تفهم إلا بالإشارة والتلويح ، اللهم إلا إذا كان الناظر فى الكتاب قد بلغ تلك المرتبة وعاين تلك الأمور العجيبة بما ليس يدرى ، وأما العالم فليس لذكرنا هذه العجائب عنده فائدة إلا لازم الخبر ، وهو أن يعلم أنا علمنا ما علم وليس لنا فى ذلك قصد فلنقبض العنان والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٤٦ .

الباب الثانى والستون : فى السبع السموات وما فوقها ، والسبع الأرضين وما تحتها ، والسبع البحار وما فيها من العجائب والغرائب ومن يسكنها من أنواع المخلوقات

إعلم أيدك الله بروح منه أن الله تعالى كان قبل أن يخلق الخلق فى نفسه ، وكانت الموجودات مستهلكة فيه ، ولم يكن له ظهور فى شىء من الوجود ، وتلك هى الكنزية المخفية،وعبر عنها النبى ﷺ بالعماء الذى مافوقه هواء،وماتحته هواء،لأن حقيقة الحقائق فى وجودها ليس لها اختصاص بنسبة من النسب، لا إلى ما هو أعلى ولا إلى ما هو أدنى ، وهى الياقوتة البيضاء التى ورد الحديث عنها ، أن الحق سبحانه وتعالى كان قبل أن يخلق الخلق فى ياقوتة بيضاء ، الحديث ، فلما أراد الحق سبحانه وتعالى إيجاد هذا العالم نظر إلى حقيقة الحقائق وإن شئت قلت إلى الياقوتة البيضاء التى هى أصل الوجود بنظر الكمال،فذابت فصارت ماء، فلهذا ما فى الوجود شىء يحمل كال ظهور الحق تعالى إلا هو وحده ، لأن حقيقة الحقائق التى هى أصل لم تحتمل ذلك إلا فى البطون فلما ظهر عليها ذابت لذلك،ثم نظر إليها بنظر العظمة فتموجت لذلك كما تموج الارياح بالبحر ، فانفهقت كثائفها بعضها فى بعض كما ينفهق الزبد من البحر ، فخلق الله من ذلك المنفهق سبع طباق الارض ، ثم خلق سكان كل طبقة من جنس أرضها ، ثم صعدت لطائف ذلك الماء كما يصعد البخار من البحار ، ففتقها الله تعالى سبع سموات ، وخلق ملائكة كل سماء من جنسها ، ثم صير الله ذلك الماء سبعة أبحر محيطة بالعالم ، فهذا أصل الوجود جميعه ، ثم إن الحق تعالى كما كان فى القدم موجوداً فى العماء التى عبر عنها بحقيقة الحقائق والكنز والياقوتة البيضاء ، كذلك هو الآن موجود فيما خلق من تلك الياقوتة بغير حلول ولا مزج ، فهو متجل فى أجزاء ذرات العالم من غير تعدد ولا إتصال ولا إنفصال ، فهو متجل فى جميعها لأنه سبحانه وتعالى

على ماعليه كان ، وقدكان فى العماء ، وقد كان فى الياقوتة البيضاء ، وهذا الوجود جميعه تلك الياقوتة وذلك العماء ، ولو لم يكن الحق سبحانه وتعالى متجليا فى الوجود جميعه لكان سبحانه تغير عما هو عليه وحاشاه عن ذلك ، فما حصل التغير إلا فى المجلى الذى هو الياقوتة البيضاء لا فى المتجلى سبحانه وتعالى ، فهو بعد ظهوره فى مخلوقاته باق على كنزيته فى العماء النفسى فتأمل ، وقد ذكرنا فيامضى أمر العماء وحقيقة الحقائق على جلية،هذا وقت ذكر الأشياء الموجودة فى حقيقة الحقائق ، فأول ما نذكر السبع سموات .

إعلم أن السماء هذه الملحوظة لنا ليست بسماء الدنيا ولا لونها لونها ولاوصفها وصفها ، وهذه التى نراها هى البخار الطالع بحكم الطبيعة من يبوسة الأرض ورطوبة الماء . صعدت بها حرارة الشمس إلى الهواء ، فملأت الجو الخالى الذى بين الأرض وبين سماءالدنيا ، ولهذا نراهاتارة زرقاء وتارة شمطاء وتارة غبراء ، كل ذلك على حكم البخار الصاعد من الأرض ، وعلى قدر سقوط الضياء بين تلك البخارات ، فهى لاتصالها بسماء الدنيا تسمى سماء الدنيا نفسها ، فلا يقع النظر عليها لشدة البعد واللطافة ، ثم إنها أشد بياضا من اللبن ، وقد ورد فى الحديث « أن بين سماء الدنيا وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام » وبالاتفاق أن النظر لا يقطع مسيرة خمسمائة عام ، فظهر أن المرئية لنا ليست السماء عينها ، ولولا أن الكواكب تسقط شعاعها إلى الأرض لما شوهدت ولا رؤيت ، وكم فى السموات من نجم مضىء لا يسقط شعاعه إلى الأرض فلا نراه لبعده ولطافته لكن أهل الكشف يرونه ويعبرون عنه لأهل الأرض فيفهمونهم إياه .

إعلم أن الله تعالى قد خلق جميع الارزاق والأقوات المتنوعة فى أربعة أيام ، وجعلها بين السماء والأرض مخزونة فى قلب أربعة أفلاك : الفلك الأول فلك الحرارة ، الفلك الثانى فلك اليبوسة ، الفلك الثالث فلك البرودة ، الفلك الرابع

فلك الرطوبة ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ﴾(١) يعنى بحكم التسوية على قدر السؤال الذاتى ، لأن الحقائق تسأل بذاتها ما تقتضيه كلما اقتضت حقيقة من حقائق المخلوقات شيئاً نزل لها من تلك الخزائن على قدر سؤالها ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وإن من شىء إلا عندنا خزائنه . وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾(٢) ثم جعل ملائكة الإنزال الموكلة بإيصال كل رزق إلى مرزوقه فى السبع السموات ، ثم جعل فى كل سماء ملكاً يحكم على من فيها من ملائكة الأرزاق يسمى ملك الحوادث ، وجعل لذلك الملك روحانية الكواكب الموجودة فى تلك السماء فلا ينزل من السماء ملك من ملائكة الأرزاق إلا بإذن ذلك الملك المخلوق على روحانية كوكب تلك السماء ، فكوكب سماء الدنيا القمر ، وكوكب السماء الثانية عطارد ، وكوكب السماء الثالثة الزهرة ، وكوكب السماء الرابعة الشمس ، وكوكب السماء الخامسة المريخ ، وكوكب السماء السادسة المشترى ، وكوكب السماء السابعة زحل ، وأما السماء الدنيا فإنها أشد بياضاً من الفضة ، خلقها الله تعالى من حقيقة الروح لتكون نسبتها للأرض نسبة الروح للجسد ، وكذلك جعل فلك القمر فيها ، لأنه تعالى جعل القمر مظهر اسمه الحى ، وأدار فلكه فى سماء البروج فيه حياة الوجود وعليه مدار الموهوم والمشهود ، ثم جعل فلك الكواكب القمرى هو المتولى تدبير الأرض ، كما أن الروح هى التى تتولى تدبير الجسد ، فلو لم يخلق الله تعالى سماء الدنيا من حقيقة الروح لما كانت الحكمة تقتضى وجود الحيوان من الأرض ، بل كانت محل الجمادات . ثم أسكن الله تعالى آدم فى هذه السماء ، لأن آدم روح العالم الدنيوى إذ به نظر الله إلى الموجودات فرحمها ، وجعل لها حياة بحياة آدم فيها ، فلم يزل

---

(١) سورة فصلت من الآية ١٠ .

(٢) سورة الحجر آية ٢١ .

العالم الدنيوى حياً ما دام هذا النوع الإنسانى فيها ، فاذا انتقل منها هلكت الدنيا والتحق بعضها ببعض ، كما لو خرجت روح الحيوان من جسده ، فيخرب الجسد ويلتحق بعضه ببعض ، زين الله هـذه السماء بزينة الكواكب جميعها كما زين الروح بجميع ما حله الهيكل الإنسانى من اللطائف الظاهرة كالحواس الخمس ، ومن اللطائف الباطنة كالسبع القوى التى هى العقل والهمة والفهم والوهم والقلب والفكر والخيال ، فكما أن كواكب سماء الدنيا رجوم للشياطين ، كذلك هذه القوى إذا حكم الإنسان بصحتها انتفت عنها شياطين الخواطر ، لحفظ باطنه بهذه القوى كما حفظت بالنجوم الثواقب السماء الدنيا ، وملائكة هذه السماء أرواح بسيطة ما دامت مسبحة لله تعالى فيها ، فاذا نزلت منها لما يأمرها الملك الموكل بانزال ملائكة السماء الدنيا تشكلت على هيئة الأمر الذى تنزل لأجله ، فتكون روحانية ذلك الشيء الذى وكلت به ، فلا تزال تسوقه إلى المحل الذى أمرها الله تعالى به ؛ فان كان رزقا ساقته إلى مرزوقه ، وإن كان أمراً قضائيا ساقته إلى من قدره الله عليه إما خيراً وإما شراً ، ثم تسبح الله تعالى فى فلك هـذه السماء ولا تنزل أبدا بعدها فى أمر ، جعل الله الملك المسمى إسماعيل حاكما على جميع أملاك هذه السماء وهو روحانية القمر ، فاذا أمر الله على ذلك بأمر وقضى الملك ذلك الأمر ، فانه يجلسه على كراسى تسمى منصة الصور ، فيجلس عليه متشكلا بصورة ما نزل به من الأمر ، ولا يعود إلى بساطته أبداً ، بل يبقى على ما هو عليه من التشكل والتصور الجرى الجزئى يعبد الله تعالى فى الوجود ، لأن الأرواح إذا تشكلت بصورة من الصور لا سبيل إلى أن تخلع تلك الصورة عن نفسها بأن تعود إلى البساطة الأصلية ، هذا ممتنع ، لكنها فى قوتها أن تتصور بكل صورة على عدم مفارقتها للصورة الأصلية التى لها حكمة من الله تعالى ، وتلك الصورة الروحانية هى كلمات الله تعالى التى تقوم بالموجودات كما تقوم الروح بالجسد ، فاذا برزت من الغموض العلمى إلا الجلاء العينى تبقى قائمة

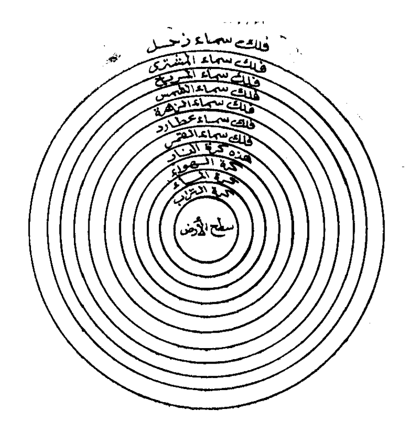
بذواتها فى الوجود ، لجميع أجسام العالم من المخلوقات من المعدن والنبات والحيوانات والألفاظ وغير ذلك ، لها أرواح قائمة بها على صورة ما كانت عليه أجسامها حتى إذا زال الجسم بقيت الروح مسبحة الله سبحانه وتعالى ، باقية بإبقاء الحق لها ، لأن الحق لم يخلق الأروح للفناء ، وإنما خلقها للبقاء ، فالمكاشف إذا أراد كشف أمر من أمور الوجود تتجلى عليه تلك الأرواح التى هى كلمات الله تعالى ، فيعرفها بأعيانها وأسمائها وأوصافها ، فإن كل روح من أرواح الوجود متجلية فى الملابس التى كانت أوصافها ونعوتا وأخلاقا على الجسم الذى كانت تدبره ، وهو كالحيوان والمعدن والنبات والمركب والبسيط ، أو على الصورة التى كانت الروح معناه . وهو كالألفاظ والأعمال والأعراض والأغراض وما أشبه ذلك إذا كانت قد برزت من العالم العلمى إلى العالم العينى ، وأما إذا كانت باقية على حالها فى العالم العلمى ، فإنه يراها كذلك صوراً قائمة عليها من أنواع الخلع ما سيكون أعمالا وأوصافا ، فالمظهر هنا الذى هو الجسد أو الصورة ، ولكن يعلم أن لا وجود لها حينئذ إلا من حيث هو ، فيأخذ منها ما شاء من معلوم ، لا من حيثيتها هى ، بل من حيثيته هو ، لكن على ماتقتضيه حقائقها ، بخلاف ما لو يراها بعد بروزها إلى العالم العينى فإنه يعلم أن وجودها حينئذ من حيثيتها هى ، فيكلمها وتجيبه بأنواع ما حوته من العلوم والحقائق ، وفى هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض . أقمت فيه بزبيد بشهر ربيع الأول فى سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية ، فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والأولياء والملائكة العالين والمقربين ، وملائكة التسخير ، ورأيت روحانية الموجودات جميعها ، وكشفت عن حقائق الأمور على ماهى عليه من الأزل إلى الأبد ، وتحققت بعلوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه ، وكان فى هذا المشهد ما كان فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر .

غاص بنا غواص البيان فى بحر هذا التبيان حتى ألجأ القدر إلى إبراز هذه الدرر ، فلنكتف من ذلك بما قد بدا فيها مما لم يخطر إظهاره أبدا ، ولنرجع إلى ما نحن فيه وبصدده من ذكر سماء الدنيا .

إعلم أن الله تعالى خلق دور فلك سماء الدنيا مسيرة أحد عشر ألف سنة ، وهو أصغر أفلاك السموات دورا ، فيقطع القمر جميع دور الفلك فى أربع وعشرين ساعة معتدلة أعنى مستقيمة ، فيقطع فى كل ساعة مسيرة أربعة آلاف سنة وخمسمائة عام ، ثم إن للقمر فلكا فى نفس الفلك ، وكذلك كل كوكب فإن له فلكا صغيراً يدور بنفسه فى الفلك الكبير، فالفلك الأكبر بطىء الدورة ، وذلك الفلك الصغير سريع الدورة ، وماتراه من خنس الكواكب وهو رجوعها فإنه لاختلاف دور فلكها فى دوران الفلك الكبير فتسبقه فى الدور ، فيحسبها الشخص راجعة ولم ترجع إذ لو رجعت لخرب العالم بأسره .

وإعلم أن القمر جرم كودى لا ضياء له فى نفسه من حيث هو ، بل إنه قابل للشمس بنصفه أخذ منها النور فلا يزال نصفه منيراً ونصفه الذى لم يقابل الشمس يكون مظلما ، ولهذا لا يرى نور القمر إلا من جهـــة الشمس أبدا ، بخـــلاف بقية الكواكب السيارة ، فإن كل كوكب منها يقابل نور الشمس فى جميعها ، فمثلها مثل البلورة الشفافة إذا وقع فيها النور سرى فى ظاهرها وباطنها بخلاف القمر فإنه كالكرة المعدنية المصقولة لا تقبل النور إلا فى مقابلة الشمس ، ولهذا ينقص نوره فى الأرض ويزيد بخلاف بقية الكواكب .

وإعلم أن السموات بعضاً محيط ببعض ، فأكبرها سماء زحل وأصغرها سماء القمر ، وهذه صورتها .



وكل فلك مماس لسمائه من تحته وهو أمر معنوى ، لأنه اسم لسمت دوران الكواكب فى أوجه ، والكواكب اسم للجرم الشفاف المنير من كل سماء . ولو أخذنا فى بيان الدقائق والثوانى والدقائق والدرج والحلول والسمت والسير ، أو لو شرحنا خواص ذلك ومقتضياتها لاحتجنا إلى مجلدات كثيرة ، فلنعرض عن ذلك فليس المطلوب إلا معرفة الله تعالى ، وما ذكرنا هذا القدر من ظاهر الأشياء إلا وقد رمزنا تحتها أسرار إلهية جعلناها كاللب لهذا القشر ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(١) .

وأما السماء الثانية : فانها جوهر شفاف لطيف ولونها أشهب ، خلقها الله تعالى من الحقيقة الفكرية ، فهى للوجود بمثابة الفكر للإنسان ، ولهذا كانت محلا لفلك الكاتب وهو عطارد ، جعله الله تعالى مظهرا لإسمه القدير ، وخلق سماءه من نور اسمه العليم الخبير ، ثم جعل الله الملائكة الممدة لأهل الصنائع جميعها فى هذه السماء ، ووكل بهم ملكا جعله روحانية هذا الكوكب ، وهذه السماء أكثر ملائكة من جميع السموات ، ومنها ينزل العلم إلى عالم الأكوان ،

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

وكانت الجن تأتى إلى صفيح سماء الدنيا فتسمع منها أصوات ملائكة السماء الثانية ، لأن الأرواح لا يمنعها البعد عن استماع الكلام ، لكن إذا كانت فى عالمها ، وأما إذا لم تكن فى عالمها كان حكمها حكم هذا العالم الذى هى فيه ، ولما كانت الجن أرواحا وهى فى عالم الأجسام والكثافة ارتقت حتى بلغت نحو العالم الروحى وهو صفيح سماء الدنيا ، فسمعت بواسطة ذلك الارتقاء كلام ملائكة السماء الثانية لعدم الفاصل ، ولم يمكنها سماع الثالثة لحصول الفاصل ، فكذلك أهل كل مقام لا يكشفون إلا ما فوقهم بمرتبة واحدة ، فإذا حصل الفاصل وتعددت المراتب فلا يعرف الأدنى ما هو الأعلى فيه ، فلأجل ذا كانت الجن تدنو من سماء الدنيا فتسمع أصوات ملائكة السماء الثانية لتسترق السمع وترجع إلى مشركيها فتخبرهم بالمغيبات ، فهى الآن إذا رقت إلى ذلك المحل نزل بها الشهاب الثاقب فأحرقها ، وهو النور المحمدى الكاشف لأهل الحجب الظلمانية عن كثافة معتدهم ، فلا يمكنهم الترقى لاحتراق جناح طير الهمة فيرجع خاسراً حاسراً .

رأيت نوحا عليه السلام فى هذه السماء جالساً على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء ، فسلمت عليه وتمثلت بين يديه فرد على السلام ورحب بى وقام ، فسألته عن سمائه الفكرى ومقامه السرى فقال : إن هذه السماء عقد جوهر المعارف ، فيها تتجلى أبكار العوارف ، ملائكة هذه السماء مخلوقة من نور القدرة ، لا يتصور شيئاً فى عالم الوجود إلا وملائكتها المتولية لتصوير ذلك المشهود ، فهى دقائق التقدير المحكمة لرقائق التصوير ، عليها يدور أمر الآيات القاهرة والمعجزات الظاهرة ، ومنها تنشأ الكرامات الباهرة ، خلق الله فى هذه السماء ملائكة ليس لهم عبادة إلا إرشاد الخلق إلى أنوار الحق ، يطيرون بأجنحة القدرة فى سماء العبرة ، على رءوسهم تيجان الأنوار مرصعة بغوامض الأسرار ، من ركب على ظهر ملك من هذه الأملاك طار بجناحه إلى سبعة الأفلاك ، وأنزل

الصور الروحانية فى القوالب الجسمانية متى شاء وكيف شاء ، فإن خاطبها كلمته ، وإن سألها أعلمته جعل الله دور فلك هذه السماء مسيرة ثلاث عشرة ألف سنة وثمانمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما يقطع كوكبها وهو عطارد فى كل ساعة مسيرة خمسمائة سنة وخمس وخمسين ومائة وعشرين يوما ، فيقطع جميع فلكه فى مضى أربع وعشرين ساعة معتدلة ، ويقطع الفلك الكبير فى مضى سنة كاملة ، وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء اسمه نوحائيل عليه السلام ؛ ثم رأيت فى هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها فى أهل هذا الزمان ، فتأمل فيما أشرناه وتفكر فيما لغزناه ومن وجودك لا من خارج عنك ، فاطلب حل ما قد رمزناه .

وأما السماء الثالثة فلونها أصفر وهى سماء الزهرة ، جوهرها شفاف وأهلها المتلونون فى سائر الأوصاف ، خلقت من حقيقة الخيال وجعلت محلا لعالم المثال ، جعل الله كوكبها مظهراً لإسمه العليم ، وجعل فلكها مجلى قدرة الصانع الحكيم ، فملائكتها مخلوقة على كل شكل من الأشكال ، فيها من العجائب والغرائب مالا يخطر بالبال ، يسوغ فيها المحال وربما امتنع فيها الجائز الحلال ، خلق الله دور فلك هذه السماء مسيرة خمس عشرة ألف سنة وستة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما ، يقطع كوكبها وهو الزهرة فى كل ساعة مسيرة ستمائة سنة وإحدى وثلاثين سنة وثمانية عشر يوما وثلث يوم ، فيقطع الفلك فى مضى أربعة وعشرين ساعة ، ويقطع جميع منازل الفلك الكبير فى مسيرة ثلثمائة يوم وأربعة وعشرين يوما ، وملائكة هذه السماء تحت حكم الملك المسمى صورائيل وهو روحانية الزهرة ، ثم إن ملائكتها محيطون بالعالم يجيبون من دعاهم من بنى آدم ، رأيت ملائكة هذه السماء مؤتلفة لكن على أنواع مختلفة ، فمنهم من وكله الله بالإيحاء إلى النائم إما صريحاً وإما بضرب مثل يعقله العالم ؛ ومنهم من وكله الله تعالى بتربية الأطفال وتعليمهم المعانى والأقوال ، ومنهم من وكله

الله بتسلية المهموم وتفريج المغموم ، ومنهم من وكله الله بالناس المستوحشين ومكالمة المتوحدين ؛ ومنهم من وكله الله تعالى بإضرام نيران الحب للمحبين فى سويداء اللب ، ومنهم من وكله الله بحفظ صورة المحبوب لئلا يغيب عن عاشقه المطلوب ؛ ومنهم من وكله الله بإبلاغ الرسائل بين أهل الوسائل ، اجتمعت فى هذه السماء بيوسف عليه السلام ، فرأيته على سرير من الأسرار كاشفا عن رموز الأنوار عالما بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبار متحققاً بأمر المعانى ، مجاوزاً عن قيد الماء والأوانى ، فسلمت عليه تحية وافد إليه فأجاب وحيا ثم رحب بى وبيا ، فقلت له سيدى أسألك عن قولك ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ﴾(١) أى المملكتين تمنى وعن تأويل أى الأحاديث تكنى ، فقال : أردت المملكة الرحانية المودعة فى النكتة الإنسانية ، وتأويل الأحاديث : الأمانات الدائرة فى الألسنة الحيوانية ، فقلت له : ياسيدى أليس هذا المودع فى التلويح حللا من البيان والتصريح ، فقال : اعلم أن للحق تعالى أمانة فى العباد يوصلها المتكلمون بها إلى أهل الرشاد ، قلت كيف يكون للحق أمانة وهو أصل الوجود فى الظهور والإبانة ، فقال : ذاك وصفه ، وهذا شأنه ذاك حكمه وهذه عبارته ، الأمانة يحملها الجاهل فى اللسان ويحملها العالم فى السر والجنان ، والكل فى حيرة عنه ولم يفز غير العارف بشىء منه ، فقلت : وكيف ذاك ؟ فقال : اعلم أيدك الله وحماك أن الحق تعالى جعل أسراره كدرر إشارات مودعة فى أسرار عبارات ، فهى ملقاة فى الطريق ، دائرة على ألسنة الفريق ، يجهل العام إشارتها ويعرف الخاص ما سكن عبارتها ، فيؤولها على حساب المقتضى ويثوبها إلى حيث المرتضى ، وهل تأويل الأحلام إلا رشحة من هذا البحر أو حصاة من جنادل هذا القفر ؟ فعلمت ما أشار إليه

---

(١) سورة يوسف من الآية ١٠١ .

الصديق ولم أكن قبله جاهلا بهذا التحقيق ، ثم تركته وانصرفت فى الرفيق الأعلى ونعم الرفيق .

وأما السماء الرابعة ، فهى الجوهر الأنخر ، ذات اللون الأزهر سماء الشمس الأنور ، وهو قطب الأفلاك خلق الله تعالى هذه السماء من النور القلبى ، وجعل الشمس فيها بمنزلة القلب للوجود ، به عمارته ومنه نضارته ، منها تلتمس النجوم أنوارها وبها يعلو فى المراتب منارها ، جعل الله هذا الكوكب الشمسى فى هذا الفلك القلبى مظهر الألوهية ومجلى لمتنوعات أوصافه المقدسة النزيهة الزكية فالشمس أصل لسائر المخلوقات العنصرية ، كما أن الاسم (الله) لسائر المراتب العلية ، نزل إدريس عليه السلام هذا المقام النفيس لعلة بالحقيقة القلبية ، فتميز عن غيره فى الرتبة الربية ، جعل الله هذه السماء مهبط الأنوار ومعدن الاسرار ، ثم إن الملك الجليل المسمى إسرافيل هو الحاكم على ملائكة هذه السماء ، وهى روحانية الشمس ذات السناء ، لا يرفع فى الوجود خفض ولا يحدث فيه بسط ولا قبض إلا بتصريف هذا الملك الذى جعله الله مجتد هذا الفلك ، وهو أعظم الملائكة هيبة وأكبرهم وسعاً وأقواهم همة ، له من سدرة المنتهى إلى ما تحت الثرى يتصرف فى جميعها ويتمكن من شريفها ووضيعها ، منصته عند الكرسى ومحتده هذا الفلك الشمسى ، وعالمه السموات والأرض وما فيهما من عقل وحس .

ثم إعلم أن الله تعالى جعل الفلك الشمسى مسيرة سبع عشرة ألف سنة وتسعاً وعشرين سنة وستين يوما ، فيقطع جميع الفلك فى مضى أربع وعشرين ساعة معتدلة ، ويقطع الفلك الكبير فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم وثلاث دقائق .

إعلم أن هـــذا المقام الذى فيه إدريس عليه السلام هو مقام من مقامات

محمد ﷺ . ألا تراه لما بلغ ليلة إسرائه إلى السماء الرابعة ارتقى عنه إلى مافوقه ، فبلوغه عليه الصلاة والسلام إلى المستوى الإدريسى شاهد تحقيقه فى المقامات العلية بالمرتبة المربوبية ، وبجوازه عنه شاهد ما هو أعلى منه حتى برز منشور سعده بخلعه ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ﴾(١) فمقام العبودية هو المقام المحمود الرفيع وهو لواء الحمد الشامخ المنيع .

واعلم أن الله تعالى جعل الوجود بأسره مرموزاً فى قرص الشمس ، تبرزه القوى الطبيعية فى الوجود شيئاً فشيئاً بأمر الله تعالى ، فالشمس نقطة الأسرار ودائرة الانوار ، أكثر الأنبياء أهل التمكين فى دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وإدريس وجرجيس وغيرهم ممن يكثر عدده ويطول أمده، كلهم نازلون فى هذا المنزل الجلى ، وقاطنون فى هذا المقام العلى، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل إلى الصراط السوى .

وأما السماء الخامسة ، فإنها سماء الكوكب المسمى بهرام ، وهو مظهر العظمة الإلهية والانتقام ، نزل به يحيى عليه السلام لمشاهدته العظمة والجبروت وملاحظته العزة والملكوت ، ولم يهم بزلة ، وما منهم إلا من هم أو جاء بخلة ، سماؤه مخلوقة من نور الوهم ولونها أحمر كالدم ، وملائكة هذه السماء خلقهم الله تعالى مرائى للكمال ومظاهر للجلال ، بهم عبد الله فى هذا الوجود ، وبهم دان أهل التقليد للحق بالسجود ، جعل الله عبادة هذه الملائكة تقريب البعيد وإيجاد الفقيد ؛ فنهم من عبادته تأسيس قواعد الإيمان فى القلب والجنان ، ومنهم من عبادته طرد الكفار عن عالم الأسرار ، ومنهم من عبادته شفاء المريض وجبر الكسر المهيض ، ومنهم من خلق لقبض الأرواح فيقبض بإذن

(١) سورة الإسراء من الآية ١ .

الحاكم ولا جناح . وحاكم هذه السماء الأثيل هو الملك المسمى عزرائيل ، وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ ، جعل الله تعالى محتد هذا الملك هذه السماء ومنصته عند القلم الأعلى ، لا ينزل ملك إلى الأرض للانتقام ولا لقبض الأرواح ولا لنشر انتظام إلا بأمر هذا الملك الذى هو روحانية بهرام .

واعلم أن الله تعالى جعل دور هذه السماء مسيرة تسع عشر ألف سنة وثمان مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوما ، يقطع هذا الكوكب منها فى كل ساعة معتدلة مشيرة ثمانمائة سنة وست وعشرين سنة ومائة وأربعين يوما ، فيقطع جميع الفلك فى مضى أربع وعشرين ساعة ، ويقطع الفلك الكبير فى مضى خمسمائة وأربعين يوما بالتقريب ، وروحانيته هى الممدة لأرباب السيوف والانتقام ، وهى الموكلة بنصر من أراد الله نصره من أهل الزمام .

وأما السماء السادسة ، فمحتدها من نور الهمة ، وهى جوهر شفاف روحانى أزرق اللون ، وكوكبها مظهر القيومية ومنظر الديمومية ذو النور الممد المسمى بالمشترى ، ورأيت موسى عليه السلام متمكنا فى هذا المقام ، واضعاً قدمه على سطح هـذه السماء ، قابضا بيمينه ساق سدرة المنتهى ، سكران من خمر تجلى الربوبية ، حيران من عزة الألوهية ، قدانطبعت فى مرآة عله أشكال الأكوان ، وتجلت فى إنيته ربوبية الملك الديان ، يهول منظره الناظر ، ويزعج أمره الوارد والصادر ، فوقفت متأدبا بين يديه ، وسلمت بتحقيق مرتبته عليه ، فرفع رأسه من سكرة الأزل ورحب بى ثم أهل ، فقلت له : ياسيدى قـد أخبر الناطق بالصواب ، الصادق فى الخطاب ، أنه قـد برزت لك خلعة لن ترانى من ذلك الجناب ؛ وحالتك هذه غير حالة أهل الحجاب ، فأخبرنى بحقيقة هـذا الأمر العجاب ؛ فقال : اعلم أنى لما خرجت من مصر أرضى إلى حقيقة فرضى ونوديت من طور قلبى بلسان ربى من جانب شجرة الأحدية فى الوادى المقدس

بأنوار الأزلية ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ﴾(۱) فلما عبدته كما أمر فى الأشياء ، وأثنيت عليه بما يستحقه من الصفات والأسماء تجلت أنوار الربوبية لى فأخذنى عنى ، فطلبت البقاء فى مقام اللقاء، ومحال أن يثبت المحدث لظهور القديم، فنادى لسان سرى مترجما عن ذلك الأمر العظيم ، فقلت : ربى ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾(۲) فأدخل بإنيتى فى حضرة القدس عليك ، فسمعت الجواب من ذلك الجناب ﴿ لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ﴾ وهى ذاتك المخلوقة من نورى فى الأزل ، ﴿ فإن استقر مكانه ﴾ بعد أن أظهر القديم سلطانه ﴿ فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل ﴾ وجذبتنى حقيقة الأزل وظهر القديم على المحدث ﴿ جعله دكا ﴾ فخر موسى لذلك صعقا ، فلم يبق فى القديم إلا القديم ، ولم يتجل بالعظمة إلا العظيم ، هذا على أن استيفاءه غير ممكن وحصره غير جائز ، فلا تدرك ماهيته ولا ترى ولا يعلم كنهه ولا يدرى ، فلما اطلع ترجمان الأزل على هذا الخطاب أخبركم به من أم الكتاب ، فترجم بالحق والصواب ، ثم تركته وانصرفت وقد اغترفت من بحره ما اغترفت .

واعلم أن الله تعالى جعل دور فلك هذه السماء مسيرة اثنتين وعشرين ألف سنة وستا وستين سنة وثمانية أشهر ، فيقطع كوكبها وهو المشترى فيها فى كل ساعة مسيرة تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما ونصف يوم ، فيقطع جميع الفلك فى مضى أربع وعشرين ساعة ، ويقطع جميع الفلك الكبير فى مضى اثنتى عشرة سنة ، يقطع كل سنة برجا من الفلك الكبير ، وخلق الله تعالى هذه السماء من نور الهمة ، وجعل ميكائيل موكلا بملائكتها ، وهم ملائكة الرحمة ، جعلهم الله معارج الأنبياء ، ومراقى الأولياء ، خلقهم الله تعالى

---

(۱) سورة طه آية ١٤ .
(۲) سورة الأعراف من الآية ١٤٣ .

لإيصال الرقائق إلى من اقتضتها له الحقائق . دأبهم رفع الوضيع وتسهيل الصعب المنيع ، يجولون فى الارض ، بسبب رفع أهلها من ظلمة الخفض،فهم أهل البسط بين الملائكة والقبض ، وهم الموكلون بإيصال الأرزاق إلى المرزوقين على قدر الوفاق ، جعلهم الله تعالى من أهل البسط والحظوة ، فهم بين الملائكة مجابوا الدعوة ، لا يدعون لأحد بشيء إلا أجيب ولا يمرون بذى عاهة إلا ويبرأ ويطيب ، إليهم أشار عليه الصلاة والسلام فى قوله « فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة أجيبت دعوته وحصلت بغيته »(١) فما كل ملك يجاب دعاه ، ولا كل حامد يستطاب ثناه ؛ ثم إنى رأيت ملائكة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات ، فمنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر ، وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضيض الظلمة إلى عالم الانوار ، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الخيول المسومة ، وعبادة هذه الطائفة المكرمة رفع القلوب من سجن الشهادة إلى فضاء الغيوب ، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة النجائب وفى صورة الركائب ، خلقه الله تعالى على هيئة البغال والحمير ، وعبادة هذا النوع رفع الحقير وجبر الكسير والعبور من القليل إلى الكثير ؛ ومنهم من خلقه الله تعالى على صورة الإنسان ؛ وعبادة هؤلاء حفظ قواعد الأديان ، ومنهم من خلق على صفة بسائط الجواهر والأعراض ، وعبادة هؤلاء إيصال الصحة إلى الأجسام المراض ، ومنهم من خلق على أنواع الحبوب والمياه وسائر المأكولات والمشروبات ، وعبادة هؤلاء إيصال الأرزاق إلى مرزوقها من سائر المخلوقات ، ثم إنى رأيت فى هذه السماء ملائكة مخلوقة بحكم الاختلاط مزجا ، فالنصف من ماء عقد ثلجا ، فلا الماء يفعل فى إطفاء النار ولا النار تغير الماء عن ذلك القرار .

---

(١) حديث من وافق تأمينه تأمين الملائكة .

واعلم أن ميكائيل عليه السلام وهو روحانية كوكب هذه السماء ، وهو الحاكم على سائر الملائكة المقيمين فى هذا الفلك ، جعل الله محتده هذه السماء ومنصته عن يمين سدرة المنتهى ، سألته عن البراق المحمدى هل كان مخلوقا من هذا المحتد العلى ؟ فقال . لا ، لان محمداً ﷺ لم تتكاثف عليه الستور ، فلم ينزل سره عن سماء النور ، وذلك محتد العقل الاول ومنشأ الروح الافضل ، فبراقه من فلك هذا المقام المكين ، وترجمانه جبريل وهو الروح الامين ، وأما من سواه من الانبياء وسائر الكمل من الاولياء ، فإن مراكبهم فى السفير الاعلى على نجائب هذه السماء فيصعدون عليها من حضيض أرض الطبائع حتى يجاوزوا الفلك السابع ، ثم ليس لهم مركب إلا الصفات ولا ترجمان إلا الذات .

وأما السماء السابعة ، فسماء زحل المكرم ، وجوهرها شفاف أسود كالليل المظلم ، خلقها الله من نور العقل الاول ، وجعلها المنزل الافضل ، فتلونت بالسواد إشارة إلى سوادها والبعاد ، فلهذا لا يعرف العقل الاول إلا كل عالم أكمل ، هذا هو سماء كيوان المحيط بجميع عالم الاكوان ، أفضل السموات وأعلى الكائنات ، جميع الكواكب الثابتة فى موكبه سائرة سيراً خفيا فى كوكبه ، دورة فلكه مسيرة أربع وعشرين ألف سنة وخمسمائة عام ، يقطع كوكبه فى كل ساعة معتدلة مسيرة ألف سنة وعشرين سنة وعشرة أشهر ، ويقطع الفلك الكبير فى مدة ثلاثين سنة ، وجميع الكواكب الثابتة التى فيها لكل منها سير خفى مهين لا يكادبين ، منها ما يقطع كل برج من الفلك فى ثلاثين ألف سنة ، ومنها ما يقطع بأكثر وأقل ، ولاجل دقتها وكثرتها لا تعرف ، وليس لها أسماء عند الحساب ، ولكن أهل الكشف يعرفون اسم كل نجم ويخاطبونه باسمه ويسألونه عن سيره ، فيجيبهم ويخبرهم بما يقتضيه فى فلكه . ثم إن هذه الاسماء أول سماء خلقها الله تعالى محيطة بعالم الاكوان ، وخلق السموات التى تحتها بعدها ، فهو نور العقل الاول الذى هو أول مخلوقات الله فى عالم المحدثات .

رأيت إبراهيم عليه السلام قائما فى هذه السماء ، وله منصة يجلس عليها عن يمين العرش من فوق الكرسى ، وهو يتلو آية ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾(١) الآية .

واعلم أن ملائكة هذه السماء كلهم مقربون ، ولكل من المقربين منزلة على قدر وظيفته التى أقامه الله فيها ، وليس فوقه إلا الفلك الأطلس ، وهو الفلك الكبير ، سطحه هو الكرسى الأعلى ، وبينهما أعنى الفلك الأطلس والفلك المكوكب ثلاثة أفلاك وهمية حكمية لا وجود لها إلا فى الحكم دون العين ، الفلك الأول منها ، وهو الفلك الأعلى على فلك الهيولى . الفلك الثانى فلك الهباء . الفلك الثالث فلك العناصر ، وهو آخرهم مما يلى الفلك المكوكب ، وقال بعض الحكماء : ثم فلك رابع : وهو فلك الطبائع .

واعلم أن الفلك الأطلس هو عرصة سدرة المنتهى ، وهى تحت الكرسى وقد سبق بيان الكرسى ، ويسكن سدرة المنتهى الملائكة الكروبيون ، رأيتهم على هيئات مختلفة لا يحصى عددهم إلا الله ، قد انطبقت أنوار التجليات عليهم حتى لا يكاد أحد منهم يحرك جفن طرفه ، فنهم من وقع على وجهه ، ومنهم من جثا على ركبتيه وهو الأكمل ومنهم من سقط على جنبه ، ومنهم من جد فى قيامه وهو أقوى ، ومنهم من دهش فى هويته ، ومنهم من خطف فى إنيته ، ورأيت منهم مائة ملك مقدمين على هؤلاء جميعهم ، بأيديهم أعمدة من النور مكتوب على كل عمود اسم من أسماء الله الحسنى ، يرهبون بها من دونهم من الكروبيين ، ومن بلغ مرتبتهم من أهل الله تعالى ، ثم رأيت سبعة من جملة هذه المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين ، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين ، ورأيت واحداً مقدما على جميعهم يسمى عبد الله ،

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٩ .

وكل هؤلاء عالون من لم يؤمروا بالسجود لآدم ، ومن فوقهم كذلك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم وأمثالهما أيضا عالون ، وبقية ملائكة القرب دونهم ، وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأمثالهم ، ورأيت فى هذا الفلك من العجائب والغرائب مالا يسعنا شرحه .

واعلم أن جملة الأفلاك التى خلقها الله تعالى فى هذا العالم ثمانية عشر فلكا ، الفلك الأول : العرش المحيط : الفلك الثانى : الكرسى : الفلك الثالث : الأطلس ، وهو فلك سدرة المنتهى . الفلك الرابع : الهيولى . الفلك الخامس : الهباء : الفلك السادس : العناصر . الفلك السابع : الطبائع . الفلك الثامن : المكوكب . وهو فلك زحل ويسمى فلك الأفلاك . الفلك التاسع : فلك المشترى . الفلك العاشر : فلك المريخ . الفلك الحادى عشر : فلك الشمس . الفلك الثانى عشر : فلك الزهرة . الفلك الثالث عشر : فلك عطارد . والفلك الرابع عشر : فلك القمر . الفلك الخامس عشر : فلك الأثير ، وهو فلك النار . الفلك السادس عشر : فلك الهواء . الفلك السابع عشر : فلك الماء . الفلك الثامن عشر : فلك التراب . والبحر المحيط الذى فيه البهموت ، وهو حوت يحمل الأرض على منكبيه ، ثم فلك الهواء ، ثم فلك النار ، ثم فلك القمر ، ويرجع صاعداً كما هبط ، ثم لكل موجود فى العالم فلك وسبيع يراه المكاشف ويسبح فيه ويعلم ما يقتضيه ، فلا تحصى الأفلاك لكثرتها ، قال الله تعالى ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾(١) .

واعلم أن كل واحد من فلك النار والماء والهواء على أربع طباق ، وذلك التراب على سبع طباق ، وسيأتى بيان الجميع فى هذا الباب ، فلنبدأ بذكر الأرض وطباقها ، لأن الله تعالى قد أردف ذكر السماء بالأرض ، فلا تجعل بينهما فاصلة .

---

(١) سورة يس آية ٤٠ .

أما الطبقة الأولى من الارض : فأول ما خلقها الله تعالى كانت أشد بياضا من اللبن وأطيب رائحة المسك ، فاغبرت لما مشى آدم عليه السلام عليها بعد أن عصى الله تعالى ، وهذه الأرض أرض النفوس ، ولهذا كانت يسكنها الحيوانات ؛ دور كرة الأرض مسيرة ألف ومائة عام وستة وستون عاما ومائتا يوم وأربعون يوما ، قد غمر الماء منها ثلاثة أرباعها بحكم الحيطة ، فبقى الربع من وسط الأرض إلا ما يلى الجانب الشمالى ، وأما الجانب الجنوبى فأجمعه بكليته مغمور تحت الماء من نصف الأرض ، ثم ربعه من الجانب الشمالى تحت الماء ، فما بقى إلا الربع وهذا الربع فالخراب منه ثلاثة أرباعه ، ولم يبق إلا الربع من الربع ، ثم هذا الربع المتبقى لم تكن مدنه المسكونة منه إلا مسيرة أربعة وعشرين عاما وباقيها برار وقفار عامرة بالطرق ممكنة الذهاب والإياب ، لم يبلغ الإسكندر من الأرض إلا هذا الربع المتبقى ، سلك قطره شرقا وغربا ، لأن بلاده فى المغرب ، وكان ملكا بالروم ، فأخذ أولا يسلك مما يليه من جنبه حتى بلغ إلى باطن الارض منه ، فوصله إلى مغرب الشمس ، ثم سلك الجنوبى وهو ما يقابله حتى تحقق بظهور تلك الأشياء ، فوصل إلى مشرق الشمس ، ثم سلك الجانب الجنوبى وهو الظلمات حتى بلغ يأجوج ومأجوج ، وهم فى الجانب الجنوبى من الارض ، نسبتهم من الأرض نسبة الخواطر من النفس ، لا يعرف عددهم ولا يدرك حصرهم ، لم تطلع الشمس على أرضهم أبدا ، فلأجل هذا غلب عليهم الضعف حتى أنهم لم يقدروا فى هذا الزمان على خراب السد ؛ ثم سلك الجانب الشمالى حتى بلغ محلا منه لم تغرب الشمس فيه ، وهذه الأرض بيضاء على ما خلقها الله تعالى عليه هى مسكن رجال الغيب ، وملكها الخضر عليه السلام ، أهل هذه البلاد تكلمهم الملائكة لم يبلغ إليها آدم ولا أحد ممن عصى الله تعالى ، فهى باقية على أصل الفطرة ، وهى قريبة من أرض

بلغار ، وبلغار بلدة فى العجم لا تجب فيها صلاة العشاء فى أيام الشتاء(١) ، لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها ، فلا يجب عليهم صلاة العشاء ، ولا حاجة إلى تبيين عجائب الارض لما قد نقلت الاخبار من عجائبها مما لا يحتاج إلى ذكره فافهم ما أشرنا إليه ، وهذه الأرض من أشرف الاراضى وأرفعها قدراً عند الله تعالى ، لأنها محل النبيين والمرسلين والأنبياء الصالحين ، فلولا ما أخذ الناس من الغفلة عن معرفتها لكنت تراهم يتكلمون بالمغيبات ويتصرفون فى الأمور المعضلات ، ويفعلون ما يشاءون بقدرة صانع البريات ، فافهم جميع ما أمرنا إليه ، واعرف ما دللناك عليه ، ولا تقف مع الظاهر ، فإن لكل ظاهر باطن ، ولكل حق حقيقة والسلام .

وأما الطبقة الثانية من الأرض : فإن لونها كالزمردة الخضراء تسمى أرض العبادات ، يسكنها مؤمنون الجن ، ليلهم نهار الأرض الأولى ، ونهارهم ليلها ، لا يزال أهلها قاطنين فيها حتى تغيب الشمس عن أرض الدنيا ، فيخرجون إلى ظاهر الأرض يتعشقون بنى آدم تعشق الحديد بالمغناطيس ، ويخافون منهم أشد من خوف الفريسة للآساد ، دورة كرة هذه الأرض ألفا ستة ومائتا سنة وأربعة أشهر ، ولكن ليس فيها خراب ، بل الجميع معمور بالسكنى ، وأكثر مؤمنى الجن يحسدون أهل الإرادات والمخالفات ، فأكثر هلاك السالكين من جن هذه الأرض يأخذون الشخص من حيث لا يشعر بهم ، ولقد رأيت جماعة من السادات ، أعنى طائفة من متصوفة هذا الزمان مقيدين مغلغلين ، قد قيدهم جن هذه الأرض ، فأصمهم وأعمى أبصارهم ، وقد كانوا ممن يسمع كلام الحضرة بأذنيه ، فصار إذا خوطب من غير جهة هذه الأرض لا يسمع

---

(١) كذا بالنسخ ، وصوابه فى أقصر ليالى السنة ، وهو أول الصيف ، انظر الطحطاوى على الدر اهـ مصححه .

ولا يعقل ، وهم محجوبون بما هم فيه ، فلو قيل لهم بما هم عليه لانكروا ذلك ، فافهم ما أشرت إليه تحقق بما دللتك عليه ، واستعن بالله فى إحكام الطريق ينجك الحق من كيد هذا الفريق .

وأما الطبقة الثالثة من الأرض : فإن لونها أصفر كالزعفران تسمى أرض الطبع ، يسكنها مشركوا الجن ، ليس فيها مؤمن بالله، قد خلقوا للشرك والكفر يتمثلون بين الناس على صفة بنى آدم ، لا يعرفهم إلا أولياء الله تعالى ؛ لا يدخلون بلدة فيها رجل من أهل التحقيق إذا كان متمكنا بشعاع أنواره ، وأما قبل ذلك فإنهم يدخلون عليه ويحاربهم ، فلا يزالون كذلك حتى ينصره الله تعالى عليهم ، فلا يقربون بعد هـذا من أرضه ، ومن توجه إليه احترق بشعاع أنواره ، ليس لهؤلاء عمل فى الأرض إلى إشغال الخلق عن عبادة الله تعالى بأنواع الغفلة ، دورة كرة هذه الأرض مسيرة أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وثمانية أشهر ، كلها عامرة بالسكنى ليس فيها خراب ، لم يذكر الحق سبحانه وتعالى فيها منذ خلقها الله إلا مرة واحدة بلغة غير لغة أهلها ، فافهم ما أشرنا إليه واعرف ما دللناك عليه .

وأما الطبقة الرابعة من الأرض: فإن لونها أحمر كالدم تسمى أرض الشهود ، دورة كرة هـذه الأرض مسيرة ثمانيـة آلاف سنة وخمس وستين سنة ومائة وعشرين يوما ، كلها عامرة بالسكنى ، يسكنها الشياطين ، وهم على أنواع كثيرة ، يتوالدون من نفس إبليس ، فإذا تحصلوا بين يديه جعلهم طوائف ، يعلم طائفة منهم القتل ليكونوا أدلة عليه لعبادة الله ، ثم يعلم طائفة الشرك ويحكمهم فى معرفة علوم المشركين ليوطن بنيان الكفر فى قلوب أهله ، ويعلم طائفة العلم ليجادلوا به العلماء ، ويعلم طائفة منهم المكر وطائفة الخداع وطائفة الزنا وطائفة السرقة، حتى لا يترك معصية صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أرصد لها طائفة من حفدته ،

ثم يأمرهم أن يجلسوا فى مواضع معروفة ، فيعلموا أهل الخدع والمكر وأمثال ذلك أن يقيموا فى دركة الطمع ، ويعلموا أهل القتل والطعن وأمثال ذلك أن يقيموا فى دركة الرياسة . ويعلموا أهل الشرك أن يقيموا فى دركة الشرك ، ويعلموا أهل العلم أن يقيموا فى دركة المناجاة والعبادات . ويعلموا أهل الزنا والسرقة وأمثال ذلك أن يقيموا فى دركة الطبع ؛ ثم جعل بأيديهم سلاسل وقيوداً يأمرهم أن يجعلوها فى أعناق من يحتكم لهم سبع مرات متواترات ليس بينها توبة ، ثم يسلمونه بعد ذلك إلى عفاريت الشياطين فينزلون إلى الارض التى تحتهم ، ويجعلون أصول تلك السلاسل فيهم ، فلا يمكنه مخالفتهم بعد أن توضع تلك السلاسل فى عنقه أبدا ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(١).

وأما الطبقة الخامسة من الأرض : فإن لونها أزرق كالنيلة . واسمها أرض الطغيان ، دورة كرتها سبعة عشر ألف سنة وستمائة سنة وعشر سنين وثمانية أشهر ، كلها عامرة بالسكنى ، يسكنها عفاريت الجن والشياطين ، ليس لهم عمل إلا قيادة أهل المعاصى إلى الكبائر ، وهؤلاء كلهم لا يصنعون إلا بالعكس ، فلو قيل لهم اذهبوا جاءوا ، ولو قيل لهم تعالوا ذهبوا ، هؤلاء أقوى الشياطين كيدا ، فإن من فوقهم من أهل الطبقة الرابعة كيدهم ضعيف يرتدع بأدنى حركة ، قال الله تعالى ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾(٢) وأما هؤلاء فكيدهم عظيم يحكمون على بنى آدم بغلبة القهر فلا يمكنهم مخالفتهم أبدا ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(٣) .

وأما الطبقة السادسة من الأرض : فهى أرض الإلحاد ، لونها أسود كالليل

---

(١) سورة الاحزاب من الآية ٤ .
(٢) سورة النساء من الآية ٧٦ .
(٣) سورة الاحزاب من الآية ٤ .

المظلم ، دورة كرة هذه الأرض مسيرة خمس وثلاثين ألف سنة ومائتى سنة وإحدى وعشرين سنة ومائة وعشرين يوما ، كلها عامرة بسكنها المردة ومن لا يتحكم لاحد من عباد الله تعالى .

واعلم أن سائر الجن على اختلاف أجناسهم كلهم على أربعة أنواع : فنوع عنصريون ، ونوع ناريون ولو كانت النار راجعة إلى العنصرين فثم نكتة، ونوع ترابيون ، فأما العنصريون فلا يخرجون عن عالم الأرواح وتغلب عليهم البساطة ، وهم أشد الجن قسوة ، سموا بهذا الاسم لقوة مناسبتهم بالملائكة ، وذلك لغلبة الامور الروحانية على الأمور الطبيعية السفلية منهم . ولا ظهور لهم إلا فى الخواطر ، قال الله تعالى ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾(١) فافهم ، ولا يتراءون إلا للأولياء . وأما الناريون فيخرجون من عالم الاروح غالباً ، وهم يتنوعون فى كل صورة أكثر مايفاجئون الإنسان فى عالم المثال ، فيفعلون به ما يشاءون فى ذلك العالم ، وكيد هؤلاء شديد ؛ فمنهم من يحمل الشخص بهيكله فيرفعه إلى موضعه ؛ ومنهم من يقيم معه ، فلا يزال الرائى مصروعا مادام عنده ، وأما الهوائيون يتراءون فى المحسوس مقابلين للروح فتنعكس صورهم على الرائى فينصرع . وأما الترابيون فإنهم يلبسون الشخص ويعفرونه بترابهم ، وهؤلاء أضعف الجن قوة ومكراً .

وأما الطبقة السابعة من الأرض : فإنها تسمى أرض الشقاوة ،وهى سطح جهنم ، خلقت من سفليات الطبيعة يسكنها الحيات والعقارب وبعض زبانية جهنم ، دورة كرة هذه الأرض مسيرة سبعين ألف سنة وأربعمائة سنة واثنتين وأربعين سنة وأربعة أشهر ، وحياتها وعقاربها كأمثال الجبال وأعناق البخت ، وهى يلحقه بجهنم نعوذ بالله منها ، أسكن الله هذه الأشياء فى هذه الأرض لتكون

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١١٢ .

أنموذجا فى الدنيا لما فى جهنم من عذابه ، كما أسكن طائفة مثل سكان الجنة على الفلك المكوكب ليكون أنموذجا فى الدنيا لما فى الجنة من نعيمه ، ونظير ذلك فى مخيلة الإنسان ، وما فى الجانب الأيسر منها من الصور الممثلة هو نسخة هذه الأرض ، وما فى الجانب الأيمن منها هو نسخة ما فى الفلك الأطلس من الحور وأمثاله ، كل ذلك لتقوم حجته على خلقه . لأنه تعالى لو لم يجعل فى هذه الدار شيئاً من الجنة والنار لكانت العقول لا تهتدى إلى معرفتها لعدم المناسب فلا يلزمها الإيمان بها ، فجعل الحق تعالى فى هذه الدار هذه الأشياء من الجنة والنار لتكون مرقاة للعقول إلى معرفة ما أخبر به الحق تعالى به من نعيم الجنة وعذاب النار ، فافهم ما أشرنا إليه ولا تقف مع ظاهر اللفظ ، ولا تنحصر بباطن معناه ، بل تحقق بما أشرنا باطنه إليه وتيقن بماذلك ظاهره عليه ، فإن لكل ظاهر باطنا ، ولكل حق حقيقة ، والرجل من استمع القول فاتبع أحسنه ، جعلنا الله وإياكم ممن تذكروا فإذا هم مبصرون .

ثم إعلم أن أطباق الأرض إذا أخذت فى الانتهاء دار الدور عليها فى الصعود ، كما أن أهل النار إذا استوفوا ماكتب عليهم وخرجوا لايخرجون إلا إلى مثل ما ينتهى إليه حال أهل الجنة من كريم المشاهدة والتحقق بتحقق المطالعة إلى أنوار العظمة الإلهية ، فكما أن الماء أول فلك قبل فلك التراب ، كذلك هو أول فلك بعد فلك التراب ، ثم الهواء بعده ، ثم النار ، ثم القمر ، ثم كل فلك على الترتيب المذكور إلى فلك الأفلاك . وإلى أن ينتهى إلى العرش المحيط .

وإعلم أن البحار السبعة المحيطة أصلها بحران ، لأن الحق سبحانه وتعالى لما نظر إلى الدرة البيضاء التى صارت ماء ، فما كان مقابلا فى علم الله تعالى لنظر الهيبة والعظمة والكبرياء ، فإنه لشدة الهيبة صار طعمه مالحا زعاقا ، وما كان مقابلا فى علم الله تعالى لنظر اللطف والرحمة صار طعمه عذبا ، وقدم

الله ذكر العذب فى قوله تعـــالى ﴿ هذا عذب فرات ، وهـــذا ملح أجاج ﴾(١) لسر سبق الرحمة الغضب ، فلهذا كان الأصل بحرين عذب ومالح ، فبرز من العذب جدول إلى جانب المشرق منه واختلط بنبات الارض فنبتت رائحته فصار بحرا على حدته ، ثم خرج منه أى العذب من جدول مما يلى جانب المغرب ، فقرب من البحر المالح المحيط فامتزج طعمه فصار ممتزجا وهو بحر على حدته ، وأما البحر المالح فخرجت منه ثلاث جداول : جدول أقام وسط الأرض فبقى على طعمه الأول مالحا ولم يتغير فهو بحر على حدته ، وجدول ذهب إلى اليمين ، وهو الجانب الجنوبى ، فغلب عليه طعم الأرض التى امتد إليها ، فصار حامضا ، وهو بحر على حدته ، وجدول ذهب إلى الشام ، وهو الجانب الشمالى فغلب عليه طعم الأرض التى امتد فيها فصار مرا زعاقا وهو بحر على حدته ، وأحاط بجبل قاف والأرض جميعها بما فيها لم يعرف له طعم يختص به ولكنه طيب الرائحة ، لا يكاد من شمه أن يبقى على حالته بل يهلك من طيب رائحته ، وهذا هو البحر المحيط الذى لا يسمع له غطيط ، فافهم هذه الإشارات واعرف ما تضمنته هذه العبارات . وها أنا أفصل لك هذا الإجمال وأودعه من أسرار الله غريب الأقوال : أما البحر العذب فهو طيب المشرب وسهل المركب منتقل الخاص والعام ومتعلق الافكار والافهام ، يغترف منه القريب والبعيد ، ويقترف منه الضعيف والشديد ، به يستقيم قسطاس الأبدان ويقوم فى الحكم ناموس الأديان ، أبيض اللون شفاف الكون ، يسرع فى منافذه الطفل والمحتلم ، ويرتع فى موائده الطالب والمغتنم ، حيتانه سهلة الإنقياد قريبة الاصطياد ، خلقت من نور تعظيم الاحترام ، الحلال فيه بين من الحرام ، وبها ارتبط الحكم الظاهر ، وبها أصلح أمر الأول والآخر ، كثيرة السفر قليلة الخطر ، قل أن

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٥٣ .

تنعطب مراكبها أو يغرق من موجها راكبها ، هى سبيل الهارب إلى نجاته وطريق الطالب إلى أمنياته ، يستخرج منها لآلىء الإشارات من أصداف العبارات ، ويظهر منها مرجانة الحكم فى شباك الكلام ، مراكبها منقولة ومراسيها معلومة لا مجهولة ، قريبة القعر بعيدة الغور ، سكانها أهل الملل المختلفة والنحل المؤتلفة ، رؤساؤها المسلمون وحكامها الفقهاء العاملون قد وكل الله ملائكة النعيم بحفظها ، وجعلهم أهل بسطها وقبضها ، ولها أربعة فروع مشتهرة وأربعون ألف فرع مندثرة . فالفروع المشتهرة الفرات والنيل وسيحون وجيحون ، والمندثرة فأكثرها بأرض الهند والتركان وفى الحبشة منها فرعان ، دورة محيط هذه الابحر مسيرة أربع وعشرين سنة وهى متشعبة فى أقطار الارض ومتفرعة فى طولها والعرض،يتشعب منها فرعان الاول بإرم ذات العماد ، والآخر بنعمان . فأما الذى أخذ فى العرض وبين من ملابسة الأرض ، فهو العامر للديار والاعمال والظاهر بين أيدى السفرة والعمال . وأما الذى أخذ فى طول الالتحاد وسكن إرم ذات العماد ، فهو البحر الممروج هو الدر الممزوج ، فافهم هذه الإشارات واعرف هذه العبارات ، فليس الامر على ظاهره والله محيط بأول الامر وآخره . وأما البحر النتن فهو الصعب المسالك القريب المهالك ، هو طرق السالكين ومنهج السائرين ، يروم المرور كل أحد عليه ولا يصل إلا العباد إليه ، لونه أشهب وكونه أغرب ، أمواجه بأنواع البرطالة وأرياحه بأصناف الفضائل غادية ورائحة ، حيتانه كالبغال والجمال تحمل الثكل وأعباء الاثقال إلى بلد الدر الانفس ولم يكونوا بالغية إلا بشق الانفس ، لكنهم صعاب الانقياد لا يصادون إلا بالجد والاجتهاد ، لا يعبر مراكبهم الباهرة إلا أهل العزائم القاهرة، تهب رياحها من جانب الشرق الواضح فتسير بأفلاكها إلى ساحل البحر الناجح ، أهلها صادقون فى الافعال مؤمنون فى الاقوال والاحوال ، سكانها العباد والصالحون والزهاد ، يستخرج من هذا

البحر در البقاء ومراجين النقاء ، يتحلى بها من تطهر وتزكى وتخلق وتحقق وتجلى ، قد وكل الله ملائكة العذاب بحفظ هذا البحر العجاب ، دور محيط هذا البحر مسيرة خمسة آلاف سنة ، وقد أخذ سرداً فى العرض غير ممتد فى الأرض وأما البحر الممروج ذو الدر الممزوج ، لونه أصفر أمواجه معقودة كالصخر الأحمر ، لا يقدر كل على شربه ولا يطيق كل أحد يسير أن فيه سر به ، هو بحر ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، صعب المسلك كثير العطب والمهلك ، لا يسلم فيه إلا آحاد المؤمنين ولا يحكم أمره إلا أفراد المعتقدين ، وكل من ركب فى فلكه من الكفار فإنه يئول به إلى الغرق والانكسار ، وأكثر مراكب المسلمين تتبعها قروش هذا البحر المعين ، لا يعمر مراكبه إلا أهل العقول الوافية المؤيدة بالنقول الشافية ، وأما من سواهم فإنه يستكثر الغرامة ويطلب الفائدة فى الإقامة ، حيتان هذا البحر كثيرة الملل عظيمة الحيل ، لا تصاد إلا بشباك الإبريسم بقينه ولا يتولى ذلك إلا رجال كانوا مؤمنين ، يستخرج منه لؤلؤ لاهوتى المحتد ومرجان ناسوتى المشهد ، وفوائد هذا البحر لا يحصى عددها ولا يعرف أمدها ، وعطبه شديد الخسران مؤثر فى الأبدان والأديان ، سكان هذا البحر أهل الصديقية الصغرى ، والحاملون لغذاء ، أهل الصديقية الكبرى ، رأيت سكان هذا البحر سليمى الاعتقاد بحسن الظن من فتن الانقياد ، وقد وكل الله ملائكة التسخير بحفظ هذا البحر الغزير ، هم أهل إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وهذا البحر يضرب موجه على ساحل هذه البلدة القريبة وينتفع أهلها بحيتانه العجيبة ، قطر محيط هذا البحر مسيرة سبعة آلاف سنة ، وقد يقطعها المسافر فى مثل السنة ، متفرعة فى طول الدار غامرة الخراب منها والعمار . وأما البحر المالح فهو المحيط العام والدائر التام ، ذو اللون الأزرق والغور الأعمق ، يموت عطشا من شرب من مائه ويهلك فناء ، هبت رياح الأزل فى مغاربه فتصادمت الأمواج فى جوانبه ، فلا يسلم فيه السابح ولا يهتدى فيه

بالغادى والرائح ، إلا إذا أيدته أيادى التوفيق ، فعادت سفينته شرعا فى ذلك البحر العميق ، مراكبه لا تسير إلا فى الأسحار وأرياحه لا تهب إلا جملة من اليمـــين واليسار ، سفينته من ألواح الناموس معمورة وبمسامير القاموس مسمورة ضلت الأفكار فى طريقه وحارت الألباب فى عميقه ، مراكبه كثيرة العطب سريعة الهلاك والنصب ، لا يسلم فيه إلا الآحاد ولا ينجو من مهالكه إلا الأفراد ، قروش هـذا البحر تبتلع المراكب والراكب وتستهلك المقيم والذاهب ، يجد المسافر فيه على كل مسلك ألف مهلك ، ينبهم الحرام فيه بالحلال ويختلط المنشأ فيه بالمآل ، ليس لقعره إنتهاء ولا لآخره إبتداء ، لا يقدر على الخوض فيه إلا أهل العزائم الوافية ولا يتناول من دره إلا أهل الهمم العالية ، أمره مبنى على حقيقة المحصول متأسس عليه الفروع والأصول ، أمواجه متلاطمة ودفقاته متصادمة وأهواله متعاظمة وسحائب غيثه متراكمة، ليس لأهله دليل غير الكواكب الزاهرات ولا مرسى لمراكبه غير التيه فى الظلمات ، حيتانه على هيئة سائر المخلوقات وهوامه بأنواع السموم نافثات ، خلق الله تعالى حشرات هذا البحر من نور اسمه القادر وجعلها حقيقة حكمة الأمر الظاهر ، يستخرج الغواص من هـذا البحر إذا سلم من مده والجزر ، يتيمات الدرر فى أصداف الخفر ، جعل الله سكانه من الملأ الأعـــلى طائفة لهم اليد الطولى ووكل بحفظهم ملائكة الإيحاء .

اعلم أنه لما نظر الله تعالى فى القدم إلى الياقوتة الموجودة فى العدم ، كان لهذا البحر نور ذلك الياقوت وبهجته ، وكان العذب من جداوله وصورته وهيئته ، فلما صارت للياقوتة ماء صار البحران ظلمة وضياء ، فلما مرج البحرين يلتقيان جعل الله بينهما ماء الحياة برزخا لا يبغيان ، وهذا الماء فى مجمع البحرين وملتقى الحكمين والأمرين ، وهو عين ينبع جاريا فى جانب المغرب

هذه البلد المسمى بالأزل المغرب ، فمن خاصية هذا البحر المبين الذى خلقه الله فى مجمع البحرين أن من شرب منه لا يموت ومن سبح فيه أكل من كبد البهموت ، والبهموت حوت فى البحر المالح هذا المذكور أولا ، جعله الله الحامل للدنيا وما فيها ، فإن الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرنى ثور يسمى البرهوت وجعل الثور على ظهر حوت فى هذا البحر يسمى البهموت ، وهو الذى أشار إليه الحق تعالى بقوله ﴿وما تحت الثرى﴾(١) ومجمع البحرين هذا هو اجتمع فيه موسى عليه السلام بالخضر على شطه ، لأن الله تعالى كان قد وعده بأن يجتمع بعبد من عباده على مجمع البحرين ، فلما ذهب موسى وفتاه حاملا لغدائه ووصلا إلى مجمع البحرين لم يعرفه موسى عليه السلام إلا بالحوت الذى نسيه الفتى على الصخرة وكان البحر مــــدأ فلما جزر بلغ الماء إلى الصخرة فصارت حقيقة الحياة فى الحوت ، فاتخذ سبيله فى البحر سربا ، فعجب موسى من حياة حوت ميت قد طبخ على النار، وهذا الفتى اسمه يوشع بن نون ، وهو أكبر من موسى عليه السلام فى السن بسنة شمسية وقصتهما مشهورة. وقد فصلت ذلك فى رسالتنا الموسومة : [مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب] فليتأمل فيه .
سافر الإسكندر ليشرب من هذا الماء إعتمادا على كلام أفلاطون أن من شرب من ماء الحياة فإنه لا يموت ، لأن أفلاطون كان قد بلغ هذا المحل وشرب من هذا البحر فهو باق إلى يومنا هذا فى جبل يسمى دراوند ، وكان أرسطو تلميذ أفلاطون وهو أستاذ الإسكندر صحب الإسكندر فى مسيره إلى مجمع البحرين ، فلما وصل إلى أرض الظلمات ساروا وتبعهم نفر من العسكر وأقام الباقون بمدينة تسمى ثبت برفع الثاء المثلثة والباء الموحدة وإسكان التاء المثناة من فوق وهو حد ما تطلع الشمس عليه ، وكان فى جملة من صحب الإسكندر من عسكره الخضر عليه السلام ، فساروا مدة لا يعلمون عددها ولا يدركون

(١) سورة طه من الآية ٦ .

أمدها وهم على ساحل البحر ، وكلما نزلوا منزلا شربوا من الماء ، فلما ملوا من طول السفر أخذوا فى الرجوع إلى حيث أقام المعسكر ، وقد كانوا مروا بمجمع البحرين على طريقهم من غير أن يشعروا به ، فما أقاموا عنده ولا نزلوا به لعدم العلامة ، وكان الخضر عليه السلام قد ألهم بأن أخذ طيراً فذبحه وربطه على ساقه ، فكان يمشى ورجله فى الماء ، فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب عليه ، فأقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيه ، فكتمه عن الإسكندر وكتم أمره إلى أن خرج ، فلما نظر أرسطو إلى الخضر عليه السلام علم أنه قد فاز من دونهم بذلك ، فلزم خدمته إلى أن مات ، واستفاد من الخضر هو والإسكندر علوما جمة .

اعلم أن عين الحياة مظهر الحقيقة الذاتية من هذا الوجود فافهم هذه الإشارات وفك رموز هذه العبارات ولا تطلب الأمر إلا من عينك بعد خروجك من إنيتك ، لعلك تفوز بدرجة ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾(١) ويسمح لك الوقت بأن تصير من حزبهم فتكون المراد بموسى وخضره ، وبالإسكندر والظلمات ونهره .

واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم ، خلقه الله تعالى من حقيقة ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾(٢) فهو روح الله ، فلهذا عاش إلى يوم القيامة ، اجتمعت به وسألته ، ومنه أروى جميع ما فى هذا البحر المحيط .

واعلم أن هذا البحر المحيط المذكور ، وما كان منه منفصلا عن جبل « ق » مما يلى الدنيا فهو مالح وهو البحر المذكور ، وما كان منه متصلا بالجبل فهو وراء المالح ، فإنه البحر الأحمر الطيب الرائحة ، وما كان من وراء جبل « ق »

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩ .
(٢) سورة ص آية ٧٢ .

بالجبل الأسود فإنه البحر الأخضر ، وهو مر الطعم كالسم القاتل ، ومن شرب منه قطرة هلك ، وفنى لوقته ؛ وما كان منه وراء الجبل بحكم الانفصال والحيطة والشمول بجميع الموجودات فهو البحر الأسود الذى لا يعلم له طعم ولا ريح ، ولا يبلغه أحد ، بل وقع به الإخبار ، فعلموا انقطع عن الآثار فكتم ، وأما البحر الأحمر الذى نشره كالمسك الأذفر فإنه يعرف بالبحر الأسمى ذى الموج الأسمى ، رأيت على ساحل هذا البحر رجالا مؤمنين ، ليس لهم عبادة إلا تقريب الخلق إلى الحق ، قد جبلوا على ذلك ، فمن عاشرهم أو صاحبهم عرف الله بقدر معاشرتهم ، وتقرب إلى الله بقدر مسايرتهم ، وجوههم كالشمس الطالع والبرق اللامع ، يستضىء بهم الحائر فى تيهات القفار ، ويهتدى بهم التائه فى غيابات البحار ، إذا أرادوا السفر فى هذا البحر نصبوا شركا لحيتانه ، وإذا اصطادوها ركبوا عليها ، لأن مراكب هذا البحر حيتانه ، ومكتسبه لؤلؤه ومرجانه ، ولكنهم عند أن يستووا على ظهر هذا الحوت ينتعشون بطيب رائحة البحر فيغمى عليهم ، فلا يفيقون إلى أنفسهم ، ولا يرجعون إلى محسوسهم ما داموا راكبين فى هذا البحر ، فتسير بهم الحيتان إلى أن يأخذوا حدها من الساحل ، فتقذف بهم فى منزل من تلك المنازل ، فإذا وصلوا إلى البر وخرجوا من ذلك البحر ، رجعت إليهم عقولهم ، وبان لهم محصولهم ، فيظفرون بعجائب وغرائب لا تحصر ، أقل ما يعـــبر عنها : ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

واعلم أن أمواج هـذا البحر كل موجة منها تملأ ما بين السماء والأرض ألف ألف مرة إلى مالا ينتهى ، ولولا أن عالم القدرة يسع هذا البحر لما كان يوجد فى الوجود بأسره ، وكل الله الملائكة الكروبيين بحفظ هذا البحر ، فهم واقفون على شطه ، لا يستقر بهم قرار فى وسطه ، وليس فى هـذا البحر من السكان سوى دوابه والحيتان . وأما البحر الأخضر ، فإنه مر المذاق ، معدن

الهلاك والإغراق ، يوصف عند العلماء به بخير الصفات ، ويوسم عند عارفيه بأحسن السمات ، ليس فيه حوت ومن يركبه يموت ، ورأيته وعلى ساحله مدينة مطمئنة أمينة ، هى المدينة التى وصل إليها الخضر وموسى ﴿استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾(١) وذلك لأنهما لبسا ثياب الفقراء ، وتلك البلدة لا يمكن أن يأكل طعامها إلا الملوك والأمراء ، ثم إنى رأيت أهلها مشغوفين بركوب هذا البحر ، ومتعلقين بحب هذا الأمر ، حتى أنهم يجتمعون فى رأس كل سنة ، وهو يوم عيدهم ، فيركبون على نجائب متلونة بكل لون ، فأخضر وأحمر وأصفر وغير ذلك ، ويشدون نفوسهم عليها ، ويربطون عصابة على أعين النجب ، ثم يقربونها إلى جانب البحر ، فمن سار به نجيبه إلى البحر هلك هو والنجيب ، ومن أخذ به مركبه عن البحر صفحا فإنه يرجع حيا ، ولكنه فى نفسه كالخائب والمردود ، وكالمهجور والمطرود ، فلا يزال يقتنى نجيبا آخر ويربيه ويطعمه إلى دور السنة ، ثم يفعل ما فعل فى العام السابق إلى أن يتوفى فى البحر تعشقا منهم للبحر ، كما تتعشق الفراشة بنور السراج ، فلا تزال تلقى بنفسها فيه إلى أن تفنى وتهلك فيه . وأما البحر السابع فهو الأسود القاطع ، لا يعرف سكانه ، ولا يعلم حيتانه ، فهو مستحيل الوصول غير ممكن الحصول ، لأنه وراء الأطوار وآخر الأكوار والأدوار ، لا نهاية لعجائبه ، ولا آخر لغرائبه ، قصر عنه المدى فطال ، وزاد على العجائب حتى كأنه المحال ، فهو بحر الذات الذى حازت دونه الصفات ، وهو المعدوم والموجود والموسوم والمفقود والمعلوم والمجهول والمحكوم والمنقول والمختوم والمعقول ، وجوده فقدانه ، وفقده وجدانه ، أو محيط بآخره ، وباطنه مستور على ظاهره ، لا يدرك ما فيه ، ولا يعلمه أحد فيستوفيه ، فلننقبض العنان عن الخوض فيه والبيان ﴿والله يقول الحق وهو يهدى السبيل﴾(٢) وعليه التكلان .

---

(١) سورة الكهف آية ٧٧ .

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

الباب الثالث والستون : فى سائر الأديان والعبادات ونكتة جميع الأحوال والمقامات

إعلم أن الله تعالى إنما خلق جميع الموجودات لعبادته ، فهم مجبولون على ذلك ، مفطورون عليه من حيث الأصالة ، فما فى الوجود شىء إلا وهو يعبد الله تعالى بحاله ومقاله وفعاله ، بل بذاته وصفاته ، فكل شىء فى الوجود مطيع لله تعالى ، لقوله تعالى للسموات والأرض ﴿ ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾(١) وليس المراد بالسموات إلا أهلها ، ولا بالأرض إلا سكانها ، وقال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾(٢) ثم شهد لهم النبى ﷺ أنهم يعبدونه بقوله « كل ميسر لما خلق له »(٣) لأن الجن والإنس مخلوقون لعبادته وهم ميسرون لما خلقوا له ، فهم عباد الله بالضرورة ، ولكن تختلف العبادات لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات ، لأن الله تعالى متجل باسمه المضل . كما هو متجل باسمه الهادى ، فكما يجب ظهور أثر اسمه المنعم ، كذلك يجب ظهور أثر اسمه المنتقم ، واختلف الناس فى أحوالهم لاختلاف أرباب الأسماء والصفات ، قال الله تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة ﴾(٤) يعنى عباد الله مجبولين على طاعته من حيث الفطرة الأصلية، ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾(٥) يعبده من اتبع الرسل من حيث اسمه الهادى ، وليعبده من يخالف الرسل من حيث اسمه المضل ، فاختلف الناس وافترقت الملل وظهرت النحل ، وذهبت

---

(١) سورة فصلت آية ٤ .
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٣) حديث كل ميسر لما خلق له .
(٤) سورة البقرة آية ٢١٣ .
(٥) سورة البقرة آية ٢١٣ .

كل طائفة إلى ما علمته أنه صواب ، ولوكان ذلك العلم عند غيرها خطأ ، ولكن حسنه الله عندها ليعبدوه من الجهة التى تقتضيها تلك الصفة المؤثرة فى ذلك الأمر ، وهذا معنى قوله ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾(١) فهو الفاعل بهم على حسب ما يريده مراده ، وهو عين ما اقتضته صفاته ، فهو سبحانه وتعالى يجزيهم على حسب مقتضى أسمائه وصفاته ، فلا ينفعه إقرار أحد بربوبيته ولا يضره جحود أحد بذلك ، بل هو سبحانه وتعالى يتصرف فيهم على ما هو مستحق لذلك من تنوع عباداته التى تنبغى لكماله ، فكل من فى الوجود عابد لله تعالى ، مطيع لقوله تعالى ﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾(٢) لأن من تسبيحهم ما يسمى مخالفة ومعصية وجحوداً وغير ذلك ، فلا يفقهه كل أحد ، ثم إن النفى إنما وقع على الجملة ، فصح أن يفقهه البعض فقوله ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾(٣) يعنى من حيث الجملة ، فيجوز أن يفقهه بعضهم .

ثم إعلم أن الله تعالى لما أوجد هذا الوجود ، وأنزل آدم من الجنة ، وكان آدم ولياً قبل نزوله إلى الدنيا ، فلما نزل إلى الدنيا آتاه الله تعالى النبوة ، لأن النبوة تشريع وتكليف ، والدنيا دار التكليف ، بخلاف الجنة ، فإنه كان بها وليا ، لأنها دار الكرامة والمشاهدة ، وذلك هو الولاية ، ثم لم يزل أبونا آدم وليا فى نفسه إلى أن ظهرت ذريته ، فأرسل إليهم ، وكان يعلمهم ما أمره الله تعالى به ، وكانت له صحف أنزلها الله عليه ، فمن تعلم من أولاده قراءة تلك الصحف آمن بالضرورة لما فيها من البيان الذى لا يمكن أن يرده متأمل ، فهؤلاء

---

(١) سورة هود آية ٥٦ .
(٢) سورة الإسراء آية ٤٤ .
(٣) « « « ٤٤ .

الذين اتبعوه من ذريته ، ومن اشتغل بلذاته عن تعلم قراءة تلك الصحف ، واتبع هواه ، آلت به ظلمة الغفلة إلى الغرور بالدنيا ، ثم آل به ذلك إلى الإنكار وعدم الإيمان بما في الصحف مما أنزله الله على آدم عليه السلام ، وهؤلاء هم الكفار ، ثم لما توفى آدم عليه السلام افترقت ذريته ، فذهبت طائفة ممن كان يؤمن بقرب آدم عليه السلام من الله تعالى إلى أن يصور شخصا من حجر على صفة آدم ، ليحفظ حرمته بالخدمة له ، ولقيم ناموس المحبة بمشاهدة شخصه على الدوام ، لعل ذلك يكون مقربا له إلى الله تعالى ، لأنه يعلم أن خدمة آدم في حال حياته كان مقربا له إلى الله تعالى ، فظن أنه لو خدم شخص آدم كان كذلك ، ثم تبعتها طائفة من بعدها ، فضلوا في الخدمة فعبدوا الصورة نفسها ، فهؤلاء هم عبدة الأوثان ثم ذهبت طائفة أخرى إلى القياس بعقولهم ، فزيفوا عبدة الأوثان وقالوا : الأولى أن نعبد الطبائع الأربعة ، لأنها أصل الوجود ، إذ العالم مركب من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة ، فعبادة الأصل أولى من عبادة الفرع ، لأن الأوثان فرع العابد ، لأنها تحتها فهو أصلها فعبدوا الطبائع ، وهؤلاء هم الطبيعيون ، ثم ذهبت طائفة إلى عبادة الكواكب السبعة ، فقالوا : إن الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ليس شيء منها في نفسه له حركة اختيارية فلا فائدة في عبادتها ، والأولى عبادة الكواكب السبعة وهي : زحل ، والمشترى ، والمريخ . والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، لأن كل واحد من هؤلاء مستقل بنفسه سائر في فلكه ، يتحرك تحركة مؤثرة في الوجود تارة نفعا وتارة ضرأ فالأولى عبادة من له التصرف ، فعبدوا الكواكب وهؤلاء هم الفلاسفة . وذهبت طائفة إلى عبادة النور والظلمة لأنهم قالوا : إن اختصاص الأنوار بالعبادة تضييع للجانب الثاني ، لأن الوجود منحصر من نور وظلمة فالعبادة تضييع لهؤلاء أولى ، فعبدوا النور المطلق حيث كان من غير اختصاص بنجم أو غيره ، وعبدوا الظلمة المطلقة المتجلية حيث كانت ، فسموا النور يزدان ،

وسموا الظلمة أهرمن ، وهؤلاء هم الثانوية . ثم ذهبت طائفة إلى عبادة النار لأنهم قالوا : إن مبنى الحياة على الحرارة الغريزية وهى معنى وصورتها الوجودية هى النار ، فهى أصل الوجود وحده ، فعبدوا النار وهؤلاء هم المجوس ، ثم ذهبت طائفة إلى ترك العبادة رأسا زعما بأنها لا تفيد ، وإنما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة الإلهية على ما هو الواقع ، فما ثم إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وهؤلاء هم الدهريون ويسمون بالملاحدة أيضا . ثم إن أهل الكتاب متفرقون فبراهمة وهؤلاء يزعمون أنهم على دين إبراهيم وأنهم من ذريته ولهم عبادة مخصوصة ، ويهود وهؤلاء الموسويون ، ونصارى هؤلاء العيسويون، ومسلمون وهم المحمديون ، فهؤلاء عشر ملل ، وهم أصول الملل المختلفة ، وهى لا تتناهى لكثرتها ، ومدار الجميع على العشر الملل ، وهم الكفار والطبائعية والفلاسفة والثانوية والمجوس والبراهمة والدهرية واليهود والنصارى والمسلمون ، وما ثم طائفة من هذه الطوائف إلا وقد خلق الله منها ناسا للجنة وناسا للنار ،ألا ترى أن الكفار فى الزمن المتقدم من النواحى التى لم تصل إليها دعوة رسل ذلك الوقت منقسمون على عامل خير جزاه الله بالجنة ، وعامل شر جزاه الله بالنار ؟ وكذلك أهل الكتاب ، فالخير قبل نزول الشرائع ما قبلته القلوب وأحبته النفوس واستبشرت به الأرواح ، وبعد نزول الشرائع ما تعبد الله به عباده ، والشر قبل نزول الشرائع ما قبلته القلوب وكرهته النفوس وتألمت به الأرواح ، وبعد نزول الشرائع ما نهى الله عنه عباده . فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغى أن يعبد . لأنه خلقهم لنفسه لا لهم ، فهم له كما يستحق ثم إنه سبحانه وتعالى أظهر فى هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى فى جميعها بذاته فعبدته جميع الطوائف .

فأما الكفار فإنهم عبدوه بالذات ، لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره والكفار من جملة الوجود وهو حقيقتهم فكفروا أن يكون

لهم رب لأنه تعالى حقيقتهم ولا رب له بل هو الرب المطلق ، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التى هو عينها ، ثم من عبد منهم الوثن فلسر وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج فى كل فرد من أفراد ذرات الوجود ، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التى يعبدونها ، فما عبدوا إلا الله ، ولم يفتقر فى ذلك إلى علمهم ولا يحتاج إلى نياتهم ، لأن الحقائق ولو طال إخفاؤها لا بد لها أن تظهر على ساق بما هو الأمر عليه ، وذلك سر إتباعهم للحق فى أنفسهم ، لأن قلوبهم شهدت لهم بأن الخير فى ذلك الأمر ، فانعقدت عقائدهم على حقيقة ذلك وهو عند ظن عبده به ، وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ استفت قلبك ولو أفتوك المفتون ﴾(١) هذا على تأويل عموم القلب . وأما على الخصوص فما كل قلب يستفتى ، ولا كل قلب يفتى بالصواب ، فهذا يراد به بعض القلوب لا كلها ، فتلك اللطيفة الاعتقادية بحقيقة الأمر الذى هم فاعلوه قادتهم إلى ظهور حقيقة الأمر على ذلك المنهج فى الآخرة ، وقال تعالى ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾(٢) يعنى فى الدنيا والآخرة ، لأن الاسم لا ينفك عن المسمى فهو سماهم بأنهم فرحون ووصفهم بهذا الوصف ، والوصف غير مغاير للموصوف ، بخلاف ما لو قال : فرح كل حزب بما لديهم ، كان هذا صيغة الفعل ، ولو قال : يفرح على صيغة المضارع كان يقتضى الإنصرام ، وأما الاسم فهو لدوام الاستمرار ، فهم فرحون فى الدنيا بأفعالهم ، وفرحون فى الآخرة بأحوالهم ، فهم دائمون فى اللوح بما لديهم ، ولهذا لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه بعد إطلاعهم على ما ينتجه من العذاب لما وجدوه من اللطيفة الملذوذة فى ذلك ، وهى سبب بقائهم فيه ، فإن الحق تعالى من رحمته إذا أراد تعذيب عبد بعذاب فى الآخرة أوجد له فى ذلك العذاب لذة غريزية يتعشق بها جسد المعذب لئلا يصح منه الالتجاء إلى الله تعالى

---

(١) حديث استفت قلبك .

(٢) سورة الروم آية ٣٢ .

والاستعاذة به من العذاب ، فيبقى فى العذاب ما دامت تلك اللذة موجودة له ، فإذا أراد الحق تخفيف عذابه فقده تلك اللذة فيضطر إلى الرحمة ، وهو تعالى شأنه أنه يجيب المضطر إذا دعاه ، فحينئذ يصح منه الالتجاء إلى الله تعالى والاستعاذة به ، فيعيذه الحق من ذلك ، فعبادة الكفار له عبادة ذاتية ، وهى وإن كانت تئول بهم إلى السعادة فإنها طريق الضلال لبعد حصول سعادتها ، فإنه لا تنكشف لصاحبها الحقائق إلا بعد خوض طباق النار الأخروية جميعها جزاء بما خاض فى الدنيا طباق النار الطبيعية بالأفعال والأحوال والأقوال على مقتضى البشرية ، فإذا استوفى ذلك قطع طريقه إلى الله تعالى ، لأنه نودى من بعد فيصل ذلك إلى سعادته الإلهية ، فيفوز بما فاز به المقربون من أول قدم ، لأنهم نودوا من قرب فافهم .

وأما الطبائعية فإنهم عبدوه من حيث صفاته الأربع ، لأن الأربعة الأوصاف الإلهية التى هى الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، أصل بناء الوجود ، فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مظاهرها فى عالم الأكوان ، فالرطوبة مظهر الحياة ، والبرودة مظهر العلم ، والحرارة مظهر الإرادة ، واليبوسة مظهر القدرة ، وحقيقة هذه المظاهر ذات الموصوف بها سبحانه وتعالى ؛ فلما لاح لسائر أرواح الطبيعيين تلك اللطيفة الإلهية الموجودة فى هذه المظاهر ، وعاينوا أثر أوصافه الأربعة الإلهية ثم باشروها فى الوجود على حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة ، علمت القوابل من حيث الاستعداد الإلهى أن تلك الصفات معان لهذه الصور ، أو قل أرواح لهذه الأشباح ، أو قل ظواهر لهذه المظاهر ، فعبدت هذه الطبائع لهذا السر فمنهم من علم ومنهم من جهل ، فالعالم سابق والجاهل لاحق ، فهم عابدون للحق من حيث الصفات ، ويئول أمرهم إلى السعادة كما آل أمر من قبلهم إليها بظهور الحقائق التى بنى أمرهم عليها .

وأما الفلاسفة فإنهم عبدوه من حيث أسمائه سبحانه وتعالى ، لأن النجوم

مظاهر أسمائه وهو تعالى حقيقتها بذاته ، فالشمس مظهر اسمه الله ، لأنه الممد بنوره جميع الكواكب ، كما أن الاسم الله تستمد جميع الأسماء حقائقها منه ، والقمر مظهر اسمه الرحمن . لأنه أكمل الكواكب يحتمل نور الشمس ، كما أن الاسم الرحمن أعلى مرتبة فى الاسم الله من جميع الأسماء كما سبق بيانه فى بابه ، والمشترى مظهر اسمه الرب لأنه أسعد كوكب فى السماء ، كما أن اسم الرب أخص مرتبة فى المراتب لشموله كمال الكبرياء لاقتضائه المربوب ؛ وأما زحل فظهر الواحدية لأن كل الأفلاك تحت حطيته . كما أن الاسم الواحد تحت جميع الأسماء والصفات ؛ وأما المريخ فظهر القدرة لأنه النجم المختص بالأفعال القاهرية ، وأما الزهرة فظهر الإرادة ، لأنه سريع التقلب فى نفسه ، فكذلك الحق يريد فى كل آن شيئاً ؛ وأما عطارد فمظهر العلم لأن الكاتب فى السماء ، وبقية الكواكب المعلومة مظاهر أسمائه الحسنى التى تدخل تحت الإحصاء ؛ ومالا يعلم من الكواكب الباقية فإنها مظاهر أسمائه التى لا يبلغها الإحصاء ، فلما ذاقت ذلك أرواح الفلاسفة من حيث الإدراك الاستعدادى الموجود فيها بالفطرة الإلهية ، عبدت هذه الكواكب لتلك اللطيفة الإلهية الموجودة فى كل كوكب . ثم لما كان الحق حقيقة تلك الكواكب اقتضى أن يكون معبوداً لذاته فعبدوه لهذا السر ، فما فى الوجود شىء إلا وقد عبده ابن آدم وغيره من الحيوانات كالحرباء فإنها تعبد الشمس ، وكالجعل يعبد النتانة وغيرهما من أنواع الحيوانات . فما فى الوجود حيوان إلا وهو يعبد الله تعالى ، إما على التقييد بمظهر ومحدث ، وإما على الإطلاق ، فمن عبده على الإطلاق فهو موحد ، ومن عبده على التقييد فهو مشرك ، وكلهم عباد الله على الحقيقة لأجل وجود الحق فيها ، فإن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضى أن لا يظهر فى شىء إلا ويعبد ذلك الشىء ، وقد ظهر فى ذرات الوجود ، فمن الناس من عبد الطبائع وهى أصل العالم ، ومنهم من عبد الكواكب ، ومنهم من عبد المعدن ، ومنهم عبد النار ، ولم يبق

شيء فى الوجود إلا وقد عبد شيئاً من العالم ، إلا المحمديون فإنهم عبدوه من حيث الإطلاق بغير تقييد بشيء من أجزاء المحدثات، فقد عبدوه من حيث الجميع ثم تنزهت عبادتهم عن تعلقها بوجه دون وجه من باطن وظاهر ، فكان طريقهم صراط الله إلى ذاته ، فلهذا فازوا بدرجة القرب من أول قدم ، فهؤلاء الذين أشار إليهم الحق بقوله ﴿ أولئك ينادون من مكان قريب ﴾ بخلاف من عبده من حيث الجهة وقيده بمظهر كالطبائع أو كالكواكب أو كالوثن أو غيرهم ، فإنهم المشار إليهم بقوله ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾(١) لأنهم لا يرجعون إليه إلا من حيث ذلك المظهر الذى عبدوه من حيث هو ولا يظهر عليهم فى غيره ، وذلك عين البعد الذى نودوا إليه من حيث هو ، وبعد الوصول إلى المنزل يتحد من نودى من قريب ومن نودى من بعيد فافهم .

وأما الثنوية فإنهم عبدوه من حيث نفسه تعالى ، لأنه تعالى جمع الأضداد بنفسه ، شمل المراتب الحقية والمراتب الخلقية ، وظهر فى الوصفين بالحكمين ، وظهر فى الدارين بالنعتين ، فما كان منسوبا إلى الحقيقة الحقية فهو الظاهر فى الأنوار ، وما كان منسوبا إلى الحقيقة الخلقية فهو عبارة عن الظلمة ، فعبدوا النور والظلمة لهذا السر الإلهى الجامع للوصفين وللضدين والاعتبارين والحكمين كيف شئت من أى حكم شئت ، فإنه سبحانه يجمعه وضده بنفسه ، فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه فى نفسه سبحانه وتعالى ، فهو المسمى بالحق وهو المسمى بالخلق ، فهو النور والظلمة .

وأما المجوس فإنهم عبدوه من حيث الأحدية ، فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف ، كذلك النار فإنها أقوى الاستقصات وأرفعها ،

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها ، لا تقاربها طبيعة إلا وتستحيل إلى النارية لغلبة قوتها ، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا ويندرج فيها ويضمحل ، فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالى .

واعلم أن الهيولى قبل ظهورها فى ركن من أركان الطبائع التى هى النار والماء والهواء والتراب لها أن تلبس صورة أى ركن شاءت ، وأما بعد ظهورها فى ركن من الأركان فلا يمكنها أن تخلع تلك الصورة وتلبس غيرها ، فكذلك الأسماء والصفات فى عين الواحدية كل واحدة منهن لها معنى الثانى ، فالمنعم وهو المنتقم ، فإذا ظهرت الأسماء فى المرتبة الإلهية لا يفيد كل اسم إلا ما اقتضته حقيقته فالمنعم ضد المنتقم . فالنار فى الطبائع مظهر الواحدية فى الأسماء ؛ فلما انتشقت مشام أرواح المجوس لعطر هذا المسك زكمت عن شم سواه ، فعبدوا النار وما عبدوا إلا الواحد القهار .

وأما الدهرية فإنهم عبدوه من حيث الهوية ، فقال عليه الصلاة والسلام « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » .

وأما البراهمة فإنهم يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبى ولا من حيث رسول ، بل يقولون إن ما فى الوجود شىء إلا وهو مخلوق لله ، فهم مقرون بوحدانية الله تعالى فى الوجود ، لكنهم ينكرون الأنبياء والرسل مطلقا ، فعبادتهم للحق نوع من عبادة الرسل قبل الإرسال ، وهم يزعمون أنهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ويقولون إن عندهم كتابا كتبه لهم إبراهيم الخليل عليه السلام من نفسه من غير أن يقولوا إنه من عند ربه ، فيه ذكر الحقائق وهو خمسة أجزاء ، فأما الاربعة أجزاء فإنهم يبيحون قراءتها لكل أحد ، وأما الجزء الخامس فإنهم لا يبيحون إلا للآحاد منهم لبعد غوره ، وقد اشتهر بينهم أن من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لابد أن يئول أمره إلى الإســلام فيدخل فى دين

محمد ﷺ ، وهذه طائفة أكثر من يوجدون ببلاد الهند ، وثم ناس يتزيون بزيهم ويدعون أنهم براهمة وليسوا منهم ، وهم معروفون بينهم بعبادة الوثن ، فمن عبد منهم الوثن فلا يعد من هذه الطائفة عندهم ، وكل هذه الأجناس السابق ذكرها لما ابتدعوا هــذه التعبدات من أنفسهم كانت سببا لشقاوتهم ، ولو آل بهم الأمر إلى السعادة فإن الشقاوة ليست إلا ذلك البعد الذى يثبتون فيه قبل ظهور السعادة فهى الشقاوة فافهم . وأما من عبد الله على القانون الذى أمره به نبيه كائنا من كان من الأنبياء فإنه لا يشقى ، بل سعادته مستمرة تظهر شيئاً فشيئاً ، وما أتى على أهل الكتاب إلا أنهم بدلوا كلام الله وابتدعوا من أنفسهم شيئاً ، فكان ذلك الشىء سببا لشقاوتهم ، وهم فى الشقاوة على قدر مخالفتهم لأوامر الله تعالى وسعادتهم على قدر موافقتهم كتابه تعالى ، فإن الحق لم يرسل نبياً ولا رسولا إلى أمة إلا وجعل فى رسالته سعادة من تبعه منهم .

وأما اليهود فإنهم يتعبدون بتوحيد الله تعالى ثم بالصلاة فى كل يوم مرتين ، وسيأتى بيان سر الصلاة فى محله إن شاء الله تعالى ، ويتعبدون بالصوم ليوم كنورا ، إذ هو اليوم العاشر من أول السنة وهو يوم عاشوراء ، وسيأتى بيان سره أيضا ، ويتعبدون بالاعتكاف فى يوم السبت ، وشرط الاعتكاف عندهم أن لا يدخــل فى بيته شيئاً مما يتمول به ولا مما يوكل ، ولا يخرج منه شيئاً ، ولا يحدث فيه نكاحا ولا بيعا ولا عقداً ، وأن يتفرغ لعبادة الله تعالى لقوله تعالى فى التوارة ﴿ أنت وعبدك وأمتك لله تعالى ﴾ فى يوم السبت ، فلأجل هذا حرم عليهم أن يحدثوا فى يوم السبت شيئاً مما يتعلق بأمر دنياهم ، ويكون مأكوله مما جمعه يوم الجمعة ، وأول وقته عندهم إذا غربت الشمس من يوم الجمعة وآخره الاصفرار من يوم السبت .

وهذه حكمة جليلة فإن الحق تعالى خلق السموات والارضين فى ستة أيام وابتدأها فى يوم الأحد ثم استوى على العرش فى اليوم السابع وهو يوم السبت ،

فهو يوم الفراغ ، فلأجل هذا عبد الله اليهود بهذه العبادة فى هذا اليوم إشارة إلى الاستواء الرحمانى وحصوله فى هذا اليوم فافهم . ولو أخذنا فى الكلام على سر مأكولهم ومشروبهم الذى سنه لهم موسى ، أو لو أخذنا فى الكلام على أعيادهم وما أمرهم فيها نبيهم وفى جميع تعبداتهم وما فيها من الأسرار الإلهية خشينا على كثير من الجهال أن يغتروا به فيخرجوا عن دينهم لعدم علمهم بأسراره ، فلنمسك عن إظهار أسرار تعبدات أهل الكتاب ، ولنبين ما هو أفضل من ذلك وهو أسرار وتعبدات أهل الإسلام ، فإنها جمعت جميع المتفرقات ولم يبق شىء من أسرار الله إلا وقد هدانا إليه محمد ﷺ ، فدينه أكمل الأديان وأمته خير الأمم .

وأما النصارى فإنهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق تعالى ، فهم دون المحمديين ، وسببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبدوه فى عيسى ومريم وروح القدس ، ثم قالوا بعدم التجزئة ، ثم قالوا بقدمه على وجوده فى محدث عيسى ، وكل هذا تنزيه فى تشبيه لائق بالجانب الإلهى ، لكنهم لما حصروا ذلك فى هؤلاء الثلاثة نزلوا عن درجة الموحدين ، غير أنهم أقرب من غيرهم إلى المحمديين لأن من شهد الله فى الإنسان كان شهوده أكمل من جميع من شهد الله من أنواع المخلوقات ، فشهودهم ذلك فى الحقيقة العيسوية يئول بهم إذا انكشف الأمر على ساق أن يعلموا أن بنى آدم كمراء متقابلات يوجد فى كل منها ما فى الأخرى فيشهدون الله تعالى فى نفسهم فيوجدونه على الإطلاق فينقلبون إلى درجة الموحدين لكن بعد جوازهم على صراط البعد ، وهو التقييد والحصر المتحكم فى عقائدهم ، وتعبد الله النصارى بصوم تسعة وأربعين يوما يبتدأ فيه بيوم الأحد ويختم به ، وأباح لهم أن يصوموا بقية يوم الأحد فيخرج منهم ثمانية آحاد فيبقى أحد وأربعون يوما ، ذلك مدة صومهم . وكيفية صيامهم أن لا يأكلوا ما يقتات ثلاثا وعشرين ساعة من العصر إلى ما قبله بساعة وهى وقت الأكل ، ويجوز

لهم فيما بقى من الأوقات التى يصومون فيها أن يشربوا الخمر والماء ، وأن يأكلوا من الفواكه مالا يقوم مقام القوت وتحت كل نكتة من هذه سر من أسرار الله تعالى . ثم إن الله تعالى تعبدهم باعتكاف يوم الأحد وبأعياد تسمة لسنا بصدد ذكرها . وتحت كل لطيفة من هذه علوم جمه وإشارات شتى ، فلنقبض عن بيانها ولنذكر ما هو الأهم من بيان ما تعبد الله به المسلمين .

وأما المسلمون فاعلم أنهم كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾(١) لأن نبيهم محمدا ﷺ خير الأنبياء ، ودينه خير الأديان ، وكل من هو بخلافهم من سائر الأمم بعد نبوة محمد ﷺ وبعثه بالرسالة كائنا من كان فإنه ضال شقى معذب بالنار ، كما أخبر الله تعالى ، فلا يرجعون إلى الرحمة إلا بعد أبد الآبدين ، لسر سبق الرحمة الغضب ، وإلا فهم مغضوبون ، لأن الطريق التى دعاهم الله إلى نفسه بها طريق الشقاوة والغضب . والألم والتعب ، فحكمهم هالكي قال الله تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾(٢) وأى خسارة أعظم من فوت السعادة المنزلة لصاحبها فى درجة القرب الإلهى ، فكونهم نودوا من بعد هو خسارتهم وهو عين الشقاوة والعذاب الأليم ، ولا يعتقد بدينهم ولوكان صاحبه يصل بعيد مشقة لأنه دين شقاوة ، فما شقوا إلا باتباع ذلك الدين ألا ترى مثلا إلى من يعذب فى الدنيا ولو يوما واحداً بأنواع عذاب الدنيا وهو كخردلة وأقل من عذاب الآخرة ، كيف يكون شقيا بذلك العذاب ؟ فما بالك بمن يمكث أبد الآبدين فى نار جهنم ، وقد أخبرك الله تعالى أنهم باقون فيها مادامت السموات والأرض ، فلا ينتقلون

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

لمنها إلى الرحمة إلا بعد زوال السموات والأرض ، فحينئذ يدور بهم الدور ويرجعون إلى الشيء الذى كان منه البدء وهو الله تعالى فافهم . والمسلمون كلهم سعداء بمتابعة محمد ﷺ ، بقوله : لما قال له الاعرابي : أرأيت إذا حللت الحلال وحرمت الحرام وأديت المفروضة ولم أزد على ذلك شيئاً ولم أنقص منه شيئاً ، أو كما قال هل أدخل الجنة ، فقال له النبي ﷺ : نعم ، ولم يوقفه بشرط ، بل أطلق بتصريح دخـــول الجنـة بذلك العمل فقط ، ومن حصل فى الجنة فقد فاز بأول درجة من درجات القرب ، قال الله تعالى ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾(١) فالمسلمون على الصراط المستقيم وهو الطريق الموصل إلى السعادة من غير مشقة والموحدون من المسلمين ، أعنى أهل حقيقة التوحيد على صراط الله . وهـذا الصراط أخص وأفضل من الاول ، فإنه عبارة عن تنوعات تجليات الحق تعالى لنفسه بنفسه ، والصراط المستقيم عبارة عن الطريق إلى الكشف عن ذلك ، فالمسلمون أهل التوحيد ، والعارفون أهل حقيقة وتوحيد ، وما عدا هؤلاء فكلهم مشركون ، سواء فيه جميع الملل التسع الذين ذكرناهم ، فلا موحد إلا المسلمون . ثم إن الله تعالى تعبد المسلمين من حيث اسمه الرب ، فهم مقتدون بأوامره ونواهيه ، لأن أول آية انزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾(٢) قرن الأمر بالربوبية لأنها محله ، ولذلك افترضت عليهم العبادات . لأن المربوب يلزمه عبادة ربه ، فجميع عـــوام المسلمين عابدون لله تعالى من حيث اسمه الرب لا يمكنهم أن يعبدوه من غير ذلك ، بخلاف العارفين فإنهم يعبدونه من حيث اسمه الرحمن لتجلي وجوده الساري فى جميع الموجودات عليهم فهم ملاحظون للرحمن . فهم يعبدونه من حيث المرتبة الرحمانية ، بخلاف المحققين فإن عبادتهم له سبحانه وتعالى من حيث اسمه الله لثنائهم عليه بما يستحقه من الاسماء والصفات التى اتصفوا بها ، لأن حقيقة الثناء أن تتصف بما وصفته به

---

(١) سورة آل عمران من آية ١٨٥ .

(٢) سورة العلق آية ١ .

من الاسم أو الصفة التى أثنيت عليه وحدته بها ، فهم عبـــاد الله المحققون ، والعارفون عباد الرحمن ، وعامة المسلمين عباد الرب ؛ فقـام المحققين الحمد لله ، ومقام العارفين ﴿ الرحمن على العرش استوى * له مافى السموات ومافى الأرض وما بينهما تحت الثرى ﴾(١) ومقام عامة المسلمين ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا * ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾(٢) وأعنى بعامـــة المسلمين جميع من دون العارفين من الشهداء والصالحين والعلماء والعاملين ، فإنهم عوام بنسبتهم إلى أهـل القرب الإلهى ، وهم المحققون الذين بنى الله أساس هذا الوجود عليهم ، وأدار أفلاك العوالم على أنفاسهم ، فهم محل نظر الحق من العوالم ، بل هم محل الله من الوجود ولا أريد بلفظ المحل الحلول ولا التشبيه ولا الجهة ، بل أريد به أنهم محل ظهور الحق تعالى بإظهار آثار أسمائه وصفاته فيهم وعليهم ، فهم المخاطبون بأنواع الأسرار ، وهم المصطفون لما وراء الأستار ، وجعل الله قواعـد الدين بل قواعـد جميع الأديان مبنية على أرض معارفهم ، فهى ملآنة من أنواع اللطائف لهم ، لا يعرفها إلا هم ، فكلامه سبحانه وتعالى عبارات لهم فيها إلى الحقائق إشارة ، ولأمره وتعبداته رموز ، لهم عندها من المعارف الإلهية كنوز ، ينقلهم الحق بمعرفة ماوصف لهم من مكانة إلى مكانة ، ومن حضرة إلى حضرة ، ومن علم إلى عيان ، ومن عيان إلى تحقق إلى حيث لا أين ، لجميع الخلق لهم كالآلة حال لتلك الأمانات التى جعلها الله تعـالى ملـكا لهذه الطائفـة ، فهم يحملون الأمانة مجازاً إليهم ، وهؤلاء يحملونها حقيقة لله تعـالى ، فهم محل المخاطبة من كلام الله تعالى ومورد الإشارات ومجـلى البيـان ، والباقون ملحقون بهم عـلى سبيل المجـاز ،

---

(١) سورة طه الآيتان ٥ ، ٦ ٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٣ ٠

فهم عباد الله الذين يشربون من صرف الكافور ، والباقون يخرج لهم من ذلك العين فكل على قدر كأسه قال الله تعالى ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ﴾(١) فعباد الله مع الله على الحقيقة ، والأبرار مع الله على المجاز ، والباقون مع الله على التبعية والحكم على الحقيقة ، فالكل مع الله كما ينبغى لله ، والكل عباد الله ، والكل عباد الرحمن ، والكل عباد الرب .

ثم إعلم أن الله تعالى جعل مطلق أمة محمد ﷺ على سبع مراتب : المرتبة الأولى : الإسلام : المرتبة الثانية : الإيمان . المرتبة الثالثة : الصلاح : المرتبة الرابعة : الإحسان: المرتبة الخامسة : الشهادة المرتبة السادسة : الصديقية: المرتبة السابعة : القربة وما بعد هذه المرتبة إلا النبوة ، وقد أنسد بابها بمحمد ﷺ .

ثم إن الإسلام مبنى على خمسة أصول : الأول : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . والثانى : إقامة الصلاة ، الثالث : إيتاء الزكاة . الرابع : صوم رمضان . الخامس : الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا(٢) .

وأما الإيمان فبنى على ركنين : الركن الأول : التصديق اليقينى بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وهذا التصديق اليقينى هو عبارة عن سكون القلب إلى تحقيق ما أخبره به من الغيب ، كسكونه إلى ما شاهده ببصره من الوجود فلا يشوبه ريب . الركن الثانى : الإتيان بما بنى الإسلام عليه(٣) .

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ٥ ، ٦ .

(٢) وضحها حديث ابن عمر فى أركان الإسلام الخمس « بنى الإسلام على خمس » رواه البخارى ومسلم .

(٣) فسرها حديث جبريل عليه السلام وفيه أن تؤمن بالله وملائكته . . الخ رواه الشيخان عن عمر رضى الله عنه .

وأما الصلاح فمبنى على ثلاثة أركان : الاول : هو الإسلام . والثانى : هو الإيمان . والثالث : دوام عبادة الله تعالى بشرط الخوف والرجاء فى الله تعالى .

وأما الإحسان فمبنى على أربعة أركان : الإسلام ، والإيمان ، والصلاح ، والركن الرابع : الاستقامة فى المقامات السبعة ، وهى التوبة ، والإنابة ، والزهد والتوكل ، والرضا ، والتفويض ، والإخلاص فى جميع الأحوال .

وأما الشهادة فمبنية على خمسة أركان : الإسلام ، والإيمان ، والصلاح ، والإحسان ، والركن الخامس : الإرادة ، وله ثلاثة شروط : الاول : إنعقاد المحبة لله تعالى من غير علة ، ودوام التذكر من غير فترة ، والقيام على النفس بالمخالفة من غير رخصة .

وأما الصديقية فمبنية على ستة أركان : الإسلام ، والإيمان ، والصلاح ، والإحسان ، والشهادة ، والركن السادس : المعرفة ، ولها ثلاث حضرات : الحضرة الاولى : علم اليقين . الحضرة الثانية : عين اليقين . الحضرة الثالثة : حق اليقين ، ولكل حضرة من جنسها سبعة شروط : الأول : الفناء . الثانى : البقاء . الثالث : معرفة الذات من حيث تجلى الأسماء . الرابع : معرفة الذات من حيث تجلى الصفات . الخامس : معرفة الذات من حيث الذات . السادس : معرفة الاسماء والصفات بالذات . السابع : الاتصاف بالأسماء والصفات .

وأما القربة فمبنية على سبعة أركان : الإسلام ، والإيمان ، والصلاح ، والإحسان ، والشهادة ، والصديقية ، والركن السابع : الولاية الكبرى ، ولها أربع حضرات : الحضرة الأولى : حضرة الخلة ، وهى مقام إبراهيم الذى من دخله كان آمنا والحضرة الثانية : حضرة الحب ، فيه برزت لمحمد ﷺ خلعة التسمى بحبيب الله . والحضرة الثالثة : حضرة الختام ، وهو المقام المحمدى ،

فيه رفع لواء الحمد . والحضرة الرابعة حضرة العبودية ، فيه سماه الله تعالى بعبده حيث قال ﴿ سبحان الله الذى أسرى بعبده ﴾(١) وفيه نبيٌ وأرسل إلى الخلق ليكون رحمة للعالمين ، فليس للمحقين من هذا المقام إلا التسمى بعبده سبحانه ، فهم خلفاء محمد ﷺ فى جميع الحضرات ، ماخلا ما اختص به فى الله مما انفرد به محتده عنهم ، فمن اقتصر من المحققين على نفسه فقد ناب عن محمد ﷺ فى مقام النبوة ، ومن يهدى إلى الله تعالى كساداتنا الكمل من المشايخ فقد ناب عنه فى مقام الرسالة ، ولا يزال هذا الدين قائما ما دام على وجه الأرض واحد من هذه الطائفة ، لأنهم خلفاء محمد ﷺ يذبون عن دينه كما يذب الراعى عن الغنم ، فهم إخوانه الذين أشار إليهم بقوله « واشوقاه إلى إخوانى الذين يأتون من بعدى »(٢) الحديث فهؤلاء أنبياء لا أولياء ، يريد بذلك نبوة القرب والإعلام والحكم الإلهى لا نبوة التشريع انقطعت بمحمد ﷺ ، فهؤلاء منبئون بعلوم الأنبياء من غير واسطة .

ثم إعلم أن الولاية عبارة عن تولى الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علما وعينا وحالا وأثر لذة وتصرفا ، ونبوة الولاية : إرجاع الحق العبد إلى الخلق ليقوم بأمورهم المصلحة لشئونهم فى ذلك الزمان على شرط الحال ، فيدبر الخلق بحاله ويجرهم إلى ما هو الأصلح لهم ، فمن دعا الخلق منهم إلى الله تعالى قبل محمد ﷺ كان رسولا ، ومن بعد محمد ﷺ كان خليفة لمحمد ﷺ ، لكنه لا يستقل فى دعواه بنفسه ، بل يكون تبعاً لمحمد ﷺ كمن مضى من ساداتنا الصوفية ، مثل أبى يزيد والجنيد والشيخ عبد القادر ومحي الدين ابن العربى وأمثالهم رضى الله عنهم ، ومن لم يدع إلى الله تعالى

---

(١) سورة الإسراء آية ١ .

(٢) الحديث [واشوقاه إلى إخوانى الذين يأتون من بعدى] .

بل وقف مع تدبير أمور الخلق على حسب ما ينبئه الله تعالى عن أحوالهم فهو نبي نبوة ولاية ثم هـذا إذا كان على طريق مستقلة من غير اتباع لمن قبله فهو نبي نبوة تشريع ، وقد انسد بابها بمحمد ﷺ ، فظهـــر من هـذا جميعه أن الولاية اسم للوجه الخاص الذى بين العبد وبين ربه ، ونبوة الولاية اسم للوجه المشترك بين الخلق والحق فى الولى ، ونبـــوة التشريع اسم لوجه الاستقلال فى متعبداته بنفسه من غير احتياج إلى أحد ، والرسالة اسم للوجه الذى بين العبد وبين سائر الخلق ، فعلم من هذا أن ولاية النبى أفضل من نبوته مطلقا ، ونبوة ولايته أفضل من نبوة تشريعه ، ونبوة تشريعه أفضل من رسالته ، لأن نبوة التشريع مختصة به ، والرسالة عامة بغيره ، وما اختص به من التعبدات كان أفضل مما تعلق بغيره ، فإن كثيراً من الأنبياء كانت نبوته نبوة ولاية ، كالخضر فى بعض الأقوال ، وكعيسى إذا نزل إلى الدنيا فإنه لا يكون له نبوة تشريع وكغيره من بنى إسرائيل ، وكثير منهم لم يكن رسولا بل كان نبياً مشرعا لنفسه ، ومنهم من كان رسولا إلى واحد ، ومنهم من كان رسولا إلى طائفة مخصوصة ، ومنهم من كان رسولا إلى الإنس دون الجن ، ولم يخلق الله رسولا إلى الأســـود والأحمر والأقرب والأبعد إلا محمداً ﷺ ، فإنه أرسل إلى سائر المخلوقات ، فلهذا كان رحمة للعالمين .

فإذا علمت هـذا فقل على الإطلاق فى إن الولاية أفضل من النبوة مطلقا فى النبى ، ونبوة الولاية أفضل من نبوة التشريع ، ونبوة التشريع أفضل من نبوة الرسالة ، واعلم أن كل رسول نبى تشريع وكل نبى تشريع نبى ولاية ، ونبوة التشريع أفضل من الولى مطلقا ، ومن ثم قيل : بداية النبى نهاية الولى فافهم وتأمله ، فإنه قـد خفى على كثير من أهل ملتنا ﴿والله يقول الحق وهو يهدى السبيل﴾(١) .

(١) سورة الأحزاب من الآية ٤ .

(فصل) نذكر فيه أسرار ما تعبدنا الله به على لسان نبيه محمد ﷺ ، وهى الخمس التى بنى الإسلام عليها ، ثم نتبعها بذكر أسرار الإيمان ، ونوضح أسرار المعانى التى جعلها الله فى مقام الصلاح من دوام العبادة خوفا ورجاء ، ثم نومىء إلى أسرار المقامات السبعة المذكورة فى الإحسان ، وهى التوبة والإنابة والزهد والتوكل والرضا والتفويض والإخلاص ، ونذكر طرفا من مقامات الشهادة ونومىء إلى شىء من علامات صاحب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، ونأتى بجمل مفصحة عن غرائب مقام الخلة والحب والختام والعبودية ، وكل ذلك عن طريق الإجمـــال والاختصار ، ولو أردنا تفصيل ذلك على طريق الإطناب احتجنا إلى مجلدات كثيرة ولسنا بصدد ذلك ، فأول ما نذكر سر كلمة الشهادة .

إعلم أنه لما كان الوجود منقسما بين خلق حكمه السلب والانعدام والفناء ، وحق حكمه الإيجاد والوجود والبقاء ، كانت كلمة الشهادة مبنية على سلب وهى لا ، وإيجاب وهى إلا ، معناه لا وجود لشىء إلا الله ، ولفظ إله فى قوله لا إله يراد به تلك الأوثان التى يعبدونها ، سماها الله تعالى إلها كما سموها موافقة لهم لسر وجوده فى أعيانها . فهى بوجوده آلهة حقا ، فكل معبود منها بظهور الحق فى عينه إله ، لأنه تعالى عينها وهو الله حيثما ظهر مستحق الالوهية ، ثم إفراد الجميع فى الاستثناء بقوله إلا الله ، يعنى ليست تلك الآلهة إلا الله فلا تعبدوا إلا الله على الإطلاق من غير تقييد بجهة ، فإنه كل الجهات . فما فى الوجود شىء إلا الله تعالى ، فهو تعالى عين جميع الموجودات ، ولما كان هذا الأمر موقوفا على الشهود والكشف قرنت به لفظة الشهادة ، فقيل أشهد بمعنى شهوداً أن لا فى الوجود شىء إلا الله ، وهنا أبحاث كثيرة فى الاستثناء ، هل هو متصل أو منقطع ؟ وهل الآلهة المنفية آلهة حق أم آلهة بطلان ؟ وعدم إفادة المعنى

فيما لو كانت بطلانا مع عدم جوازه فيما لو كانت حقا ، وكيف وجه الجميع والوفاق ومسائل شتى ، والكل منها أجوبة قاطعة وبراهين ساطعة فافهم .

وأما الصلاة : فإنها عبارة عن واحدية الحق تعالى ، وإقامتها إشارة إلى إقامة ناموس الواحدية بالاتصاف بسائر الأسماء والصفات ، فالطهر عبارة عن الطهارة من النقائص الكونية ، وكونه يشترط بالماء إشارة إلا أنها لا تزول إلا بظهور آثار الصفات الإلهية التى هى حياة الوجود ، لأن الماء سر الحياة ، وكون التيمم يقوم مقام الطهارة للضرورة إشارة للتزكى بالمخالفات والمجاهدات والرياضات ، فهذا لو تزكى عسى أن يكون فإنه أنزل درجة عمن جذب عن نفسه فتطهر عن نقائصها بماء حياة الأزل الإلهى ، وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله « آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها »(١) فآت نفسى تقواها إشارة إلى المجاهدات والمخالفات والرياضات ، وقوله « وزكها أنت خير من زكاها » إشارة إلى الجذب الإلهى لأنه خير من التزكى بالأعمال والمجاهدات ؛ ثم استقبال القبلة إشارة إلى التوجه الكلى فى طلب الحق ، ثم النية إشارة إلى إنعقاد القلب فى ذلك التوجه ، ثم تكبيرة الإحرام إشارة إلى أن الجناب الإلهى أكبر وأوسع مما عسى أن يتجلى به عليه فلا يقيده بمشهده ، بل هو أكبر من كل مشهد ومنظر ظهر به على عبده فلا إنتهاء له ، وقراءة الفاتحة إشارة إلى وجود كماله فى الإنسان لأن الإنسان هو فاتحة الوجود ، فتح الله به أقفال الموجودات ، فقراءتها إشارة إلى ظهور الأسرار الربانية تحت الأسرار الإنسانية ، ثم الركوع إشارة إلى شهود إنعدام الموجودات الكونية تحت موجود التجليات الإلهية ، ثم القيام عبارة عن مقام البقاء ، ولهذا يقول فيه سمع الله لمن حمده ، وهذه كلمة لا يستحقها العبد لأنها إخبار عن حال إلهى ، فالعبد فى القيام الذى هو إشارة

---

(١) الحديث [اللهم آت نفسى تقواها وزكها ..] .

إلى البقاء خليفة الحق تعالى ، وإن شئت قلت عينه ليرفع الإشكال ، فلهذا أخبر عن حال نفسه بنفسه ، أعنى ترجم عن سماع حقه ثناء خلقه ، وهو فى الحالين واحد غير متعدد، ثم السجود عبارة عن سحق آثار البشرية ومحقها باستمرار ظهور الذات المقدسة ، ثم الجلوس بين السجدتين إشارة إلى التحقق بحقائق الأسماء والصفات ، لأن الجلوس استواء فى القعدة ، وذلك إشارة إلى حقيقة قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾(١) ؛ ثم السجدة الثانية إشارة إلى مقام العبودية ، وهو الرجوع من الحق إلى الخلق ؛ ثم التجليات إشارة إلى الكمال الحق والخلق ، لأنه عبارة عن ثناء على الله تعالى وثناء على نبيه وعلى عباده الصالحين ، وذلك هو مقام الكمال ، فلا يكمل الولى إلا بتحققه بالحقائق الإلهية واتباعه لمحمد ﷺ وبتأدبه لسائر عباد الله الصالحين ، وهنا أسرار كثيرة قصدنا فيها الاختصار .

وأما الزكاة . فعبارة عن التزكى بإيثار الحق على الخلق ، أعنى يؤثر شهود الحق فى الوجود على شهود الخلق ، فإذا أراد أن يشهد نفسه يؤثر الحق فيشهده سبحانه ، وإذا أراد أن يتصف بصفات نفسه يؤثر الحق فيتصف بصفاته ، وإذا أراد أن يعلم ذاته فيجد الإنية يؤثر الحق فيعلم ذاته سبحانه وتعالى فيجد الهوية ، فهذه إشارة الزكاة . وأما كونه واحداً فى كل أربعين فى العين فلأن الوجود له أربعون مرتبة ، والمطلوب المرتبة الإلهية ، فهى المرتبة العليا وهى واحدة من أربعين ، وقد ذكرنا جميعها فى كتابنا المسمى بـ [الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم] فلينظر هناك .

وأما الصوم فإشارة إلى الامتناع عن استعمال المقتضيات البشرية ليتصف بصفات الصمدية ، فعلى قدر ما يمتنع أى يصوم عن مقتضيات البشرية تظهر آثار الحق فيه ، وكونه شهراً كاملا إشارة إلى الاحتياج إلى ذلك فى مدة الحياة

---

(١) سورة طـه آية ٥ .

الدنيا جميعها ، فلا يقول إنى وصلت فلا أحتاج إلى ترك مقتضيات البشرية ، وأن المحروق ليس للبشريات إليه سبيل ، فإن من فعل ذلك فهو مخدوع ممكور به ، فينبغى للعبد أن يلزم الصوم وهو ترك المقتضيات البشرية ما دام فى دار الدنيا ليفوز بالتمكين من حقائق الذات الإلهية وهنا أبحاث كثيرة فى نية الصوم والفطر والسحور والتراويح وغـــير ذلك مما اختص به رمضان فلنكتف بما مضى .

وأما الحج فإشارة إلى استمرار القصد فى طلب الله تعالى . والإحرام إشارة إلى ترك شهود المخلوقات . ثم ترك المخيط إشارة إلى تجرده عن صفاته المذمومة بالصفات المحمودة ، ثم ترك حلق الرأس إشارة إلى ترك الرياسة البشرية ، ثم ترك تقليم الأظافر إشارة إلى شهود فعل الله فى الأفعال الصادرة منه ، ثم ترك الطيب إشارة إلى التجرد عن الأسماء والصفات لتحققه بحقيقة الذات ، ثم ترك النكاح إشارة إلى التعفف عن التصرف فى الوجود ، ثم ترك الكحل إشارة إلى الكف عن طلب الكشف بالاسترسال فى هوية الأحدية ، ثم الميقات عبارة عن القلب ، ثم مكة عبارة عن المرتبة الإلهية ، ثم الكعبة عبارة عن الذات ، ثم الحجر الأسود عبارة عن اللطيفة الإنسانية ، واسوداده عبارة تلونه بالمقتضيات الطبيعية ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « نزل الحجر الأسود أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم »(١) فهذا الحديث عبارة عن اللطيفة الإنسانية لأنه مفطور بالأصالة على الحقيقة الإلهية ، وهى معنى قوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾(٢) ورجوعه إلى الطبائع والعادة والعلائق والقواطع هو اسوداده ، وكل ذلك خطايا بنى آدم ، وهذا قوله

---

(١) حديث الحجر الأسود وأنه نزل أشد بياضا من اللبن .

(٢) سورة التين آية ٤ .

﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾(١) فإذا فهمت فاعلم أن الطواف عبارة عما ينبغى له أن تدرك هويته ومحتده ومنشأه ومشهده، وكونه سبعة إشارة إلى الأوصاف السبعة التى بها تمت ذاته ، وهى الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ، وثم نكتة باقتران هذا العدد بالطواف، وهو أن يرجع من هذه الصفات إلى صفات الله تعالى فينسب حياته إلى الله ، وعلمه إلى الله ، وإرادته إلى الله ، وقدرته إلى الله وسمعه إلى الله ، وبصره إلى الله ، وكلامه إلى الله ، فيكون كما قال عليه الصلاة والسلام «أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به » الحديث ، ثم الصلاة مطلقا بعد الطواف إشارة إلى بروز الأحدية وقيام ناموسها فيمن تم له ذلك ، وكونها يستحب أن تكون خلف مقام إبراهيم إشارة إلى بروز الخلة ، فهو عبارة عن ظهور الآثار فى جسده ، فإن مسح بيده أبرأ الأكمه والأبرص، وإن مشى برجله طويت له الأرض ، وكذلك باقى أعضائه لتحلل الأنوار الإلهية فيها من غير حلول ، ثم زمزم إشارة إلى علوم الحقائق ، فالشرب منها إشارة إلى التضلع من ذلك ، ثم الصفا إشارة إلى التصفى من الصفات الخلقية ، ثم المروة إشارة إلى الارتواء من الشرب بكاسات الأسماء والصفات الإلهية ، ثم الحلق حينئذ إشارة إلى تحقق الرياسة الإلهية فى ذلك المقام ، ثم التقصير إشارة لمن قصر فنزل عن درجة التحقيق التى هى مرتبة أهل القربة ، فهو فى درجة العيان ، وذلك حظ كافة الصديقين ، ثم الخروج من الإحرام عبارة عن التوسع للخلق والنزول إليهم بعدم العندية فى مقعد الصدق ، ثم عرفات عبارة عن مقام المعرفة بالله والعلمين عبارة عن الجمال والجلال اللذين عليهما سبيل المعرفة بالله ، لأنهما الأدلاء على الله تعالى ، ثم المزدلفة عبارة عن شيوع المقام وتعاليه ، ثم المشعر الحرام عبارة عن تعظيم الحرمات الإلهية بالوقوف مع الأمور الشرعية ،

---

(١) سورة التين آية ٥ .

ثم منى عبارة عن بلوغ المنى لأهل مقام القربة ، ثم الجمار الثلاث عبارة عن النفس والطبع والعادة ، فيحصب كل منها بسبع حصيات ، يعنى يفنيها ويذهبها ويدحضها بقوة آثار السبع الصفات الإلهية ، ثم طواف الإفاضة عبارة عن دوام بالترقى لدوام الفيض الإلهى ، فإنه لا ينقطع بعد الكمال الإنسانى ، إذ لا نهاية لله تعالى ، ثم طواف الوداع إشارة إلى الهداية إلى الله تعالى بطريق الحال ، لأنه إيداع سر الله تعالى فى مستحقه ، فأسرار الله تعالى وديعة عند الولى لمن يستحقها لقوله تعالى ﴿ فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾(١) ، وهنا أسرار كثيرة فى ذكر الادعية المتلوة فى جميع تلك المناسك ، وتحت كل دعاء سر من أسرار الله تعالى أضربنا عن ذكرها قصداً للاختصار ، والله أعلم .

وأما الإيمان ، فهو أول مدارج الكشف عن عالم الغيب ، وهو المركب الذى يصعد براكبه إلى المقامات العلية والحضرات السنية ، فهو عبارة عن تواطؤ القلب على ما بعد عن العقل دركه ، فكل ما علم بالعقل لا يكون تواطؤ القلب على ذلك إيمانا ، بل هو علم نظرى مستفاد بدلائل المشهود ، فليس هو بإيمان لأن الإيمان يشترط فيه قبول القلب للشىء بغير دليل ، بل تصديق محض ، ولهذا نقص نور العقل عن نور الإيمان ، لأن طائر العقل يطير بأجنحة الحكمة وهى الدلائل ، ولا توجد الدلائل إلا فى الأشياء الظاهرة الأثر ، وأما الاشياء الباطنة فلا يوجد لها دليل ألبتة ، وطير الإيمان يطير بأجنحة القدرة ولا وقوف له عن أوج دون أوج ، بل يسرح فى جميع العوالم ، لأن القدرة محيطة بجميع ذلك . فأول ما يفيد الإيمان صاحبه أن يرى ببصيرته حقائق ما أخبر به ، فهذه الرؤية إنما كشفت بنور الإيمان ، ثم لا يزال يرقى

---

(١) سورة النساء آية ٦ .

بصاحبه إلى حقيقة التحقيق بما آمن به ، قال الله تعالى ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾(١) فلم يكن الريب منتفياً عن الكتاب إلا للمؤمنين ، لأنهم آمنوا به ولم يتوقفوا للنظر إلى الدليل ولم يتقيدوا بما قيدهم العقل ، بل قبلوا ما ألقى إليهم ، نقطعوا بوقوعه من غير ريب ، فمن توقف إيمانه بالنظر إلى الدلائل والتقليد بالعقل فقد ارتاب بالكتاب ، وما أسس علم الكلام إلا لأجل مدافعة الملاحدة وغيرهم من أهل البدع ، لا لأجل وقوع الإيمان في القلوب ، فالإيمان نور من أنوار الله تعالى يرى به العبد ما تقدم وما تأخر ، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى ﴾(٢) ولم يقل : اتقوا فراسة المسلم ولا العاقل ولا غيره ، بل قيد بالمؤمن .

ثم إعلم أن هذه الآية لها معان كثيرة لسنا بصدد ذكرها ولكننا بينا ما أشار إليه الألف واللام والميم والكاف والكتاب وغيره ، وأرجو أن يؤذن لي أن أكتب للقرآن تفسيراً يكون فيه بيان ما أوضح الله فيه من الأسرار المستغربة عن العقول فيحصل به تمام الوعد الإلهي لنبيه ﷺ بقوله ، ثم إن علينا بيانه ، ولابد من ذلك الكتاب ، فأرجو أن أكون أنا المشرف بهذه الخدمة لكتاب الله تعالى ، فقوله في الآية ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾(٣) أشار بذلك إلى حقيقة ألف لام ميم ، وذلك من طريق الاجمال إشارة إلى الذات والأسماء والصفات ﴿ ذلك الكتاب ﴾ والكتاب

---

(١) سورة البقرة الآيات من ١ — ٥ .
(٢) الحديث [اتقوا فراسة المؤمن] .
(٣) سورة البقرة الآيتان ٢ ، ٣ .

هو الإنسان الكامل ، فألف لام ميم بما أشار إليه هو حقيقة الإنسان ﴿ لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ الذين هم وقاية عن الحق والحق وقاية عنهم ، فإن دعوت الحق قد كنيت به عنهم ، وإن دعوتهم فقد كنيت بهم عنه ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ الغيب هو الله لأنه غيبهم آمنوا به أنه هويتهم وأنهم عينه ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ يعنى يقيمون بناموس المرتبة الإلهية فى وجودهم بالاتصاف بحقيقة الأسماء والصفات ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يعنى يتصرفون فى الوجود من ثمرة ما أنتجته هذه الأحدية الإلهية فى ذواتهم ، فكأنهم رزقوا ذلك بواسطة ملاحظة الأحدية الإلهية فيهم ، فهؤلاء السابقون المفردون المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه « سيروا سبق المفردون » واللاحقون هم ﴿ الذين يؤمنون ﴾ بالغيب يعنى ﴿ بما أنزل إليك ﴾ يا محمد مطلقا ﴿ وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾(١) فهؤلاء هم المؤمنون بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وأولئك هم المؤمنون بالله ، فهم يطلعون على حقيقة الملائكة والكتب وعلى إرسال الحق والرسل،ويرون اليوم الآخر ويشاهدون القدر خيره وشره من الله تعالى ، وليسوا بمؤمنين بجميع ذلك ، بل عالمون علما ومعرفة عيانية شهودية ، فهم يؤمنون بالله وحده ، لأن علمهم بما دونه علم شهودى فلا يكون إيمانا ، أن من شرط الإيمان أن يكون معلومه غيبا لا شهادة ، وليس عندهم غيب سا كنه الذات الإلهية ، فهم وإن كانوا من الله على شهود جلى عينى ، فهم يؤمنون بما لا يتناهى منه ، فإيمانهم مختص بالله تعالى وحده ، ومن لحق بهم المؤمنون بالله وبجميع هذه الأشياء المذكورة فى تعريف الإيمان بقـــوله : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى » هؤلاء لاحقون وأولئك هم السابقون .

(١) سورة البقرة الآيتين ٤ - ٥ .

وأما الصلاح ، فهو عبارة عن دوام العبادة ، وهى أعمال البر طلبا لثواب الله تعالى وخشية من عقابه ، فهو يعلم الأشياء لله تعالى ، ولكنه فيها يطلب منه الزيادة فى دنياه وآخرته ، فهو عابد لله خوفا من ناره وطمعا فى جنته ، يستحكم بذلك فى قلبه عظمة الحق ويأخذ من قلبه استحكام البعد عن معاصى الله تعالى ، فيتزكى عن الأمور المنهى عنها . وفائدة دوام العبادة تمكن النكتة الإلهية من سويداء قلب العابد ، فلو كشف الغطاء بعد ذلك لا ينخرم على الإطلاق فيكون فى حقائقه مقيداً بشرائعه وهذا ما أنتج له دوام العبادة بشرط الرجاء ، لأن عبادة الصالحين مشروطة بذلك ، بخلاف المحسن فإنه يعبد الله رهبة منه ورغبة فى عبادته ، والفرق بينه وبين الصالح أن الصالح يخاف من عذاب النار على نفسه ، ويطمع فى ثواب الجنة لنفسه ، فعلة خوفه ورجائه هى النفس ، والمحسن يرهب من جلال الله تعالى ويرغب فى جمال الله تعالى ، وعلة رغبته ورهبته جمال الله تعالى وجلاله ، فالمحسن مخلص لله والصالح صادق فى الله ، وشرط المحسن أن لا يجرى عليه كبيرة ، بخلاف الصالح فإنه لا يشترط له ذلك فافهم .

وأما الإحسان ، فهو اسم المقام يكون العبد فيه ملاحظا لآثار أسماء الحق وصفاته ، فيتصور فى عبادته كأنه بين يدى الله تعالى ، فلا يزال ناظراً إلى هذه الكينونة ، وأقل درجاته أن ينظر إلى أن الله ناظر إليه ، وهذه أول درجات المراقبة ، ولا يصح هذا إلا بشروط سبعة ، وهى التوبة والإنابة والزهد والتوكل والتفويض والرضا والإخلاص .

فأما التوبة فلأنه متى عاد إلى الذنب لم يكن مراقبا . ولا ناظراً إلى الحق إليه لأن من يرى أن الله يراه لا تطاوعه قواه ولا قلبه على المعصية ، فتوبة المحسن ومن تحت مقام الإحسان من الصالحين والمؤمنين والمسلمين إنما هى من الذنب وتوبة أهل مقام الشهادة من خاطر المعصية ، وتوبة أهل مقام الصديقية من أن

يخطر غير الله فى البال ، وتوبة المقربين من الدخول تحت حكم الحال فلا تملكهم الأحوال ، وذلك عبارة عن التحقق فى الاستواء الرحمانى من التمكين فى كل تلوين بمعرفة أهله .

وأما الإنابة فاشتراطها فى مقام الإحسان . لأنه ما لم يرجع عن النقائص هيبة من الله تعالى وينيب إلى الله تعالى لم تصح له المراقبة ، فإنابة المحسنين ومن تحتهم من الصالحين والمؤمنين والمسلمين إنما هى من جميع ما نهى الله عنه إلى الوقوف مع أوامره تعالى وحفظ حدوده ، وإنابة الشهداء رجوعهم عن إرادة نفوسهم إلى مراد الحق تعالى ، فهم تاركون لإرادتهم مريدون لما أراد الحق تعالى ، وإنابة الصديقين رجوعهم من الحق إلى الحق ، وإنابة المقربين رجوعهم من الأسماء والصفات إلى الذات ، وهذا مقام يشكل على الصديقين تحققه ، فكل منهم يزعم أنه مع الذات وليس الأمر كذلك ، فإنهم مع الأسماء والصفات ، لأن سكرتهم بخمر الواحدية أخذتهم عن تعقل ذلك وإن قلت إنهم مع الذات فقيد وقل بواسطة الأسماء والصفات ، بخلاف المحققين فإنهم مع الذات من غير تقييد بل بالذات فى الذات مع الذات ، والمحققون هم أهل مقام القربة ، وسيأتى بيانها إن شاء الله تعالى .

وأما الزهد ، فاشتراطه فى مقام الإحسان ، فلأن من شرط المراقب لله تعالى أن لا يلتفت إلى الدنيا . ألا ترى إلى العبد إذا كان حاضرا بين يدى سيده عالما بأن سيده يطلب منه الخدمة كيف يزهد فى مصالح نفسه فيشتغل بما يأمره به السيد ، فزهد المحسنين ومن تحتهم من الصالحين والمؤمنين والمسلمين إنما هو فى الدنيا وفى لذاتها ، وزهد الشهداء فى الدنيا والآخرة جميعها ، وزهد الصديقين فى سائر المخلوقات فلا يشهدون إلا الحق تعالى وأسماءه وصفاته ، وزهد المقربين فى البقاء مع الأسماء والصفات فهم حقيقة الذات .

وأما التوكل ، فاشتراطه فى مقام الإحسان ، فلأن من شرط من يرى أن الله تعالى يراه أن يصرف أموره إليه لأنه أدرى بمصالحه، فلا يتعب نفسه فيما لا يفيد منه شيء ، وشرط التوكل أن يتوكل العبد ليفعل السيد به ما يشاء ، وهذا معنى قوله ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾(١) يعنى توكلوا إن كنتم مؤمنين بأنه لا يفعل إلا ما يريد ، فكلوا أموركم إليه ولا تعترضوا عليه ، وليس هذا للصالحين ، فإن الصالح ومن دونه يتوكل على الله لكن ليفعل الله له مصالحه ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾(٢) والأول أعنى من يتوكل ليفعل الله به ما يشاء هو من الطائفة المذكورة فى آخر هذه الآية بقوله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ﴾(٣) يعنى لا بد أن يفعل الله ما يريد ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾(٤) فتوكل المحسنين هو عبارة عن صرف الأمر إلى الله تعالى ، وتوكل الشهداء عبارة عن رفع الأسباب والوسائط بنظرهم إلى المسبب سبحانه وتعالى وتصريفه فيهم قد توكلوا عليه بجعل إرادته عين مرادهم، فليس لهم اختيار يتميزون به فى طلب بل جميع ما يريده الله تعالى هو اختيارهم وإرادتهم . وتوكل الصديقين إرجاع شأن ذواتهم إلى شأن ذوات الحق تعالى ، فلا يقع نظرهم على أنفسهم فهم متوكلون على الله تعالى بالاستغراق فى شهوده والاستهلاك فى وجوده ، واتكال المحققين عدم الانبساط بعد التمكين فى البساط .

وأما التفويض ، فهو والتسليم واحد بينهما فرق يسير وهو أن المسلم قد لا يكون راضيا بما يصدر إليه ممن سلم إليه أمره، بخلاف المفوض فإنه راض

---

(١) سورة المائدة من الآية ٢٣ .
(٢) سورة الطلاق آية ٢ ، ٣ .
(٣ ، ٤) سورة الطلاق آية ٣ .

بماذا عسى أن يفعله الذى فوض المفوض أمره إليه،وهما أعنى التسليم والتفويض قريب من الوكالة ، والفرق بين الوكالة وبينهما أن الوكالة فيها رائحة من دعوى الملكية للموكل فيما وكل فيه الوكيل ، بخلاف التسليم والتفويض فإنهما خارجان عن ذلك ؛ فتفويض المحسنين ومن دونهم للحق فى جميع أمورهم هو إرجاع الأمور التى جعلها الله لهم إلى الحق،فهم بريئون من دعوى الملكية لما صرفوه إلى الحق تعالى من جميع أمورهم ، فذلك هو التفويض ؛ وتفويض الشهداء سكونهم إلى الحق تعالى فيما يقلبهم فيه ، فهم ملاحظون لأفعال الله تعالى فى أنفسهم ، وفى غيرهم مفوضون إليه زمام الأمر ، يرون أن أخذ الحق بنواصى سائر المخلوقات عام وبنواصيهم خاص إلى ما يريده الحق تعالى فهم بريئون فى أعمالهم من دعوى الفاعلية ، فلأجل هذا لا يتوقعون الأجر ولا يطلبون الجزاء ، لأنهم لا يرون لأنفسهم فعلا فيستحقون به الجزاء ، وتفويض الصديقين ملاحظة الجمال الإلهى حيث تنوعات التجليات فهم غير مقيدين بتجل دون غيره ، فهم مفوضون أمر تجلياته إلى ظهوره ، فى أيهما ظهر شاهدوه على حسب المقام والاسم والصفة والإطلاق والتقييد وتفويض المقربين عدم الجزع على ما أطلعوا عليه بما جرى به القلم فى المخلوقات ، فلا يتصرفون فى الوجود بشىء بل مفوضون إلى الحق تعالى يتصرف فى ملكه كيف يشاء ، وهؤلاء هم الأمناء الأدباء لا يفشون أسرار الله ، ولا يطلبون بذلك علوا على غيرهم ولا فسادا فى أمور الناس ، بل يعاملون الخلق بما يعامل بعضهم بعضا ، فلا يتعاطون شيئاً من هتك ستر ولا نفوذ أمر ، بل كائنون مع الخلق بأجسادهم بائنون عنهم بأرواحهم فى حضرة القرب الإلهى .

وأما الرضا فشرطه أن يكون بعد القضاء ، وأما قبله فإنه عزم على الرضا وقد نص على هذا غير واحد من أئمة الطريق ، فرضا المحسنين عن الله تعالى بالقضاء ، ولا يلزم من هذا أن يرضوا بالمقضى ، لأن الله تعالى قد يقضى مثلا

بالشقاوة، فرضاهم عن الله بالقضاء إذ القضاء هو حكم الله تعالى، فيجب الرضا بحكمة ولا يلزمهم أن يرضوا بالشقاء ، بل يجب عليهم أن لا يرضوا به ؛ ورضا الشهداء هو محبتهم لله تعالى من غير طلب وصول أو نفور من هجر أو بعاد ، بل على البعد واللقاء والسخط والرضاء لا يرجعون عن محبتهم ولا يلتفتون إلى راحتهم ، ورضا الصديقين بتمشق المحاضر برضا الحاضر فى أعلى المناظر ، وذلك لأنهم لا يزالون فى الترقى ، وكلما ترقى العبد ضاق طريقه فى الحضرة الإلهية، لأن العبد أول ما يكون مع الله تعالى فى تجلى الأفعال ، فيشهده فى سائر المخلوقات ، ثم إذا ارتقى ضاق مشهده ، ولا يزال كلما ترقى تضيق مناظره ، فرضا الصديقين هو سكوتهم إلى الحق فى ذلك الضيق ، وهذا لا يدرك بالعقل ، بل هو أمر كشفى ذوقى ؛ وأما رضا المقربين ففى رجوعهم من الحق إلى الخلق .

وأما الإخلاص فإنه من الصالحين ومن دونهم عدم الالتفات إلى نظر المخلوقات فى العبادات ، وإخلاص المحسنين عبادة الحق تعالى من غير طلب الجزاء فى الدارين ، فعبادتهم الله تعالى لكونه أمرهم بعبادته ، فنسبة الصالحين ومن دونهم من المحسنين نسبة الأجير إلى العبد الرق الذى لا يطلب أجره فى عمله . وإخلاص الشهداء إفراد الحق تعالى بالوجود ، وإخلاص المحققين الصديقين عدم الاحتياج فى معرفة الذات إلى شىء من الأسماء والصفات وإخلاص المقربين تحقيق التبرى من بقايا التلوين تحت ظهور آثار التمكين ، وذلك هو عين حقيقة السحق والمحق ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾(١) .

وأما الشهادة فإنها نوعان : شهادة كبرى ، وشهادة صغرى . فالشهادة الصغرى على أقسام، وقد ورد الحديث بها كمن مات غريبا أو غريقا أو مبطونا وأمثال ذلك ، وأعلى مقامات الشهادة الصغرى القتل فى سبيل الله بين الصفين

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤ .

فى الغزو ، والشهادة الكبرى قسمان : أعلى ، وأدنى : فالأعلى شهود الحق تعالى بعين اليقين فى سائر مخلوقاته ، فإذا رأى مثلا شيئاً من المخلوقات فإنه يشهد الحق تعالى فى ذلك الشىء من غير حلول ولا إنفصال بل بما أخبر به سبحانه وتعالى بقوله ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾(١) وهو الذى أشرنا إليه بقولنا فى الشهادة أن من شروطها دوام المراقبة من غير فترة ، فإذا صح للعبد هذا المشهد فهو مشاهد لله تعالى ، وهذا أعلى مناظر الشهادة ومابعدها إلا أول مراتب الصديقية وهو الوجود ، فيفنى عن نفسه بوجود ربه ، وحينئذ يدخل فى دائرة الصديقية وأما القسم الأدنى من الشهادة الكبرى فهو إنعقاد المحبة لله تعالى من غير علة ، فتكون محبته لله تعالى لصفاته وكونه أهلا أن يحب .

واعلم أن المحبة على ثلاثة أنواع : محبة فعلية ، ومحبة صفاتية ، ومحبة ذاتية . فالمحبة الفعلية : محبة العوام ، وهو أن يحب الله تعالى لإحسانه عليه ايريده بما أسداه إليه . والمحبة الصفاتية ، محبة الخواص ، وهؤلاء هم يحبونه لجماله وجلاله من غير طلب كشف لحجاب ولا رفع لنقاب ، بل محبة الله خالصة من علل النفوس ، لأن تلك المحبة ليست لله خالصة ، بل هى لعلة نفسية . فالمحب المخلص منزه عن ذلك . ومحبة الخاصة هى التعشق الذاتى الذى ينطبع بقوته فى العاشق بجميع أنوار المعشوق ، فيبرز العاشق فى صفة معشوقه كما يتشكل الروح بصورة الجسد للتعشق الذى بينهما ، وسيأتى بيانه فى آخر الكتاب عند ذكر المقربين ، فمحبة العوام محبة فعلية ومحبة الشهداء محبة صفاتية ، ومحبة المقربين محبة ذاتية .

ومن جملة شروط أهل الشهادة الكبرى القيام على النفس بالمخالفات من غير رخصة ، يعنى يقومون عليها بمخالفتها فى العزائم لا فى الرخص ، فإنه قد أخطأ كثير من طائفتنا فى تحقيق المخالفات ، فادعى أنه لو أرادت نفسه أن تصوم

---

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .

أو تصلى مثلا كان الواجب عليه أن يخالفها بالأكل والشرب وترك الصلاة ، وهذا خطأ ، لأن النفوس من حيث الأصالة لا تطلب إلا مالها فيه راحة العاجل، فالطلب الذى لها فى الأصل هو كالأكل وطلب الصوم وغيره من أعمال البر ليس إلا للروح ، وليس من شرط الطريق مخالفة الروح لأنها ليست الملك ، والملك جليس الله بخلاف النفس فإنها جليس الهوى ، والهوى جليس الشيطان فلهذا خولفت لتطمئن ، فتسكن مع الروح إلى الله تعالى ، وهذه ، وهذه المخالفة هى التى أشار إليها عليه الصلاة والسلام بالجهاد الأكبر فى قوله « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر »(١) فلهذا جعلنا الشهادة بالسيف شهادة صغرى ، والشهادة بالمحبة شهادة كبرى .

وأما الصديقية فإنها عبارة عن حقيقة مقام من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وهذه المعرفة لها ثلاث حضرات : الحضرة الأولى : حضرة علم اليقين . والحضرة الثانية : حضرة عين اليقين والحضرة الثالثة حضرة حق اليقين ، فعلامة الصديق فى تجاوز هذه الحضرات أن يصير غيب الوجود مشهوداً له ، فيرى بنور اليقين ما غاب عن بصر المخلوقات من أسرار الحق تعالى ، فيطلع حينئذ إلى حقيقته ، فيشهد فناءه تحت سلطان أنوار الجمال ، فيكتسب بهذا الفناء بقاء إلهيا ؛ والمراد بقولى يكتسب هو أن يظهر له البقاء الإلهى كما لم يزل منذ كان الوجود ، لا أنه مستفاد فى تلك الحضرة ، فإذا بقى ببقاء الله تعالى تجلت عليه الأسماء اسما فاسما . فعرف الذات حينئذ من حيث الأسماء ، وهذا حد بلوغ علم اليقين ، ومن هذا لا يكون إلا عينا ، ثم يرتقى من ذلك إلى تجليات الصفات فيشهدها صفة

---

(١) حديث [رجعنا من الجهاد الأصغر ..] رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر ذكره الغزالى فى الإحياء وقال العراقى . رواه البيهقى بسند ضعيف سبق تخريجه ، ورواه الخطيب البغدادى فى تاريخه عن جابر برواية أخرى « كشف الخفا ١ / ٥١١ » .

بعد أخرى ، فيكون مع الذات بما لها من الصفات ، ثم يرتقى من ذلك إلى أن لا يحتاج إلى الأسماء والصفات فى كينونته مع الذات ، ثم يرتقى من ذلك إلى أن يعرف موقع الأسماء والصفات من الذات ، فيعرف الذات بالذات ، فتنصب بين يديه حضرة الأسماء ، والصفات ، فيشاهد حقائقها ويدرك إجمالها فى التفصيل، وتفصيلها فى الإجمال ، فلا يزال يتقلب فى خلع الربوبية إلى أن تنقله يد العناية إلى الاتصاف بالأسماء والصفات ، فإذا بلغ الأجل المحتوم وتناول كأس الرحيق المختوم كان صاحب حق اليقين ، فإذا فض الختام وانصبغ الكأس بلون المدام فهو صاحب حق اليقين ، وهذا أول مقامات المقربين .

وأول القربة فهى عبارة عن تمكن الولى قريبا من تمكن الحق فى صفاته وهذا مشاع ، كما يقال : قارب فلان العالم فلانا ، يعنى فى العلم والمعرفة ، وقارب مسلم التاجر قارون موسى ، يعنى فى المالية ، فالقربة هى ظهور العبد فى تنوعات الأسماء والصفات بقريب من ظهور الحق فيها ، لأنه يستحيل أن يستوفى العبد حقيقة صفة من الصفات، ولكنه إذا انصرف على سبيل التمكين فيها بحيث لا يستعصى عليه شىء مما يطلبه فعلم ما تشوف لعلمه وفعل ما أراد حدوثه فى العالم ، مثل إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك مما هو الله تعالى ، فقد قارب الحق أى صار فى جوار الله تعالى ، فهذا القرب هو الجوار . ألا ترى إلى أهل الجنة لما كانوا فى نوع من جوار الله تعالى كيف انفعلت لهم الأكوان . فما شاءوه كان فى الجنة ، فهذا قرب ، وأول حضرات هذا المقام الخلة ، وهو أن يتخلل العبد بالحق تعالى فيظهر فى جميع أجزاء جسده آثار التخلل بأن تنفعل الأشياء له بلفظة « كن » ، وأن يبرىء العلل والأمراض ويأتى بالمخترعات بيده ، وأن يكون لرجله المشى فى الهواء وأن يقدر على التصور بكل صورة بتمام هيكله ، وهذا معنى قوله « لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، ويده

التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها»(١) فإذا كان الحق تعالى سمعه وبصره ورجله وباقي جسده كان ذلك العبد خليل الله تعالى ، يعني تخللته أنوار الحق تعالى ، فهو خليل الله له من مقام الخلة الإبراهيمية نصيب، فإن الجسد جميعه بين جوارح وقوى ، فالجوارح هي كاليد والرجل والقوى هي كالسمع والبصر فعم باطنه وظاهره ، فكل واحدة من هؤلاء أعني سمعه وبصره ولسانه ورجله ويده تنفعل الأكوان لها لا بالله تعالى، فيفعل بيده ويتكلم بيده ويبطش بيده وينظر بيده ويعلم بيده ، وكذلك كل جارحة من جوارحه وقوة من قواه يفعل بها جميع ذلك وذلك شاهد الخلة ، ألا ترى إلى سيد هذا المقام وهو إبراهيم عليه السلام لما أراد شهود تحقيق ذلك كيف أخذ أربعة من الطير فجعل على كل جبل منهن جزءا ، فلما دعاهن بلسانه أتينه سعيا ، وذلك شاهد أنه على كل شيء قدير ، فقد قارب بهذه الآيات إلى حضرة الكبير المتعال .

واعلم أن مقام القربة هي الوسيلة ، وذلك لأن الواصل إليها يصير وسيلة للقلوب إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية ، والأصل في هذا أن القلوب ساذجة في الأصل عن جميع الحقائق الإلهية ، ولو كانت مخلوقة فإنها منها بنزولها إلى عالم الأكوان اكتسبت هذه السذاجة فلا تقبل شيئاً في نفسها حتى تشاهده في غيرها . فيكون ذلك الغير لها كالمرآة أو الطابع، فتنظر نفسها في ذلك الشيء فتقبله لنفسها وتستعمله كما تستعمل ذلك الشيء بحكم الأصالة ، فاسم الحق أولا وسيلة الأرواح إلى السكون إلى الأوصاف الإلهية ، وقلب الولي الواصل إلى مقام القربة وسيلة الأجسام إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية لظهور الآثار ، فلا يمكن الولي أن يتحقق جسده بالأمور الإلهية إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل مقام القربة ، فيكون ذلك الولي وسيلته في البلوغ إلى درجة

---

(١) حديث [لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ..] .

التحقق ، وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد ﷺ ، فالوسيلة هى عين مقام القربة وأول مرتبة من مراتبها مقام الخلة ، وإنتهاء مقام الخليل ابتداء مقام الحبيب ، لأن الحبيب الذاتى عبارة عن التعشق الانحادى فيظهر كل من المتعشقين على صورة الثانى ، ويقوم كل منهما مقام الآخر ، ألا ترى إلى الجسد والروح لما كان تعشقهما ذاتيا كيف تتألم الروح لتألم الجسد فى الدنيا ، ويتألم الجسد لتألم الروح فى الاخرى ، ثم يظهر كل منهما فى صورة الآخر ، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز بقوله لمحمد ﷺ ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾(١) أقام محمدا ﷺ مقام نفسه ، وكذلك قوله ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾(٢) ثم صرح النبى ﷺ لأبى سعيد الخدرى لما رآه فى النوم فقال له : يارسول الله اعذرنى فإن محبة الله شغلتنى عن محبتك ، فقال له : يا مبارك إن محبة الله هى محبتى فلما كان محمد ﷺ هناك خليفة عن الله كان الله هنا نائبا عن محمد ﷺ ، والنائب هو الخليفة ، والخليفة هو النائب ، فذاك هو هذا وهذا هو ذاك ، ومن هنا تفرد محمد ﷺ بالكمال ، لختم الكمالات والمقامات الإلهية باطنا ، وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهرا ، وآخر مقام المحبة أول مقام الختام ، ومقام الختام عبارة عن التحقق بحقيقة ذى الجلال والإكرام إلا فى نوادر مما لا يمكن المخلوق أن يصل إلى ذلك . فتكون تلك الأشياء له على سبيل الإجمال ، وهى فى الأصل لله على سبيل التفصيل ، فلأجل هذا لا يزال الكامل يترقى فى الا كملية ، لأن الله تعالى ليس له نهاية ، فلا يزال الولى يترقى فيه على حسب ما يذهب به الله فى ذاته .

ثم اعلم أن مقام العبودية غير مختص بمكانة دون غيرها ، فقد يرجع الولى من مقام الخلة إلى الخلق فيقيمه الله فى مقام العبودية ، وقد يرجع من مقام الحب

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .
(٢) سورة النساء آية ٨٠ .

وقد يرجع من مقام الختام ، وفائدة هذا الكلام أن العبودية رجوع العبد من المرتبة الإلهية بالله إلى الحضرة الخلقية ، فقام العبودة له هيمنة على جميع المقامات ، والفرق بين العبادة والعبودية والعبودة : هو أن العبادة صدور أعمال البر من العبد بطلب الجزاء، والعبودية صدور أعمال البر من العبد لله تعالى عاريا عن طلب الجزاء، بل عملا خالصا لله تعالى ، والعبودة هي عبارة عن العمل بالله ؛ ولذلك كانت الهيمنة لمقام العبودة على جميع المقامات ، وكذلك مقام الختام فإنه منسحب على مقامات القربة جميعها ، لأنه عبارة عن ختم مقامات الأولياء ، بمجرد بلوغ الولى مقام القربة يحوز جميع المقامات التى يصل إليها المخلوق فى الله تعالى ، لأنه يلتحق فى مقام القربة بالله تعالى ، فيختم بوصوله إليها جميع مقامات الخلق ، ويكون له فيها نصيب من مقام الخلة ، ونصيب من مقام الحب فيكون هو الختام فى نفس مقام القربة ، وإنما اختص اسم الخلة بأول مرتبة من مقامات القربة لأن المقرب هو من تخللت آثار الحق وجوده ؛ ثم مقام الحب بعد ذلك ، لأنه عبارة عن المقام المحمدى فى المناظر الإلهية ، ومقام الختام هو اسم لنهاية مقام القربة ، ولا سبيل إلى نهايتها ، لأن الله تعالى لا نهاية له ، لكن اسم الختام منسحب على جميع مقامات القربة ، فمن حصل فى مقام القربة فهو ختم الأولياء ووارث النبى فى مقام الختام . لأن مقام القربة هو المقام المحمود والوسيلة لذهاب المقرب فيها إلى حيث لا يتقدمه فيها أحد ، فيكون هو فردا فى تلك المقامات الإلهية ، وينبغى أن يعتقد ذلك بمحمد ﷺ ، وقد أشار إلى ذلك بقوله إن الوسيلة أعلى مكان فى الجنة ، ولا تكون إلا لواحد ، وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل، لأنه كان له البدء فى الوجود ، فلابد أن يكون له الختام عليه أفضل الصلاة والسلام .

فهرس الموضوعات

فهـــرس

الجزء الثانى من الإنسان الكامل

الصفحة	الموضوع
٧٣	الباب التاسع والخمسون : فى النفس
٧٥	فصل : اعلم أن النفس لما منعت من أكل هذه الحبة إلخ
٧٧	فصل : اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية إلخ
٨١	فى مظاهر إبليس وتنوعاته وآلاته . إلخ
٨٩	فصل : فى الكلام على النفس من حيث أضربها الخمس
٩٠	الباب الموفى ستين : فى الإنسان الكامل
٩٨	الباب الحادى والستون : فى أشراط الساعة ، وذكر الموت والبرزخ
١٠٧	فصل : نذكر فيه طرفا من ذكر الموت
١١٨	الباب الثانى والستون : فى السبع السموات ومافوقها ، والسبع الأرضين وماتحتها إلخ
١٥٠	الباب الثالث والستون : فى سائر الأديان والعادات إلخ
١٦٨	باب نذكر فيه أسرار ما تعبدنا الله تعالى به على لسان نبيه محمد ﷺ

رقم الايداع ٥٠٨٣ / ٩٧

٩٧٧-٥٠٩٦-٢٠-٠